حوار الفكر

تشرين الأول 2024
السنة العشرون | ربيع الأول 1445
75-74
HIWAR ALFIKR
مجلة فصلية فكرية تصدر عن المعهد العراقي للحوار

استشهاد سيد المقاومة

وحرب غزة.. بين خيارات المقاومة والتغيرات الجيوبولتيكية

IRAQ COPY

Iraq In Global Think Tanks

نشرة محدودة التداول تصدر عن المعهد العراقي للحوار وترصد ما تتناوله مراكز التفكير العالمية عن العراق

Iraqi institute for dialogue

Iraqi Institute for Dialogue
للحوار
I.I.D

Iraqi Institute For Dialogue

I.I.D للحوار

BAGHDAD
INTERNATIONAL
DIALOGUE

بغداد

التواصل الاقليمي.. محورية العراق

مؤتمر حوار بغداد الدولي السادس

حوار الفكر

مجلة فصلية فكرية تصدر عن المعهد العراقي للحوار

+964 773 019 7635
+964 772 997 3147
العراق ، بغداد ، الجادرية
- شارع الوزراء
Ministers St, Al-Jadriya
Baghdad, Iraq
head@hewariraq.com
office@hewariraq.com
www.hewariraq.com

المشرف العام
الشيخ د٠همام باقر حمودي

رئيس التحرير
عباس راضي العامري

مدير التحرير
علي عبد الهادي المعموري

المعهد العراقي للحوار:

مؤسسة أكاديمية فكرية بحثية، تعنى بالدراسات والتخطيط الاستراتيجي، تأسست بعد التغيير في عام ٢٠٠٣، فكانت واحدة من اهم المشاريع التي تعنى بعملية صناعة القرارات وتحضير الخيارات وبدائلها من خلال المراقبة الدقيقة للأحداث الجارية وتداعياتها المحتملة عبر استشراف المستقبل لوضع المسارات اللازمة امام صانع القرار، حيث تقدم المؤسسة خرائط عمل متكاملة وملخصات تنفيذية و أوراق سياسات و تقارير تنتج عبر ندوات وورش تخصصية وابحاث يكتبها ويشرف عليها نخبة من كبار المختصين في الشؤون السياسية والاقتصادية والعسكرية والامنية وغيرها .

الترجمة
قسم الترجمة في المعهد العراقي للحوار

- رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ١٠٦١
- معتمدة في نقابة الصحفيين العراقيين تحت الرقم ٤٥٦
- جميع الحقوق محفوظة
- لايحق إعادة نشر المواد المنشورة في المجلة دون استئذان إدارتها
- لا يحق الاقتباس من المواد المنشورة في المجلة دون ذكر المصدر
- الافكار الواردة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي المعهد او مجلة حوار الفكر

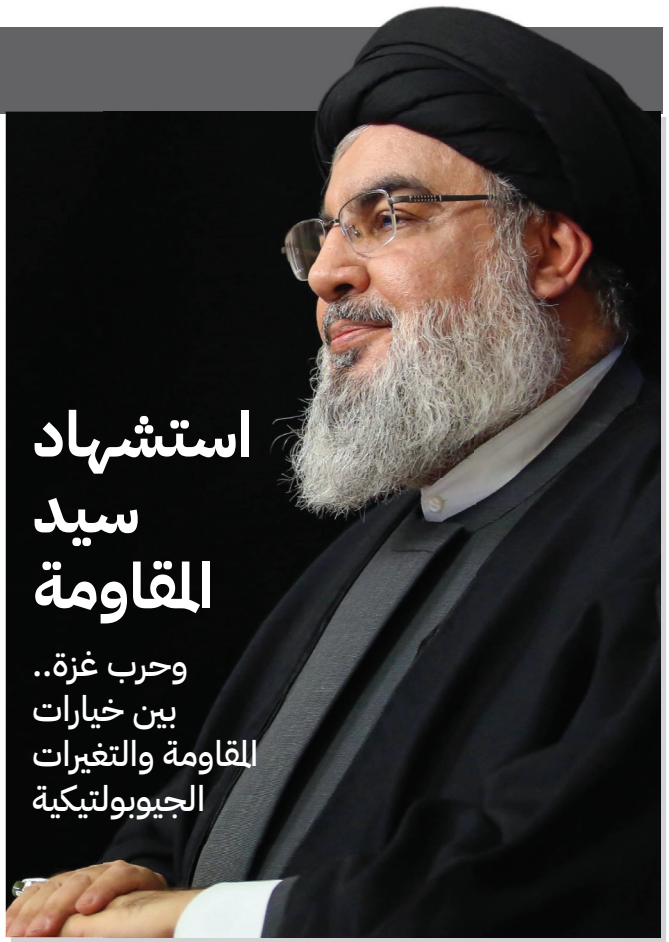

الافتتاحية

استشهاد سيد المقاومة وحرب غزة.. بين خيارات المقاومة والتغيرات الجيوبولتيكية 6
عباس راضي العامري - رئيس التحرير

الغلاف

حزب الله بعد استشهاد السيد حسن نصر الله . 8
د. طه محمد البياتي

«الرد المنتظر» إيران ومعادلة الردع مع الكيان

المحتويات

الصهيوني 24
د. فراس إلياس

ملف العدد

ارتدادات الحرب على غزة
وأثرها في التحولات الأمنية للبحر الأحمر..... 32
م.م. مصطفى الفؤاد

الرؤية الديناميكية للتفاوض في حرب غزة..... 56
ا. م. د. فايق حسن

الذكرى الأولى لعملية طوفان الاقصى:
الدوافع والتداعيات 68
د. عبدالله رشيد مجيد

دولي وأقليمي

حقبة جديدة في العلاقات التركية العراقية:
من العلاقات الثنائية إلى التعاون الإقليمي 76
د. بيلجاي دومان- ترجمة: د. كرار أنور البديري،

الانكشاف الاستخباراتي للقوى الإقليمية:
إيران أنموذجاً..... 82
م. د زينب غالب جعفر

ديناميكيات التغيير في الرهانات الجيوسياسية
للدبلوماسية العراقية بعد العام 2021: قراءة في
مشروع طريق التنمية العراقي 104
الدكتور فراس عباس هاشم

دبلوماسية استرداد الآثار: نحو نهج جديد في
السياسة الخارجية العراقية..... 128
م.م مروان محمد عبود

حوار العدد

الدكتور فريد ياسين: 144

السفير العراقي الاسبق في واشنطن و باريس،
المبعوث العراقي السابق لشؤون المناخ 144
متابعة: وفاء فوزي حمزة

ندوات

حرب غزة: «التداعيات الاقتصادية الوطنية
والإقليمية والعالمية» 155

حرب غزة:«تداعيات تتجاوز ساحة المعركة» . 160

كتب

الشرق الأوسط الرقمي:
الدولة والمجتمع في عصر المعلومات..... 164

مناورة التحوط الاستراتيجي:
تضييق فجوة القوة وتعظيمها بين الصين والولايات
المتحدة 168

استشهاد سيد المقاومة وحرب غزة.. بين خيارات المقاومة والتغيرات الجيوبولتيكية

عباس راضي العامري
رئيس التحرير

يصدر هذا العدد متأخرا بعد ان توقفنا عن الطبع، للفجيعة التي منيت بها المقاومة والامة الاسلامية باستشهاد السيد حسن نصر الله، ولحاقه بركب اجداده الشهداء، المنافحين إبدا عن الحق، وقضايا المظلومين، فكان لابد من التاخير، لإصدار ملحق بالعدد يتضمن تقييما للوضع بعد استشهاد السيد نصر الله، ويقدم ملامح من مسيرته وجهاده.

وعلى الرغم من أن التبدلات الكبيرة الحاصلة في مختلف مناطق العالم حتى لا نكاد ان نجد بلدا لم يتأثر بها بطريقة أو بأخرى، سواء كان ضمن بؤر التوتر او بعيد عنها، إلا ان منطقتنا تشكل ربما الطرف الثاني في أهم جبهتين ملتهبتين، ونقصد بالاولى منطقة الصراع الروسي مع الغرب في أوكرانيا، وفي منطقتنا في عدة بلدان، سواء في الأراضي المحتلة في فلسطين، او لبنان، او سوريا، وفي كل الأحوال، فإن التداعيات تمتد الى العراق بطرق متعددة، طرف منخرط في ديناميات التفاعل المتصاعدة.

وإذ يتداول المحللون الحديث مرارا وتكرارا حول ملامح التغيرات الجيوبوليتيكية العالمية المنذر بتبدل النظام الدولي، فإن التطرق الى عناصر وديناميات هذا التبدل تجعل الحرب، والحروب بالوكالة في طليعة هذه الديناميات، فالتاريخ يخبرنا أن تبدلا كبيرا في الوضع الدولي لم يحصل دون حرب كبيرة، او حروب متشجة ببعضها، تؤثر وتتأثر بتفاعلاتها، دون ان يكون للحدود قدرة فعلية على كبح هذا التاثير، بل لعل الحدود بين أولى ضحايا الحروب.

على هذا الأساس، فإن قراءة الحرب الدائرة في غزة بين حركة المقاومة الإسلامية حماس وبين الكيان الغاصب يمكن عدها واحدة من أهم الديناميات المنذرة بالتبدل في أوضاع المنطقة وبشكل النظام الدولي، فعلى الرغم من الاجرام الصهيوني الذي يكاد ان يبلغ العام، والوحشية منقطعة النظير التي تعاملت بها الة الحرب الصهيونية مع قطاع غزة، فإن الدول الكبرى من جهة، والقوى الإقليمية الفاعلة من جهة أخرى لا تزال تتصرف بطريقة ضبط النفس عن تحول الصراع الى حرب إقليمية كبرى، تتدخل بعدها الدول العظمى بشكل مباشر، سواء تلك الساعية الى إبقاء الوضع كما هو عليه كالولايات المتحدة، او تلك التي تقود عملية التبدل في النظام، ونعني هنا روسيا وحلفائها بطبيعة الحال.

وعلى الرغم من القول ان الحرب آتية كدينامية أساس للتبدل، لكن هذا لا يعني التسليم بتحصيل وقوعها، وفي الوقت ذاته لا يعفي الدول الكبرى من مسؤوليتها تجاه ضبط الكيان الصهيوني الغاصب، وكبح اجرامه تجاه المدنيين والعزل، وتغيير قواعد الاشتباك على مزاجه، واستهداف القيادات السياسية على أراضي دول ذات سيادة، الامر الذي اخذ بالتصاعد دون أي اعتبار أخلاقي، او احترام للمعاهدات الدولية.

في السياق ذاته، ودليلا على ارهاصات تصاعد الصراع بالتزامن مع تصعيد الة القتل الصهيونية لنشاطاتها، وقصف الضاحية الجنوبية مستهدفة زعيم المقاومة اللبنانية السيد حسن نصر الله، واستشهاده المفجع، وما سبقه من عملية إرهابية واسعة النطاق بتفجير أجهزة الاتصال في لبنان، فإن المنطقة كلها آخذة بالانغمار في مشاكل أخرى جانبية في مساحات أخرى من الإقليم، فتداعيات الحرب لا تقتصر على نتائجها المباشرة، بل تستتبع هوامش لا تتفق مع غايات الأطراف النبيلة المضطرة للقتال، وظهور عوامل زعزعة للامن الإقليمي غير معنية بالنبل الكامن في سياق المقاومة، مثل نشاطات القرصنة، والإرهاب وسواها من نشاطات الفاعلين من غير الدول

على هذا الأساس، يأتي هذا العدد لمقاربة هذه التبدلات والصراعات من زوايا متعددة، بعضها مرفوض من قبلنا بشكل قاطع، لكن المجلة تعرضه كمثال للطريقة التي يفكر بها صناع الرأي والمؤثرين على السياسات الخارجية الامريكية، فملف العدد كرس تحت عنوان «حرب غزة... جيوبوليتيك التغيير لنظام دولي جديد» ليناقش تداعيات الحرب ومآلاتها عبر مقاربات متعددة، غربية مترجمة، وعراقية متعددة الرؤى، بعضها ناقش الارهاصات المبكرة لحرب مباشرة بين المقاومة اللبنانية «حزب الله» والكيان الغاصب، مستكشفا الدور الأمريكي الذي وإن اتخذ الموقف التقليدي في الانحياز الظالم للكيان الصهيوني، إلا انه لم يخل من التوجس والارتباك وعدم الرغبة بقيام حرب إقليمية كبيرة خصوصا وان الولايات المتحدة على أبواب انتخابات مضطربة شهدت احداثا حرجة، ومحاولة اغتيال للمرشح دونالد ترامب، وتبديل مرتبك لمرشح الحزب الديمقراطي، وغيرها من الاضطرابات الداخلية التي تشغل الولايات المتحدة عن الترحيب بحرب إقليمية في منقطة مضطربة من الأساس

ويناقش الملف ما اشرنا له سابقا من التداعيات غير المباشرة لحرب غزة على الوضع الإقليمي، وطرق التجارة، ناهيك عن عرقلة الحرب لمساعي التطبيع، ولكن، ومع هذه النتائج الاستراتيجية القابلة للتحول لمكاسب فإن التنظيمات التي تنشط في المنطقة سيكون لها دور مختلف عن الغايات النبيلة التي تقف خلف خيارات المقاومة

مع ذلك، لم يغفل الملف تحليل المآلات المحتملة للحرب عبر التفاوض، وكيف سيتم خلق قنوات للتفاوض تنهي القتال وتشكل مسار جديد لأمن المنطقة، وشكل الاصطفافات التي ستتلوها

وغير بعيد عن موضوع الملف، فإن دراسة حول الانكشاف الاستخباراتي يقدمها العدد، حاولت الدراسة ان تحلل مكمن الإخفاق الحاصل والذي قاد الى خروق واغتيالات بين قادة المقاومة، والجمهورية الإسلامية في ايران، فتدارك الاخطار المستقبلية تحتم الوقوف على مكامن الخطأ، سعيا نحو تجنبها، والتحوط لسواها من الاخطار التي يمثلها الكيان والقوى التي تقف داعمة له دون ضمير

ولا يخفى ان استقرار الإقليم، وامنه، يرتبطان بشكل كبير بالخيارات الاقتصادية الكبرى، التي تمثل وشائج تربط السياسة بالاقتصاد، وما للتنمية من دور في هذا السياق، لهذا ناقش العدد الخيارات الاستراتيجية والمنافع المحتملة او غير المحتملة المترتبة على دخول العراق في خطة طريقة التنمية، الامر الذي أشارت له أيضا مقالة تركية مترجمة حول العلاقات العراقية التركية في مساراتها الجديدة، حيث كان للطريق حصة مهمة في التحليل، كمتغير يمكن أن يشكل عاملا إيجابيا في العلاقات بين البلدين، وفي المنقطة ككل

ولا يمكن لنا ان نغفل التحديات المصيرية الأخرى التي تواجه العراق، وسبق لحوار الفكر ان نشرت حولها أوراقا كثيرا، وكرس المعهد العراقي لحوار الفكر مؤتمره السنوي لها، ونعني هنا بشكل دقيق التغير المناخي، إذ ننشر في هذا العدد لقاء مع المبعوث العراقي السابق لشؤون المناخ السفير الدكتور فريد ياسين، ليحدثنا عن عمله، وعن موقع العراق الحرج في قضية التغير المناخي

ولم يغفل العدد كما هو المعتاد المتابعة للمؤتمرات والندوات الدولية المهمة التي تناقش قضايا الساعة، فتمت تغطية ندوتين مهمتين عقدتا حول الحرب في غزة، لنختم بعرضين لكتابين مهمين في بابهما، سيجد القارئ ان الاطلاع عليهما مفيد ولا شك

د. طه محمد البياتي

حزب الله

بعد استشهاد السيد حسن نصر الله

المقدمة:

تعود نشأة حزب الله في لبنان إلى سبتمبر/أيلول عام 1982، عبر البيان الأول للحزب في الذكرى السنوية الأولى لوقوع مجزرة صبرا وشاتيلا، وجرى الإعلان الرسمي عن ميلاد حزب الله في 16 من فبراير/شباط 1985، بمناسبة إحياء الذكرى الأولى لاستشهاد الشيخ راغب حرب، وترجع جذور معظم مؤسسي الحزب إلى حركة أمل الشيعية في لبنان، وتزامن نشاط الحزب مع نشاطات عدد من المجموعات الإسلامية التي كانت تعمل تحت عناوين مختلفة (حركة أمل، الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين، اللجان الإسلامية، حزب الدعوة الإسلامية.. الخ) بعد اجتياح الجيش الإسرائيلي للبنان عام 1982، وفي العام نفسه، قام الرئيس السوري حينذاك حافظ الأسد بزيارة طهران، واتفق مع الايرانيين على تشكيل تحالف جبهة الممانعة أو المقاومة يضم الأطراف الثلاثة (إيران وسورية وحزب الله اللبناني) لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي في لبنان، هذا التحالف قدم لحزب الله دعما سياسيا سوريا غير محدود في التغطية الإقليمية والدولية، والدعم المادي والمعنوي الإيراني، ناهيك بالشرعية السياسية الرسمية للدولة اللبنانية، فضلا عن الدعم الشعبي الكبير للمقاومة اللبنانية.

في حقيقة الأمر، فان دراسة حزب الله إذا ما اقتصرت على هذا التأريخ من حيث النِشأة والميلاد؛ لا تُمكن من الولوج إلى حقيقة ماهية الحزب أو الوصول إلى عمقه التاريخي المتأصل في المجتمع اللبناني، الذي سبق وجوده فكرا وإرادة في بيئة اجتماعية وسياسية كانت غاية من التعقيد والتركيب، وكان في صراع مع الزمن حتى تتهيآ له الظروف المحيطة به لكي يظهر كيانه من رحم المعاناة والضعف الذي كان يعيشه، وعلى الرغم من ضعف بنيته اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا وثقافيا في بادئ الأمر، وفي ظل صعوبة وتعقيد تركيبة الدولة اللبنانية وتمزق نسيجها الاجتماعي والوطني، ووجود الاحتلال الإسرائيلي وأعوانه من اللبنانيين، إلاَّ ان حزب الله استطاع ان يفرض نفسه لاعبا مقتدرا ومؤثرا في المشهد اللبناني

على هذا الأساس سنحاول فهم حزب الله من حيث النشأة والتاريخ الفكري والبنيوي في سطور هذا الملحق الذي اعد على عجل بالغ

المبحث الأول: الإطار النظري لماهية المقاومة الإسلامية اللبنانية

لا يمكن فهم عمق المقاومة الإسلامية في لبنان ما لم يتم استحضار جذور تأريخ المقاومة، لكون مفهوم المقاومة يرتبط بتاريخها قبل حاضرها، وأصبحت منظومة حياتية تجمع بين الفكر العقائدي والحياة السياسية والسفر الجهادي، كما انها تمثل أنموذجا معاصرا تجمع بين توحيد شتات التنوع المجتمعي من جهة ومقاومة الاحتلال من جهة

اخرى، والدعوة إلى بناء دولة عادلة مقتدرة تجمع بين الإسلام والإنسانية، واحترام التنوع بكل مسمياتها في إطار التعايش السلمي، لذلك سنحاول استحضار تاريخ نشأة وميلاد المقاومة الإسلامية اللبنانية.

المطلب الأول: الجذور التاريخية للمقاومة الإسلامية في لبنان

تعود تاريخ المقاومة الإسلامية اللبنانية إلى تاريخ مشترك مع المقاومة الفلسطينية، التي تتمثل بمدرسة الكفاح المسلح والعمل الفدائي الفلسطيني التي انطلقت في منتصف الستينيات من القرن العشرين، إذ أصبحت منارا لحركات التحرر الوطني في التاريخ المعاصر، أسهمت السياسة الاستيطانية للاحتلال الإسرائيلي للضفة والقطاع عام 1967 والتصفية الأردنية للفدائيين عام 1970 إلى تهجير قسري للفلسطينيين، اضطرت معه منظمات المقاومة الحاملة للواء الثورة الفلسطينية وأطرها ومقاتليها إلى الانتقال إلى لبنان والتمركز في جنوبه، بحيث اندمج المقاتلون اللبنانيون مع الفدائيين الفلسطينيين وشكلوا أفواج عسكرية مشتركة تقاتل جنبا إلى جنب جيش الاحتلال الإسرائيلي.

أنشأ السيد موسى الصدر «أفواج المقومة اللبنانية – أمل» كجناح عسكري «لحركة المحرومين» من أجل مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، والتي أعلن عنها عام 1974، بعد انفجار مخيم عين البنية، وقد شاركت مجموعات من أمل في المواجهة مع الجيش الإسرائيلي في بعض المواقع الجنوبية، التي كانت منظمة التحرير الفلسطينية تشرف على غالبيتها، لكن قائدها الصدر لم يستمر في عمله ونشاطه، فقد اختطف في ليبيا إثر دعوة تلقاها من رئيسها معمر القذافي للحضور في احتفال الفاتح في 13 آب 1978، وغيّب السيد ولا يزال مصيره مجهول حتى اليوم دون وجود رواية قاطعة على الطريقة التي انتهت بها حياته المباركة.

ثم استمر تأريخ المقاومة اللبنانية، وتمثله تجربة «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية» إبان الحرب الاهلية اللبنانية، إذ منذ أن بدأت الحرب عام 1975 في لبنان، قاتل اللبنانيون بعضهم طويلا، وكان انتصار لبناني على جيب لبناني وضع نفسه خدمة الاحتلال الاسرائيلي في الجنوب نقطة فارقة، ترتب على أثرها غزو الكيان الصهيوني الأول للبنان الذي أطلقت عليه تسمية «عملية الليطاني» في عام 1978، ووظف الكيان الصهيوني ميليشيا الضابط اللبناني المنشق (سعد حداد) لحراسة حدودها في جنوب لبنان، مع ذلك، لم يستطع الاحتلال على الرغم من تعاون (جيش لبنان الجنوبي) العميل بقيادة سعد حداد إيقاف عمليات المقاومة الفلسطينية، وقد كان دافعا إلى نقل المواجهة مع الثوار إلى داخل بيروت عام 1981، واجتياح الكيان الصهيوني للبنان وحصار عاصمته في صيف العام 1982، وصولا إلى اخراج مقاتلي فصائل منظمة التحرير من لبنان بمقتضى «اتفاق فيليب حبيب»، واجبرت الاحتلال الإسرائيلي على الانسحاب من بيروت بسبب انطلاق عمليات «جبهة المقاومة اللبنانية» والحاقها خسائر بشرية بجنود الاحتلال.

وبعد وفاة العميل سعد حداد سلمت إسرائيل قيادة «جيش لبنان الجنوبي» إلى الضابط المتقاعد العميل أنطوان لحد، لتبدأ فصول المعركة الساخنة بين جيشه والجيش الصهيوني من جهة وبين المقاومة اللبنانية التي انتقلت بدورها من مقاومة مسلحة يقودها الشيوعيون والقوميون إلى مقاومة إسلامية قادها حزب الله، ومع تصاعد عمليات المقاومة وعجز

قوات العمالة والاحتلال عن صدها، دفعا إسرائيل إلى مغامرتين عسكريتين في تموز 1993، ونيسان 1996، قادتا إلى هزيمتها سياسيا وإلى اضطرارها الاعتراف بحق المقاومة في القتال بموجب «تفاهم تموز» و«تفاهم نيسان»، وفي نهاية المطاف اضطرت إسرائيل إلى إعلان نيتها الانسحاب من لبنان وإنهاء علاقتها بجيشها العميل في جنوب لبنان

وعلى الرغم من الانسحاب المذل للاحتلال من لبنان، الاَّ ان نتائج الحرب مع العدو الصهيوني، والحرب الاهلية الطاحنة التي مزقت نسيجه الاجتماعي والوطني، جعلت لبنان تواجه صعوبة واقعية معقدة التركيب ومستعصية على الحل بسبب عدم امتلاكها دولة واقتصادا وجيشا، أو توافر الحد الأدنى من الشروط المادية التي تؤهله لتحسين موقعه في ميزان قوى الصراع بينه وبين إسرائيل، فكانت المقاومة الشعبية بإمكانياتها البسيطة والمحدودة هي الكفيلة بالمواجهة مع جيش العدو الإسرائيلي المزود بترسانة عسكرية فائقة التطور، وقد قادت المفاوضات والاتفاقات الإقليمية وتاثيراتها على الواقع اللبناني الداخلي الى عقد «اتفاق الطائف» عام 1989، وتوصلت الأطراف اللبنانية برعاية اقليمية إلى تحقيق تسوية سياسية جديدة؛ فتحت الطريق امام بناء الجمهورية الثانية، وامام عودة أجواء السلم الأهلية والمصالحة الوطنية

المطلب الثاني: التأريخ السياسي للمقاومة الإسلامية اللبنانية

إن تاريخ المقاومة الإسلامية اللبنانية لا ينحصر في حزب الله فحسب، على الرغم من أنه - بلا شك - يمثل العمود الفقري للمقاومة ويعد أهم لحظات

عطائها الكفاحي، وان كل محاولة لقراءة تاريخ المقاومة بوصفه تاريخا للحزب، سوف تنتهي إلى السقوط في نزعة اختزالية لن يكون لها من وظيفة سوى مصادرة تراث المقاومة من فريق حزبي واحد، وبالمقابل كل محاولة لعد تراث حزب الله مجرد لحظة عابرة في تاريخ المقاومة، هي أيضا اخراج حزب الله من دائرة صناعة اقوى قوة بنيوية فكرية عقائدية وسياسية وعسكرية في تاريخها المعاصر، إذ إن المقاومة اللبنانية هي حلقة تكاملية بصبغة حضارية تربط الماضي بالحاضر.

ترتبط بداية الصحوة الثقافية والسياسية والاجتماعية في أوساط شيعة لبنان، مع مجيء السيد موسى الصدر عام 1959 إلى لبنان، بعد أن أخرجتهم الصفقة الطائفية المارونية-السنية، إبان استقلال العام 1943 من نظام الامتيازات السياسية، إذ سعى الامام الصدر إلى تحقيق نهضة شيعية والوصول الى موقع رسمي مؤثر في الخارطة المؤسساتية للنظام السياسي اللبناني، فقام بتشكيل «حركة المحرومين»، وقد تمخضت هذه الحركة عن تأسيسه «المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى»، وتصدره رئاسته، وعمل إلى احترام التوازنات الطائفية الموروثة والمتجددة.

وقد عاد جيل من العلماء الشيعة اللبنانيين في الأثناء بعد مرحلة من الدراسة في الحوزة العلمية في النجف الأشرف في منتصف الستينيات من القرن العشرين، وعلى رأسهم السيد محمد حسين فضل الله والشيخ محمد مهدي شمس الدين، انضم الأخير إلى حركة الامام موسى الصدر، فيما تفرغ السيد فضل الله للتنظير السياسي وللتدريس ولمهمة تكوين جيل جديد من علماء الدين الشيعة أسس «المعهد الشرعي الإسلامي» في عام 1966، وتوزع الإسلاميون بين حركة أمل واللجان الإسلامية وحزب الدعوة والمستقلين، وقد تأثرت منابع هؤلاء الثقافية بالعلماء الثلاثة أو ببعضهم وبالنشاط العلمائي بشكل عام، وبما أن الحركة السياسية كانت محصورة بحركة أمل، فقد اختار البعض نشاطه فيها، اما عن قناعة كاملة بها، واما للاعتقاد بانها تشكل مرحلة زمنية بالضرورة، واما البعض الاخر فقد شارك في اللجان الإسلامية التي تركز نشاطها على الأغراض الدينية.

وفي غضون هذه الأجواء، نجحت الثورة الإسلامية في ايران بقيادة الامام الراحل روح الله الخميني (قده) سنة 1979، وكان اغلب العلماء اللبنانيين يدرسون في النجف الاشرف، فقد تركزت دعوتهم إلى العلاقة مع مراجع النجف فكان جل تقليدهم للمرجع السيد الخوئي (قده)، وفي دائرة أضيق المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قده)، وما ان انتصرت الثورة الإيرانية حتى اتجهت الأنظار إلى مرجعية وقيادة الامام الخميني (قده)، وبدأ التساؤل عن التكليف الشرعي في العلاقة مع قيادة الثورة الإسلامية، ناقش الإسلاميون داخل اطرهم، كيفية النهوض ومواكبة متطلبات المرحلة في لبنان، والاستفادة من التجربة الإيرانية والاشعاع الجديد، فوجدوا ان التشكيلات التي يعملون فيها لا تلبي الأهداف والطموحات التي يسعون اليها، وأخذوا يفكرون في إيجاد بنية ذاتية لها قابلية على التعديل والتطوير والتغيير، فقوي الاهتمام بضرورة تشكيل إسلامي موحد يتمحور حول ثلاثة اهداف مركزية:

1. الأولى، الإسلام هو المنهج الكامل والشامل والصالح لحياة افضل، وتمثل القاعدة الفكرية والعقائدية والايمانية والعملية التي يبنى عليها هذا التشكيل.
2. الثانية، مقاومة الاحتلال الإسرائيلي كخطر على الحاضر والمستقبل، والتي تمثل البنية الجهادية وتسخير كل الإمكانيات للقيام بهذا الواجب.

3. الثالثة، القيادة الشرعية للولي الفقيه كخليفة للنبي (ص) والائمة (عليهم السلام)، وتمثل الخطوط العريضة للعمل في الامة، ونفاذ امرها ونهيها.

ومن اجل تحقيق هذه الأهداف، تشكلت مجموعة من تسعة افراد بالتساوي فيما بينهم ممثلين عن التجمع العلمائي في البقاع، واللجان الإسلامية، وحركة أمل الإسلامية، فوقعوا على ورقة عرفت بـ»وثيقة التسعة» والتي تضمنت الأهداف المذكورة أنفا، ثم رفعوا هذه الوثيقة للإمام الخميني فوافق عليها، فاكتسبت شرعية تبني الولي الفقيه لها، وحلَّ تشكيلاتها التنظيمية القائمة، وانشأ تشكيل واحد جديد سمي لاحقا باسم «حزب الله»، وتم اختيار قيادته التأسيسية بعد مشاورات جرت في هذا الشأن، السياسية والعسكرية والثقافية، في إطار المنهج الإسلامي المرتبط بقيادة الولي الفقيه

المطلب الثالث: الإطار المؤسسي والسياسي لحزب الله في لبنان

أولا: البنية المؤسساتية لحزب الله

انطلقت تسمية حزب الله من التعبير القرآني لقوله تعالى «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم رَٰكِعُونَ

(55) وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلغَٰلِبُونَ(56)» سورة المائدة.

وقد استفاد المجاهدون من تسمية حزب الله التي تداولوها قبل تبني القيادة لها، ذلك ان الاقتراح من لجنة التسعة كان «الحركة الإسلامية في لبنان» لكن تبين وجود مجموعة إسلامية بهذا الاسم في لبنان، وتقرر في الشورى اطلاق اسم حزب الله وذلك قبل اعلان الرسالة المفتوحة بفترة وجيزة، فقد صدر أول تعبير رسمي في الرسالة التي أعلنها حزب الله في سنة 1985، «لكننا نؤكد اننا مقتنعون بالإسلام عقيدة ونظاما، فكرا وحكما، وندعو الجميع إلى التعرف اليه والاحتكام إلى شريعته، كما ندعوهم إلى تبنيه والالتزام بتعاليمه على المستوى الفردي والسياسي والاجتماعي، واذا ما أتيح لشعبنا ان يختار بحرية شكل نظام الحكم في لبنان، فانه لن يرجح على الإسلام بديلا، ومن هنا فإننا ندعو إلى اعتماد النظام الإسلامي على قاعدة الاختيار الحر والمباشر من قبل الناس، لا على قاعدة الفرض بالقوة كما يخيل للبعض».

ويتضح من هذه الرسالة ان حزب الله يمثل خيارا فكريا وعقائديا مجتمعيا، قبل ان يكون ضرورة سياسية أو عسكرية، وان الالتزام بضوابطه وادبياته هي عن القناعة المطلقة في حركته العملية التي تتمحور حول الاسلام، وليس بناء على عصبية الانتماء والولادة بصرف النظر عن المضمون الفكري، وان العبرة في آثار المنهج، فعندما يؤدي الحزب دورا وطنيا من موقعه الإسلامي، ويحرص على الوحدة المجتمعية، ويعمل مع كل الأطراف لتحقيق التكامل في الأدوار خدمة للجميع، ويجاهد لتحرير الأرض من الاحتلال الصهيوني، وتتحقق له المكانة العربية والإسلامية، ويطرح قناعاته كما الآخرين بالأساليب السياسية المتاحة، ويتقبل الآراء والاختلافات فيما بين الناس، وهذه هي سنة الحياة الدنيا.

وقع اختيار الهيكل التنظيمي على القيادة الجماعية بدل القيادة الفردية، وأُطلقت تسمية الشورى على هذه القيادة، اما اختيارها فكان يتم بالتشاور مع الفعاليات الأساسية في الحزب، وتفاوت عدد افرادها مع اختلاف الازمان، ولم يكن للشورى رئيس أو أمين عام، وقد استمر هذا الشكل التنظيمي لسبع سنوات، الاّ انه استحدث موقع الناطق الرسمي مع اعلان الرسالة المفتوحة عام 1985، لمعالجة الحاجة إلى الإطلالة السياسية الرسمية والتعبير عن مواقف الحزب.

مع تطور العمل نشأت الحاجة لتعديل الشكل التنظيمي للشورى وطريقة اختيارها، فأقر نظام داخلي يحدد عدد أعضاء الشورى بتسعة أعضاء يتم انتخابهم لسنة واحدة، وتنتخب الشورى أمين عام من بين أعضائها، وتوزع المهام على الباقين بحسب الصلاحيات المذكورة في النظام الداخلي، اختارت الشورى الأولى المنتخبة والرابعة ترتيبا، الشيخ صبحي الطفيلي أمينا عاما لها في 1989/11/5، ثم تقرر إجراء بعض التعديلات التنظيمية، إذ أصبح عدد أعضاء الشورى سبعة، انسجاما مع متطلبات المرحلة، اما مدتها فسنتان، كما استحدث منصب نائب الأمين العام، وقد اختارت الشورى أمينا عاما لها السيد عباس الموسوي في أيار 1991، وبعد استشهاده في 16 شباط 1992؛ انتخبت الشورى السيد حسن نصر الله أمينا عاما خلفا له، ليتابع دورة عمل الشورى الفعلية، تم انتخاب السيد حسن نصر الله في منتصف أيار 1993، وتجدد انتخابه في الدورات المتتالية، وفي الدورة السابعة جرى تعديلان على نظام الشورى خلال هذه المدة، الأول، يقضي بتمديد ولاية الشورى إلى ثلاث

سنوات، والثاني، يقضي بعدم حصر انتخاب الأمين العام لدورتين متتاليتين، واعطائه الحق بالترشح لدورات متتالية

اما على المستوى الهيكلية التنظيمية العامة فقد أجريت عليها عدة تعديلات لتنسجم مع متطلبات المرحلة، واستقرت بوجود خمسة مجالس هي: المجلس الجهادي، والمجلس السياسي، والمجلس التنفيذي، ومجلس العمل النيابي، والمجلس القضائي، يرأس كل مجلس منها عضو من أعضاء الشورى، ويعتبر كل عضو من أعضاء المجالس بمثابة مسؤول وحدة، يشرف على لجنة من مسؤولي الأقسام لمتابعة المهام الموكلة اليهم، ثم تترابط الهيكلية التنظيمية عبر الفروع والدوائر إلى العنصر المجاهد المنظم وعنصر التعبئة والأنصار، واما الشورى فهي رأس الهرم في رسم الأهداف والسياسات ومتابعة الخطط العامة لعمل الحزب، واتخاذ القرارات السياسية، ويتولى الأمين العام مسؤولية الإدارة والإشراف والتوجيه، والتعبير عن مواقف الحزب وقيادته

ثانيا: المسار السياسي لحزب الله

يمكن تقسيم الأدوار التي مر بها الدور السياسي لحزب الله بعد «الطائف» إلى دورين

الدور الأول: غياب حزب الله عن السلطة

تشكلت السلطة السياسية اللبنانية من المجلس النيابي المنتخب عام 1972، والذي أقرَّ وثيقة الوفاق الوطني، وسبق ومدَّد لنفسه عشرين سنة بسبب الحرب الأهلية، واستكمل عديده وفق اتفاق «الطائف» بالتعيين، تم تأليف ثلاث حكومات في هذه المرحلة في عهد رئيس الجمهورية الياس الهراوي برئاسة كل من

سليم الحص، ورشيد الصلح، وعمر كرامي، وشاركت فيها القوى السياسية التي وافقت على «الطائف»، ولم يشارك فيها حزب الله، ونالت هذه الحكومات ثقة المجلس النيابي.

اقرَّت البيانات الوزارية «حق الشعب اللبناني في المقاومة الوطنية المشروعة استنادا إلى شرعية الأمم المتحدة، وحق لبنان حكومة وشعبا في التصدي للاحتلال، والعمل لتحرير أرضه بكل الوسائل المتاحة استنادا إلى ميثاق الأمم المتحدة وشرعة حقوق الإنسان».

الدور الثاني: المشاركة السياسية لحزب الله

مع بداية الاستقرار الداخلي في لبنان، ومع عودة مؤسسات الدولة إلى العمل ترميما وتكوينا، وكجزء من مفاعيل اتفاق الطائف، تقرر إجراء الانتخابات النيابية في العام 1992، وبعد نقاش موسع في داخل مجلس الشورى لحزب الله، تقرر الدخول في المعترك السياسي والمشاركة في الانتخابات التشريعية والبلدية، وعلى الرغم من الفترة الزمنية القصيرة لموعد الانتخابات، وهذه أول انتخابات عامة يخوضها الحزب، مع افتقاده للتجربة العملية في خوض الانتخابات، والتي تتطلب جملة إجراءات تعبوية وتنظيمية قبل يوم الانتخابات، وتتطلب حركة سياسية وشبكة علاقات تؤثر في بناء التحالفات ونتائج الانتخابات.

مع ذلك فان الحزب استنفر كل الجهود القيادية والتنظيمية في غمار الانتخابات، كما عرض برنامج انتخابي سياسي واجتماعي شامل، متفردا في تقديم صورة مغايرة للتقاليد الانتخابية، التي تعتمد على برنامج ومشروع انتخابي، وليس على شخصية المرشح او خلفيته السياسية والاجتماعية، والذي ترك أثرا جديدا في الحياة السياسية في لبنان، فقد نجح في تمثيل متنوع على المستوى المناطقي في أماكن وجوده في البقاع والجنوب وبيروت والضاحية الجنوبية، تمخضت الانتخابات عن إنشاء كتلة الوفاء للمقاومة التي ضمت اثني عشر نائبا: ثمانية من الشيعة واثنان من السنة وواحد من الموارنة وواحد من الروم الكاثوليك، ما أضفى أنموذجا جديدا لحركة سياسية تؤسس تكتلا نيابيا تتسم بالتنوع المجتمعي.

وقد استمرت مشاركة حزب الله في الانتخابات النيابية في السنوات 1992، 1996، 2000، ونجد في هذه الحقبة أن نواب الحزب قد حققوا اندماجا في النسيج الاجتماعي اللبناني، وكسروا حاجز الطائفية والقومية في الحياة السياسية اللبنانية، وساهموا بفعالية في تشريع القوانين ودراسة المشاريع والمقترحات التي تخدم الشعب اللبناني، وانجزوا جملة من الموازنات لإنصاف المحرومين والمناطق المنكوبة، كما أن توليفة حزب الله ذات التنوع المجتمعي اغاض الإدارة الامريكية والكيان الصهيوني، لكونه اكتسب الشرعية من الشعب اللبناني، وهذا يعارض توجهاتهم بوصف حزب الله كمنظمة إرهابية.

في مايو/ أيار من العام 2000 انسحب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان، وقد عد نصرا كبيرا لحزب الله ومحور المقاومة، وتحسنت الظروف الداخلية اللبنانية وتركيز الانظار نحو الاهتمام بالقضايا الأساسية التي تخدم الشعب والدولة اللبنانية، إلاَّ ان تعقيدات تشكيل الحكومات لم تغب عن التفاهمات السياسية، لكون الحكومة عمل تنفيذي يرتبط بسياسات عامة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وامنية، وتحمَّل هذه المسؤوليات يزيد من مسؤولية الحزب في اختيار وزراء يتحملون الأداء الحكومي.

وفي عام 2006، وقع السيد حسين نصر الله مذكرة تفاهم مع ميشال عون والتيار الوطني الحر، ما أسس

لتحالف استراتيجي استمر حتى يوم استشهاد السيد نصر الله، وبدءا من عام 2012، أصبح حزب الله طرفا فاعلا في الأزمة السورية داعما للحكومة السورية

مع هذا التاريخ الطويل للحزب، وقيادته، صار السيد حسن نصر الله أبرز قادة الشيعة في لبنان، ورمزا لمحور المقاومة ومعارضة إسرائيل، تحول حزب الله تحت قيادته إلى عنصر فاعل في الحياة السياسية اللبنانية، وشارك في العديد من الحكومات واللجان النيابية، في الوقت ذاته، صنفت الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد الأوربي، وعدد من الدول الحليفة لهما حزب الله كمنظمة إرهابية (على نحو كامل أو جزئي)، في حين تعد روسيا الحزب منظمة سياسية واجتماعية شرعية، اما الصين فتتبنى موقفا محايدا وتحافظ على علاقات عامة مع الحزب

في السياق ذاته، لا يمكن ان نتجاوز حقيقة خصوصية الواقع اللبناني في تشكيل الحكومة، وفرض المحاصصة المبنية على توازنات طائفية ومناطقية، فضلا عن المكانة الشخصية للسياسيين، التي تغلب عليها الطابع الشكلي دون الالتفات إلى مضمون القضية الحكومية، وهذه الحسابات أصبحت موارد مشروعة في تقييد المحاسبة القانونية في التفرد بالقرارات التي لا تكثرت كثيرا إلى تحقيق المصلحة العامة على حساب المصالح الفئوية الضيقة، فضلا عن التدخلات الخارجية التي سمحت بعض القوى السياسية إلى تسليم إرادتها الوطنية، الامر الذي له علاقة آخر الامر بأداء

الحزب على المستوى السياسي، وتعرضه للملابسات المترتبة عليها.

المبحث الثاني: سيناريوهات مستقبلية لحزب الله

يعد حزب الله علامة فارقة في تاريخ الحركات التحررية، إذ استطاع خوض تجربة فريدة من نوعها في مواجهة تحديات معقدة التركيب، من جهة، مقاومة الاحتلال، ومن جهة ثانية، إدارة الازمة الوطنية، في وسط هذه البيئة المعقدة كان حزب الله يواصل بشكل موازي تعظيم قوته وبناء قدراته العسكرية وانماء فعالياته السياسية والاجتماعية، وتمكن من أن يلعب دورا محوريا في مسألة المصلحة الوطنية، ومركزا مؤثرا في قضايا المنطقة، ولا سيما مقاومة الاحتلال الصهيوني.

وتمثل قيادة السيد حسن نصر الله لحزب الله في العهد الثالث ولثلاثة عقود علامة فارقة في تاريخ الحزب، حتى اعتاد البعض ربط قوة حزب الله بشخصية قائده السيد حسن نصر الله، والذي يحظى بشعبية واسعة في لبنان ودول عربية وإسلامية أخرى، ويعد الوجه الرئيس للحزب، وقد لعب دورا رئيسا في تحول الحزب تاريخيا لدخول الساحة السياسية اللبنانية والإقليمية.

وفي يوم الجمعة 2024/9/27، نفذت طائرات سلاح الجو 80 قنبلة خارقة للتحصينات من نوع «هايفي هايد» MK84 حيث تزن الواحدة طنا، بحسب تقرير لـ«هيئة البث الإسرائيلية»، وكل قنبلة قادرة على اختراق التحصينات بعمق يتراوح ما بين 50 إلى 70 مترا تحت الأرض، الوحدة التي نفذت العملية، هي الوحدة 119 في سلاح الجو بالجيش الإسرائيلي المعروفة باسم «بات»، فيما الطائرات التي نفذت الهجوم هي طائرات «F15»، وكان هدف القصف هو اغتيال السيد نصر الله، وهو ما تم وترك فجيعة في العالم الإسلامي وحركة المقاومة.

لا شك أن استشهاد السيد حسن نصر الله سوف يمثل تحديا نوعيا أمام سياسة حزب الله على مختلف الصعد، سياسيا واجتماعيا وعسكريا، ويفتح أبواب التكهنات على مصراعيها، لذلك سنحاول دراسة أهم السيناريوهات المستقبلية المحتملة في المرحلة الراهنة.

المطلب الأول: سيناريو التهدئة في سياسة حزب الله

قدم الرئيس الأمريكي جو بايدن، ونظيره الفرنسي إيمانويل ماكرون، مقترح وقف إطلاق النار بين الجيش الصهيوني وحزب الله اللبناني، وذلك في اعقاب التصعيد الأخير الذي أودى بحياة قائد الحزب السيد نصرالله وعدد من القيادات السياسية والعسكرية ومئات المدنيين، وأصدرت الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي وعدد من الدول الغربية والعربية، بيانا مشتركا دعا إلى وقف مؤقت لإطلاق النار بين إسرائيل وحزب الله، في محاولة لمنع توسع الصراع إلى حرب واسعة، وذكر البيان «حان الوقت لإبرام تسوية دبلوماسية، تمكن المدنيين على جانبي الحدود من العودة إلى ديارهم بأمان»، وحذرت الدول الموقعة من ان الوضع بين لبنان وإسرائيل لا يحتمل، ويشكل خطرا غير مقبول لتصعيد إقليمي أوسع نطاقا، ليس من مصلحة الشعبين.

وفي السياق ذاته، يصر حزب الله على ربط جبهة لبنان بغزة، وهو ما يزيد من تعقيد فرص التوصل لحل قريب في ظل إصرار إسرائيل على فصل مسار الجبهتين، فإن الولايات المتحدة سعت إلى استغلال

نـزوح أهالـي الجنـوب اللبنانـي لعقـد صفقـة ومسـار جديـد يربـط بيـن غـزة ولبنـان، ظاهـره صفقـة مشـتركة، وجوهـره اتفاقـات منفصلـة لفصـل السـاحات وتحقيـق الهـدف الصهيونـي مـن عدوانـه، ويظـل موقـف المقاومـة ثابتـا، وهـو المضـي في المواجهـة ومنـع عـودة مسـتوطني الشـمال الا بعـد وقـف الحـرب في غـزة، وهـي لـن تتخلـى عـن شـروطها مهمـا كانـت الانزلاقـات، ولـن يشـكل نـزوح أهالـي الجنـوب او البقـاع مـن بيئتهـا ضغطـا عليهـا لأن هـؤلاء الأهالـي والمقاومـة جسـد واحـد ومعركتهـم واحـدة، بـل هـم يحتضنـون المقاومـة ويطالبونهـا بالثـأر ودك معاقـل الكيـان الغاصـب

مـن الواضـح ان حـزب الله ثابـت علـى مواقفـه في القضايـا الأساسـية للمقاومـة، رافضـا أي مقتـرح يـؤدي إلـى تجزئـة بيـن سـاحة لبنـان وسـاحة غـزة، وان التوصـل إلـى تسـوية بوقـف إطلاق النـار لا يعنـي الرضـوخ إلـى أي تنـازلات علـى حسـاب قضيـة دون قضيـة أخـرى، التـي تمـس المقاومـة أو التخلـي عـن أهدافهـا أو ثوابتهـا، لذلـك لا يمكـن الذهـاب باتجـاه التهدئـة أو ابـرام صفقـة تسـوية مـا دام الكيـان الصهيونـي يتحكـم في قيـادة دفتهـا

المطلب الثاني: سيناريو التصعيد في سياسة حزب الله

دخلـت الحـرب بيـن الكيـان الصهيونـي وحـزب الله منعطفـا جديـدا بعـد استشـهاد قائـده السـيد نصـر الله

وعدد من قياداته السياسية والقيادات العسكرية، وصعدت لذلك هجماتها على حزب الله في لبنان، وتعهدت بمواصلة هذه الوتيرة لتحقيق الهدف المرسوم، وقد يؤدي هذا التصعيد إلى إطالة عمر الحرب، ولكن الواضح ان الاختراقات الاستخبارية الإسرائيلية لدوائر الحزب والمقربين منه وصلت في السنوات الأخيرة إلى مستوى أتاح للكيان الغاصب تحديد وكشف هوية اعداد كبيرة من كوادر الحزب وقياداته، والتعرف على أجهزة الهاتف التي يحملونها، ومن ثم متابعتها، وكان حذَّر أمين عام الحزب السيد حسن نصر الله من استخدام الهواتف المحمولة ودعا إلى التخلص منها، ويبدو ان الحزب لجأ في الأشهر القليلة التالية إلى وسائل اتصال تقنية قديمة لم تعد تستخدم على نطاق واسع في العالم.

وعلى الرغم من وضوح الرسالة التي تسلمها حزب الله، فإن حسابات الهدف الإسرائيلي في موجة التفجيرات واسعة النطاق غير تمييزية، أصابت مدنا وبلدات ولم تستثن المستشفيات والمدارس والأسواق، ودون تحديد مواقع عسكرية، فهي بالضرورة تفجيرات ذات طابع إرهابي ومناهض للقانون الدولي وقواعد الحرب، والكيان الغاصب بمثل هذه الهجمات لا يقصد مجرد ارسال رسالة عابرة لحزب الله، بل اراد استفزاز الحزب للقيام برد كبير، يبرر قيام الكيان بإعلان الحرب على لبنان، على ان يضمن الجيش الصهيوني دعما عسكريا أمريكيا وغربيا غير محدودا.

ويبدو ان الكيان يعمل على جر حزب الله إلى خوض حرب واسع النطاق، لم يخرق حزب الله قواعد الاشتباك مع الجيش الصهيوني في مسار المقاومة، الاَّ ان بحث إسرائيل في مواجهة مفتوحة مع حزب الله، هو استكمال لحرب غزة، فإسرائيل تخطط إلى افراغ قطاع غزة من المقاومين، مقابل عودة المستوطنين إلى الشمال، وان عملية اضعاف حزب الله سوف تكون مدخلا إلى ضرب المصلحة الوطنية اللبنانية، وعودة الازمات الداخلية في ضرب نسيجها الاجتماعي، وارتهان الدولة اللبنانية ومؤسساتها السياسية والاقتصادية والعسكرية للمصالح الصهيونية.

على هذا فإن خيار التصعيد في استراتيجية حزب الله السياسية والعسكرية يندرج ضمن السياقات الأساسية في سياسات المقاومة، ولا يمكن المساومة على القضية الرئيسة في استراتيجية المقاومة، بناء على حسابات مرحلية أو تسوية سياسية مجتزئة، فتنوع ساحات المقاومة أصبح مصدر قوة لفواعلها، لذلك فإن خيار حزب الله في التصعيد مع الاحتلال الصهيوني قائم حتى تحقيق أهداف المقاومة، التي تعد حماية لبنان من التهديدات الوجودية من القضايا الرئيسة المقومة لبقاء الوطن والدولة، لما تشكله من خطر دائم على بنية الدولة، وجغرافيا الوطن، وكلتاهما عرضة للاستهداف، خاصة في ظل الأطماع الصهيونية بأرضه وثرواته، ونموذجه التعايشي،

ويشكل الخطر الصهيوني تهديدا وجوديا دائما للبنان، وفق الرؤية الاستراتيجية لحزب الله، وقد وصل هذا التهديد في محطات تاريخية كثيرة إلى تحوله إلى عامل مقوض للدولة، ومغير للمعادلات السياسية الداخلية كما حدث بعد احتلال بيروت، واقتطاع جزء من الجغرافية اللبنانية، والحاقها بمنظومة إسرائيل الأمنية والاقتصادية.

المطلب الثالث: سيناريو الحرب الشاملة في سياسة حزب الله

اتخذ الكيان الصهيوني مسارا تصعيديا خلال الأيام الماضية بتبنيه اغتيال قادة المقاومة في مختلف محاور ساحات المقاومة، لا شك ان عملية اغتيال

انفجار "عين البنيّة" وإعلان الإمام الصدر بداية المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي

مطلع تموز/ يوليو ١٩٧٥ شباب لبنانيون يشاركون في دورة عسكرية في معسكر "عين البنية" - بعلبك

بيان لمنظمة "أمل" حول أهدافها

عند الساعة ٥:٣٠ من بعد ظهر السبت ٦ تموز/ يوليو ١٩٧٥

المدرب يشرح للشباب عن عمل لغم الآليات

■ بعد انتهاء الشرح حدثت مشكلة في اللغم الذي كان يحمله المدرب ...

فانفجر

■ ارتقى في الانفجار ٢٦ شهيدًا بينهم المدرب وأصيب ٤٥ شابًا كانت حالاتهم بين المتوسطة والخطرة

■ تموز/ يوليو ١٩٧٥ يعقد الإمام الصدر مؤتمرًا صحافيًا في مقر المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في الحازمية

■ يعلن الإمام ولادة أفواج المقاومة اللبنانية عارضًا ورقة كتب عليها أحد جرحى الانفجار بدمه عبارة :

" كونوا مؤمنين حسينيين "

إسماعيل هنية في طهران، واغتيال قيادات الصف الأول في حزب الله، وعمليات تفجير أجهزة الاتصالات في لبنان، فلم تتوقف الهمجية الوحشية في سلوك نتنياهو عند هذا الحد، ليقدم على اغتيال قائد حزب الله السيد حسن نصر الله رحمة عليه، وعدد من رفاقه وكان برفقتهم نائب قائد عمليات الحرس الثوري عباس نيلفروشان، لذلك فإن هذه العمليات هي انتهاك صارخ تجاوز فيها الكيان الصهيوني كل الحدود وخطوط الحمر، وهذا التصعيد قد يتجاوز المواجهة المحدودة إلى المواجهة الإقليمية المباشرة التي ستتحول إلى حرب إقليمية شاملة

ان توجه الجهد الحربي للجيش الصهيوني إلى جبهة الشمال جاء في إطار محاولة منه لرسم انتصار سياسي وعسكري بعد فشله في تحقيق انتصار في جبهة غزة، وساعد ذلك تباطؤ حزب الله في أخذ خطوة استباقية في الردع الاستراتيجي الذي يمنع تمادي الصهاينة في عملياتهم الحربية ويجبر غرفة القيادة والسيطرة للجيش الصهيوني على تنفيذ وقفة تعبوية شاملة لعملياته الحربية في لبنان، ويضع في الاعتبار ان الاختراق الأمني الكبير الذي حققه للحزب شجعه على التمادي في عملياته وسبب ارباك وتشويش كبير لغرفة القيادة والسيطرة لحزب الله

ويخطط الصهاينة بدعم امريكي لتنفيذ عمليات برية على الأراضي اللبنانية، واهداف تلك العمليات البرية قيام منطقة آمنة داخل الأراضي اللبنانية، وكذلك القضاء على قدرات حزب الله العسكرية التي بسببها تم تهجير المستوطنين الصهاينة من شمال الأراضي المحتلة، والتصريحات الخادعة التي تطلقها الولايات المتحدة وحلفائها في خفض التوترات الأمنية وإيجاد تسوية سياسية في المنطقة، تتنافى تماما مع الواقع العملي الذي يشنه الجيش الصهيوني في استهداف المقرات العسكرية وقيادات المقاومة وتدمير البنى التحتية وقتل عشرات الالاف من المدنيين في غزة ولبنان، ولكن قدرات المقاومة في الدفاع والاشتباك وسد التوغل، قد تدفع الجيش الصهيوني إلى تغير مخططاته وتكتيكات داعميه من

الولايات المتحدة وحلفائها حسب المرحلة وتقييم الأوضاع العسكرية في الميدان.

ويبدو أن الرد الإيراني المباشر باطلاق مئات الصواريخ على الكيان الصهيوني، واستهدافه لقواعد عسكرية حيوية للجيش الصهيوني واخراجها من الخدمة، قد يشكل ردعا قويا يدفعه إلى مراجعة مخططاته العسكرية بمواصلة الحرب وصولا إلى تحقيق الحرب الشاملة، وهذه الخطوة تساعد حزب الله في مراجعة وترتيب أوضاعه في الوقت الراهن.

الخاتمة:

1. ان حزب الله ليس مجرد حزب سياسي او تنظيم مؤسسي، انما هي جماعة دينية وسياسية واجتماعية، افرزتها الطبيعة المجتمعية اللبنانية، والبيئة المحيطة بها، وهذه الجماعات تمتلك قناعات فكرية ترتبط بالعقيدة والرؤية الكونية في السفر الإنسانية، قبل الروابط السياسية والاجتماعية والثقافية.
2. ان حزب الله هو بنية فكرية عقائدية واجتماعية وسياسية وثقافية وعسكرية، تتفاعل مع البيئة المجتمعية وتستجيب مع افرازاتها، وتشترك مع فواعلها في ترميم نسيجها الاجتماعي، وتقديم المصلحة الوطنية في بناء دولة قوية ومقتدرة في محيطها الإقليمي.
3. يستمد حزب الله قوته من تأريخه في مقارعة الاحتلال الإسرائيلي، فقد سبق مقاومته الاحتلال زمان نشأته البنيوية، وقوة وقدرة الحزب لا تقاس بهيكلية عسكرية مجردة، وانما هو كيان متعدد الأطراف.
4. لا يكمن إخفاء أو إنكار شخصية القائد السيد حسن نصر الله رحمة عليه في إضفاء صبغة القوة والقدرة على حزب الله، أو المكانة السياسية والاجتماعية والعسكرية التي وضعه في مراحل تأريخ المقاومة سواء محليا أو اقليميا، الاَّ ان حزب الله يبقى أكبر من رموزه وقياداته، ولا يمكن ان يتأثر الحزب بفقدانهم، ولكن قد يحتاج في كل مرحلة إلى المراجعة وتقييم الأوضاع حسب الظروف والتطورات الميدانية سياسيا أو أمنيا.
5. نرى أن حزب الله بحاجة إلى مرحلة جديدة من الاستراتيجية المرنة، يكون له المقدرة على إدارة توازنات القوى، وإيجاد سياسات تتلائم مع المرحلة ومتطلباتها، فإن القيادة الجديدة تحتاج إلى عامل الوقت في ترميم ما صدعته الظروف السياسية والأمنية مؤخرا في أوضاع الحزب من خروقات أمنية على مستوى عالي في داخل صفوفه، وإعادة تنظيم في أجهزته العسكرية والاستخبارية والتكنولوجية، وتعيين قيادات سياسية وعسكرية وإدارية فاعلة مع المرحلة الجديدة.
6. اتخاذ المقاومة استراتيجية الاستجابة الشاملة، فعندما تتعرض أي محور من محاور المقاومة إلى استهداف عسكري إسرائيلي، فعلى المقاومة تحريك كل محاورها والمبادرة إلى تفعيل جميع ساحات المقاومة في الرد

العسكري بشكل مباشر، من اجل ردع العدوان

المصادر:

1. حسن فضل الله، حزب الله والدولة في لبنان، ط3، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت-لبنان، 2015.
2. نعيم قاسم، حزب الله المنهج..التجربة.. المستقبل، ط7، دار الحجة البيضاء للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 2010.
3. رينو جيرارد، حرب إسرائيل الضائعة ضد حزب الله، دار الخيال /مكتبة نرجس، بيروت-لبنان.
4. امل سعد غريب: ترجمة حسن الحسن، ط2، حزب الله السياسية والدين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت–لبنان، 2009.
5. مات م. ماثيور، حرب 2006 بين حزب الله وإسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت –لبنان، 2008.
6. عبدالاله بلقزيز، حزب الله من التحرير إلى الردع (1982-2006)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت –لبنان، 2006.
7. إبراهيم محمد منيب، الابعاد السياسية لموقف حزب الله من الصراع على السلطة في سوريا، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الازهر – غزة – كلية الاداب والعلوم الإنسانية – قسم التاريخ والعلوم السياسية، 2015.
8. احمد عدنان الميالي، مسارات المواجهة بين الكيان الصهيوني ومحور المقاومة بعد اغتيال شكر وهنية، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية-قضايا اقليمية، 2024/8/8.
9. المرصد العسكري، قراءة عسكرية للحرب على غزة بعد ما يقرب من عام على اندلاعها، المرصد للنشر والصحافة والاعلام، مصر، 1اكتوبر 2024.
10. مركز الجزيرة للدراسات، تصعيد إسرائيل في لبنان: منعرج جديد في حرب طويلة، 23 سبتمبر 2024.
11. إيهاب شوقي، العدو فشل في رسم معادلات جديدة والمقاومة تواصل نصرتها لغزة، المقاومة الإسلامية-لبنان، 2024/9/27 https://moqawama.news.
12. سكاي نيوز عربية، جهود التهدئة.. وإصرار حزب الله على ربط جبهة لبنان بغزة، 26 سبتمبر 2024، https://www.skynewsarabia.com
13. الحرة-دبي، ردود فعل متباينة في إسرائيل بشأن التهدئة مقترح التهدئة مع حزب الله، 26 سبتمبر 2024، Alhurra.com
14. الجزيرة نت، الذكاء الاصطناعي: هكذا اغتالت إسرائيل..https://www.aljazeera.net
15. انترنيت، ar.m.wikipedia.org
16. انترنيت، حسن نصرالله: كيف اغتالت إسرائيل الأمين العام لحزب الله.https://www.bbc.com

د. فراس إلياس

«الرد المنتظر»

إيران ومعادلة الردع مع الكيان الصهيوني

شكلت أحداث 7 أكتوبر / تشرين الأول 2023، لحظة فارقة في الشرق الأوسط، لحظة يمكن عدها تحولاً جوهرياً في سياق الصراعات الإقليمية التي شهدتها المنطقة منذ مطلع القرن الحادي والعشرين، فهي المرة الأولى التي يجد فيها الكيان الصهيوني نفسه مهدداً من الداخل والخارج في آن واحد، والأهم إن حركة حماس هي من فرضت الحرب على الكيان في الزمان والمكان الذي تريده، وليس الكيان الذي لطالما حاول فرض رؤيته وأهداف في سياق صراعات المنطقة، وتحديداً الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

وبما أن حركة حماس تمثل امتداداً طبيعياً لمحور المقاومة، فكان لا بد أن تحجز إيران مكانة مركزية في الصراع مع الكيان الصهيوني، سواءً على مستوى الموقف من إسرائيل، أو الدعم الموسع للحركة، والحقيقة إن إيران والكيان يتصارعان منذ فترات طويلة، ولكن الصراع كان يدور إلى حد كبير تحت غطاء عمليات سرية، فيما كان يُعرف بـ(حروب الظل)، إذ أدت الحرب الصهيونية على غزة، ومن ثم لبنان، إلى تغيير طبيعة الصراع، بحيث أصبح الصراع بين ايران والكيان صفريا إلى حدٍ كبير، ولم يعد معه الحديث ممكناً عن تهدئة تعيد الطرفين لقواعد الإشتباك القديمة، دون أن يقدم أي طرف للآخر تنازلات جوهرية، تحفظ ما تبقى للمنطقة من أمن واستقرار

ففي 1 أكتوبر / تشرين الأول الجاري، تجاوزت إيران صبرها الإستراتيجي وتراجعها التكتيكي، وشنت هجوماً صاروخياً واسعاً ضرب عمق الكيان الصهيوني، رداً على إغتيال زعيم حركة حماس (إسماعيل هنية) الذي اغتالته إسرائيل داخل طهران في 31 يوليو / تموز الماضي، وكذلك رداً على إغتيال زعيم حزب الله اللبناني السيد (حسن نصر الله) في 27 سبتمبر / أيلول الماضي، خلال هجوم صهيوني واسع النطاق على جنوب لبنان

يعد الهجوم الإيراني على الكيان الصهيوني هو الثاني من نوعه خلال 6 أشهر الماضية، إذ كان الهجوم الأول في 13 أبريل / نيسان الماضي، رداً على القصف الصهيوني للقنصلية الإيرانية في دمشق، ورغم إن الهجوم الأول كان أوسع نطاقاً، إذ استخدمت فيه صواريخ باليستية وطائرات مسيرة، إلاّ إن الهجوم الأخير كان الأكثر تأثيراً، رغم إنه كان الأقل كثافةً من الأول، سواءً من حيث سرعة وصول الصواريخ، أو من حيث عدد الصواريخ التي اخترقت القبة الحديدة، والتي تجاوز 80 صاروخ من أصل 250 صاروخ تم إطلاقها من داخل الأراضي الإيرانية، وضربت أهداف حيوية في الأراضي المحتلة داخل الكيان، وأهمها قاعدة نيفايتم الجوية التي تضم أهم أسراب القوة الجوية الإسرائيلية، وخصوصاً طائرات إف 35.

وفي سياق الهجوم الإيراني على الكيان في 13 أبريل / نيسان الماضي، فإن هذا الهجوم المحدود وغير المميت، تم إعتباره تبادل مدروس للهجمات، ومؤشراً على أن كلا الجانبين يفضلان التهدئة، بدلاً من الانخراط

في حرب مفتوحة مستمرة، ولكن العمليات العسكرية الإسرائيلية الأخيرة، وتحديداً في داخل لبنان، أدت إلى ردود فعل عسكرية إيرانية تصعيدية، مما أجبر الصراع على الخروج من الظل، ومع تدهور قدرات حماس وقيادتها في قطاع غزة، أعلن القادة العسكريون الصهاينة في يونيو/ حزيران أنهم "مستعدون لمواجهة" حزب الله اللبناني، والتي أدت هجماته الصاروخية المستمرة ضد شمال الكيان في إخلاء المستوطنات، فضلاً عن إلحاق خسائر مؤثرة بجيش الكيان.

البحث عن هدف جديد

لقد تزامن التحول الصهيوني من غزة إلى لبنان، مع اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس (إسماعيل هنية) في 31 يوليو/تموز 2024 أثناء إقامته في طهران، وقد اعتُبرت العملية الإسرائيلية انتهاكاً لسيادة إيران، كما شكلت مصدر إحراج للجمهورية الاسلامية، ورغم أن المرشد الأعلى (آية الله السيد علي الخامنئي) تعهد "برد قاس" ضد الكيان، إلاّ أن إيران لم تتخذ أي إجراء آني، لأنها كانت تدرك بأن الكيان الصهيوني يرغب بحرب ضمن الشروط التي وضعتها حكومة (بينيامين نيتنياهو)، التي تعرضت لهزات كبيرة في الداخل الصهيوني، بدءاً من فضائح الفساد، حتى الخسائر العسكرية التي لحقت بجيش الكيان جراء الحرب في غزة، ومن أجل توحيد الداخل الصهيوني خلفه، بدأ نتنياهو يفكر بعدو أكبر قيمة وأكثر تأثيراً في مدركات الداخل الصهيوني، وأصبحت إيران هي الهدف هذه المرة.

لقد دفع تمسك إيران بخيار الصبر الاستراتيجي إلى تزايد الحديث عما إذا كان الرد الإيراني على اغتيال هنية سيتحقق أصلاً، وفيما إذا كانت إيران تفكر باستنزاف إسرائيل عسكرياً واقتصادياً، عبر الهجمات التي شنتها باستمرار باقي أطراف محور المقاومة، وتحديداً في العراق واليمن، وفي كلا الحالتين فإن هذا الواقع لم يردع الكيان عن التوجه لفتح جبهة جديدة في لبنان، وتحديداً منذ منتصف شهر سبتمبر / أيلول الماضي، إذ بدأ الكيان بعملية سرية لزرع الفوضى والارتباك في البنية القيادية والميدانية لحزب الله اللبناني، من خلال أجهزة الاتصالات المتفجرة (البيجر) وأجهزة النداء (اللاسلكي)، ثم نفذ الكيان غارات جوية استهدفت كبار قادة الحزب، وأبرزهم قائد قوة الرضوان (إبراهيم عقيل) وقائد الجبهة الجنوبية في الحزب (إبراهيم كركي)، وكان أهم هذه الأهداف زعيم الحزب السيد (حسن نصرالله)، ثم أطلق جيش الكيان ما وصفه بأنه " عملية برية محدودة " في جنوب لبنان، لإزالة مواقع حزب الله على طول الحدود الشمالية.

لقد كان الهجوم الذي شنته طهران في 1 أكتوبر/ تشرين الأول رداً على الكيان، والذي أطلقت عليه (الوعد الصادق 2)، وفقاً للعديد من الخبراء وحتى القادة العسكريين الإيرانيين، بمثابة انتقام في المقام الأول لاغتيال إثنين من كبار القادة في حماس وحزب الله، وكذلك يمثل تصعيداً إيرانياً قد تكون من نتائجه خفض التصعيد من قبل الكيان، وبالشكل الذي يجعله يتراجع خطوة للوراء فيما يتعلق بطموحاته العسكرية جنوب لبنان، والتخلي تماماً عن فكرة إخضاع أطراف محور المقاومة عبر التلويح المستمر بالحرب المفتوحة.

مما لا شك فيه إن الأهداف الإيرانية وراء الهجوم على إسرائيل، كانت عديدة، ولكنها تصب بشكل أساسي في إعادة تشكيل مدركات حكومة نتنياهو حيال إيران، وتحديداً في معادلة "استعادة الردع"، عبر المصداقية وإمكانية الوصول والتأثير الواضح، إذ أن الأجيال الجديدة من الصواريخ الباليستية التي إستخدمتها إيران في هجومها الصاروخي الأخير، وتحديداً صواريخ

خيبر بعيدة المدى، قد تجعل الكيان يتراجع عن فكرة الحرب المفتوحة، نظراً للأكلاف الكبيرة التي تقف خلفها، والتحديات التي قد تفرضها على داخل الكيان، واقتصادياً وسياسياً، إذ إن فشل القبة الحديدية في إسقاط الصواريخ الإيرانية، يعني أن الداخل الإسرائيلي لن يكون في مأمن فيما لو اتجه السياق الصراعي مع إيران نحو حرب الوجود

إعادة الكيان خطوة للوراء

تدرك إيران طبيعة الوضع الاستراتيجي الدقيق الذي يعيشه حزب الله اللبناني اليوم، بعد الاغتيال أبرز القيادات الميدانية للحزب، والتي شكلت تحدي كبير أمام الكيان، على طول خط الصراع بين الحزب والكيان، وفي ظل تهديد الكيان المستمر بالوقت الحالي بإبعاد قوات الحزب إلى شمال نهر الليطاني، فإن إيران تأمل في إبطاء وعكس تحركات الكيان الاستخبارية ضد حزب الله، خاصة مع شروع الكيان في شن عمليات برية في جنوب لبنان، وبطبيعة الحال، يتعين على القوات البرية للكيان الآن أن تتعامل مع ما قد يكون ربما أقوى قوة قتالية في المنطقة، وهي القوة التي نجحت في طرد جيش الكيان من جنوب لبنان عام 2000، وتشكيل معادلة ردع جديدة مع الكيان في حرب تموز 2006

إذ يمتلك حزب الله قوة مشاة فاعلة ومؤثرة، وقادرة على إلحاق خسائر كبيرة في صفوف القوات الصهيونية، وهذا ما تأكد حتى اللحظة، ورغم بدأ عملياتها البرية في جنوب لبنان منذ مطلع أكتوبر / تشرين الأول، إلاّ إن الكيان فشل في تحقيق نجاحات ميدانية تذكر، إلى جانب

تعرضه لخسائر بشرية كبيرة في صفوف قواته المتقدمة، لقد سمح تراكم القوة لدى قوات الحزب - نتيجة مشاركته في حروب متعددة - إلى توسع القوات البرية للحزب، بحيث تتوزع اليوم على خمسة وحدات قتالية، وهي "وحدة الرضوان ووحدة عزيز ووحدة حيدر ووحدة النصر ووحدة بدر"، وتروح عديدها بحدود 100000 ألف مقاتل، حسب مصادر الحزب، وهي تنتشر على طول الجبهة اللبنانية، من سهل البقاع وحتى البحر، ما سيجعل الكيان يواجه تحديات ميدانية كبيرة للغاية.

ومع ذلك، فإن قدرة الكيان على تحقيق مفاجأة تكتيكية، حتى في خضم حرب محلية مستمرة يظل واردا، في ظل الخروقات الإستخبارية التي تحققت، سواءً عبر مصادر محلية أو جوية، إذ تكشف التصريحات المستمرة لرئيس أركان جيش الكيان (هرتسي هاليفي) عن وجود رغبة واضحة لدى الكيان لشن عمليات برية داخل الحدود اللبنانية، تكشف عن استراتيجية واضحة للكيان، مع وجود خروقات استخبارية قد يقوم بها الكيان في صفوف القيادات الميدانية للحزب، وإلاّ لما كان الكيان متمسك بخيار العمليات البرية لهذا الحد.

لقد كشفت الكلمة التي ألقاها المرشد الأعلى (آية الله السيد علي الخامنئي) خلال تأبين زعيم حزب الله السيد (حسن نصرالله) يوم الجمعة في 9 أكتوبر / تشرين الأول الجاري، الكثير من ملامح المرحلة المقبلة، وتحديداً مرحلة ما بعد الهجوم الإيراني على الكيان، عندما تحدث عن الحرب الطويلة مع الكيان، ويعني أيضا ان ايران تعد إن الرد قد تحقق، وإن المرحلة الحالية هي مرحلة استعداد واختبار لنوايا الكيان، وبالتالي فإن عدم رد الكيان على الهجوم الإيراني يعاني أن إيران نجحت إلى حد كبير في استعادة الردع، كي تتفرغ للمهمة الأساسية لها، وهي تمكين حزب الله على العودة من جديد.

وعلى الرغم من خطورة ما حدث، يمكن القول بأن اغتيال السيد نصر الله لن يجبر إيران على تغيير مسارها، وسوف تواصل التصعيد ضد الكيان، وستعمل على مسارين:

1. الأول ترتيب صفوف حزب الله من جديد، وبناء منظومة اتصال آمنة مع قيادة الحزب الجديدة، من أجل تهيئته عسكرياً وأمنياً.
2. الثاني: فيتمثل بترك مساحة التصعيد المنضبط مع الكيان لأطراف محور المقاومة في العراق وسوريا واليمن، وبالشكل الذي لا يدفع نحو الاتجاه لحرب مفتوحة، لا تريدها إيران.

معركة استعادة الردع

لقد كشف الرد الإيراني على الكيان عن وجود حاجة إيرانية لاستعادة الردع الذي بدا أنه تخلخل مع الكيان، إذ إن الميزتين الأساسيتين لاستراتيجيات إيران الخارجية المترابطة، هي "الدفاع المتقدم"، و"الردع الموسع"، واللتان تتمثلان بالتناوب العملياتي بين القوة الصاروخية / الطائرات المسيرة، وانتشار العناصر البشرية لقوات محور المقاومة على أكثر من مسرح عسكري على امتداد الشرق الأوسط، وهو ما يجعل أي مواجهة مفتوحة مع الكيان ذات نتائج عالية التكاليف، سيتحملها الكيان قبل إيران نفسها.

إذ تسعى هذه الإستراتيجيات الدفاعية الإيرانية إلى ردع الأعداء بطريقتين: الأولى من خلال تهديد الكيان بالعقاب عبر حلفاء المحور، أو الهجمات بالصواريخ والطائرات المسيرة بعيدة المدى؛ والثانية، عبر قابلية استيعاب الخسائر وهي المزية التي تتمتع بها إيران ومحور المقاومة، وهي ميزة لا يتمتع بها الكيان، ما يجعل معادلة الردع بين الطرفين معقدة للغاية، ولا

تنحصر فقط بالنجاحات الآنية التي حققها الكيان في الآونة الأخيرة

ورغم أن إضعاف حركة حماس من جانب، والعمليات المستمرة ضد حزب الله من جانب آخر، قد تهدد قدرة إيران على الردع، إلاّ إن الهجوم الإيراني الأخير يعتبر استثناءاً من هذه القاعدة، خصوصاً مع إعلان إيران بأنها قادرة على الانخراط المباشر مع الكيان، دون الحاجة لتدخل الأدوار التي يقوم بها المحور، بل يمكن القول بأن التحرك الإيراني الأخير سيدفع الكيان لمراجعة العديد من التخطيطات العسكرية الصهيونية في لبنان، والتي كانت مبنية بالأساس على فرضية عدم رد إيران، أو عدم انخراطها، واستمرارها بسياسة الصبر الاستراتيجي

ويمكن القول بأن ما يمر به حزب الله اليوم، هو ما دفع إيران إلى شن هجوم صاروخي مباشر ضد الكيان، وبغض النظر عن مدى الاضرار التي احدثها الهجوم الإيراني، ولكن من المؤكد أن هذا الهجوم لن يكون الخطوة الأخيرة في الصراع بين الطرفين، خصوصاً مع تصريحات حكومة نتنياهو، التي هددت بالرد، وقد قابل قادة الحرس الثوري هذا التصريح بتهديد مضاد من جانبهم، مفاده أنه إذا رد الكيان، فإن إيران سترد مرة أخرى بهجمات "ساحقة ومدمرة" غير محددة

ومع ذلك فإنه من غير المؤكد أن يتراجع أي من الجانبين؛ وقد يكون هذا صحيحاً من الناحية العسكرية أيضاً، ولكن طبيعة ونطاق الخطوة التالية التي سيتخذها الكيان ضد إيران هي من ستحدد كيفية تطور الحرب مع إيران ومحور المقاومة، وفيما إذا كانت الأمور ستبقى في إطار الرد والرد المحدود، أم ستتجه نحو الحرب المفتوحة، والتي بدأت ملامحها تلوح في الأفق

الحرب
على
غزة

م.م. مصطفى الفؤاد

مركز بناء السلام والتعايش السلمي/ جامعة الموصل

ارتدادات الحرب على غزة

وأثرها في التحولات الأمنية للبحر الأحمر

ما يشبه المقدمة

إن ما تشهده البيئة الأمنية في منطقة البحر الأحمر والمناطق المتماسة معه، يشكل تهديداً متنامياً يرتبط في جانبه المباشر بتداعيات الحرب على غزة، لاسيما بعد الانخراط الحوثي في مسارات التهديد الذي تشهده المنطقة، وما نتج عنه من تحشيد دولي على الطريقة التقليدية للوجود العسكري لتأمين طريق التجارة الدولي الذي يمر عبر خليج عدن والبحر الأحمر ثم قناة السويس كونه شرياناً حيوياً للتجارة العالمية ونقل النفط الى الدول الأوروبية، فضلاً عمّا تعكسه ارتدادات الحرب على غزة من آثار على الامن الدولي والتي تتمثل بوجود فاعلين دوليين يحاولون الدخول الى لعبة السياسة الدولية، عبر فرض الارادات على منفذ البحر الأحمر الجنوبي المتمثل بمضيق باب المندب.

إن هذه التعقيدات تدفع الباحث الى الانطلاق نحو فهمها من إشكالية مفادها: إن قطاع غزة وبالرغم من بعده الجغرافي عن منطقة جنوب البحر الأحمر، إلاّ أنه أثر في قضية الامن بصورة مباشرة وبات يشكل هاجساً أمنياً للعالم أجمع، لاسيما بعد دخول فواعل من غير الدول الى معادلة الأمن البحري، فعملت هذه (الفواعل) على استثمار الصراع الدائر في غزة لإثبات الوجود أولاً وفرض نوع من توازن التهديد ثانياً

ومن هذه الإشكالية يمكن أن نفترض ان: إن الحرب على غزة تعد القضية الرئيسة التي تشكل بعداً اساسياً في إعادة رسم التهديدات الأمنية التي تتعرض لها منطقة البحر الأحمر لاسيما مع وجود فاعلين دوليين لهم تأثيرهم المباشر في توازن التهديد الذي أخذ بعداً عالمياً في التأثير على الامن الدولي من خلال العمليات العسكرية قصيرة الأمد التي تركز على إيقاع اكبر قدر ممكن من الخسائر بالسفن التابعة للأطراف الساندة للكيان الصهيوني والولايات المتحدة الامريكية والذي بدوره يعمل على زيادة جماح عوامل الدفع السياسي والاقتصادي والاجتماعي التي ترتكز عليها جماعة انصار الله الحوثي لبرهنة موقعها المستقبلي في المعادلة الاقليمية

في هذا السبيل، اعتمدت منهجية الدراسة في معالجتها للموضوع على المنهج الاستقرائي بكل تفاصيله بدءاً من الملاحظة والتتبع وصولاً الى تفسير الحرب على غزة وتأثيراتها الأمنية على البحر الأحمر، وللوصول الى شاملية الدارسة كان لا بد من الاستعانة بأساليب تعزز قراءتها وهي كلٌ من: الأسلوب الوصفي والأسلوب والاستشرافي

تضمنت هيكلية الدراسة ثلاثة مباحث فضلاً عن المقدمة والخاتمة، إذ تضمن المبحث الاول، الأهمية الجيو_ستراتيجية للبحر الأحمر مستعرضاً فيها الأهمية الجيو_سياسية والجيو_اقتصادية. وفي المبحث الثاني حاول الباحث استعراض طبيعة الحرب على غزة وتأثيراتها من خلال التهديدات الأمنية وقوة الأطراف المتصارعة، وفي المبحث الثالث سعى الباحث جاهداً الى استعراض تقاطعات المصالح القومية

والدولية في البحر الأحمر كرؤية استشرافية للتحولات الأمنية في منطقة البحر الأحمر بالاعتماد على مشاهد افتراضية

المبحث الأول: الأهمية الجيو-ستراتيجية للبحر الأحمر

إن البحر الأحمر وبسبب موقعه الجغرافي المتميز أصبح محط انظار واهتمام السياسات الدولية والإقليمية وذلك لكونه الطريق الوحيد الذي يربط البحر الأبيض المتوسط مع المحيط الهندي فضلاً عن أنه يشكل بحيرة عربية متكاملة مع الخليج العربي ذو الأهمية النفطية، كما أنه يرتبط بمنطقة القرن الافريقي المشرفة على مدخله الجنوبي والمتمثلة بخليج عدن ومضيق باب المندب وأخيراً يتحكم في مدخله الشمالي قناة السويس ذات الأهمية العالمية لذا فإن ما يمتلكه البحر الأحمر من الخصائص الاستراتيجية للمكان جعلت منه اقليمياً حيوياً يؤثر على عصب القوة الاقتصادية والعسكرية للقوى العالمية المتنافسة والمتصارعة على مناطق النفوذ. وبهذا سيناقش المبحث الاتي

المطلب الأول: الأهمية الجيو_سياسية

إن أهمية البحر الأحمر الجيو_سياسية تنطلق من افتراض مفاده، إن من يتحكم في مضيق باب المندب يستطيع السيطرة على البحر الاحمر ومن يسيطر على البحر الاحمر يستطيع التحكم في قناة السويس ومن يتحكم في قناة السويس يهدد الامن الاقليمي للمنطقة ومن يهدد الامن الإقليمي للمنطقة يضع الامن القومي العربي في خطر ومن يضع الامن القومي العربي في خطر يستطيع السيطرة على المكامن النفطية في المنطقة انتاجاً ومروراً وبالتالي يؤثر بالأمن الدولي1، وهو ما يممن مناقشته على النحو الاتي

أولاً: سياسياً

تتزايد الأهمية الجيو_سياسية للبحر الأحمر بمواقع ذات أهمية ستراتيجية كالمضايق والقنوات التي تستمد أهميتها الاستراتيجية من حيث كونها مواقع مراقبة وسيطرة وتحكم، وأكسبت دول (مصر، وجيبوتي، واليمن) إمكانية السيطرة على الطرق البحرية المتحكمة في مداخل البحر الأحمر، لكن إن تم السيطرة على قناة السويس بالاتفاقيات الدولية، فإن مضيق باب المندب يشكل المعضلة الأمنية التي تحاول الدول الكبرى السيطرة عليها للحفاظ على شريان تجارتها مع العالم، لذا فإن دراسة أهمية موقع البحر الأحمر السياسية تكون من خلال

1) قناة السويس

شُقت عام (1869)، وبسبب أهميتها الجيو_سياسية هرعت الدول الى التفكير بما يجب أن يكون وضعها الدولي، وكرست اتفاقية القسطنطينية عام (1888) لضمان حرية العبور من القناة وفرضت مبدأً دولياً يمس سيادة دولة مصر حتى بعد تأميم القناة عام (1956)، لذا فإن القناة تتعاظم أهميتها مع ما ينفذ من خلالها من التجارة العالمية الذي يقدر بـ(8%) و(22%) من تجارة الحاويات2، وهي بهذا تكون قد ربطت بين البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط كونهما _بحار شبه مغلقة_ وعملت على توفير الوقت واختصار المسافة بين البحار الشرقية الغربية والتي تؤثر بدورها على تكاليف الشحن والاقتصاد في

الوقود مقارنة مع طريق رأس الرجاء الصالح الذي أخذت تتبعه اغلب سفن الشحن العالمية كطريقاً بديلاً3 منذ اندلاع الحرب على غزة في (7/ تشرين الأول/2024)، وإعلان جماعة انصار الله الحوثي الدخول الى خط المواجهة المباشرة مع الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الامريكية

2) مضيق باب المندب

الممر الاستراتيجي الذي يصل البحر الأحمر بخليج عدن وبحر العرب والمحيط الهندي، ويشترك بحدوده البحرية مع اليمن كلٌ من جيبوتي وإرتيريا، إذ يبلغ عرضه حوالي (30)كم وتعد جزيرة (ميون) من أهم الجزر الموجودة في البحر الأحمر كونها تقع وسط المضيق ومحمية بجبال طبيعية وفيها فنارات لإرشاد السفن وبالتالي تتحكم بالمضيق تحكماً كاملاً ومن يسيطر عليها يتحكم بالدخول والخروج من والى البحر الأحمر4، وبهذا يكون مضيق باب المندب من أهم المضايق العالمية وذلك حسب تقديرات (مركز إدارة معلومات الطاقة الامريكية) لعام (2018)، فإن (6،2) مليون برميل نفط في اليوم تعبر من خلاله5، وهو ما يجعله اكثر المسارات البحرية ازدحاماً في

العالم، بعد مضيق هرمز(17) مليون برميل، ومضيق ملقا(15,2) مليون برميل يومياً6.

كما أن الأهمية التجارية الكبرى لمضيق باب المندب تتأثر بالظروف الأمنية في المنطقة وتعرقل حركة الملاحة البحرية في المضيق، وباستحضار التاريخ نرى بأن اغلاق المضيق في حرب تشرين (1973) من قبل القوات المصرية بالتعاون مع البحرية اليمنية في وجه الملاحة الصهيو_أمريكية، ترك اثراً كبيراً في عقليات صناع قرار الدول الكبرى، والذي يقضي بضرورة عدم تكرار فرض الحصار البحري والسيطرة على المضيق لكي لا تتأثر التجارة الدولية، وفي نفس السياق هددت عمليات القرصنة البحرية عام(2008_2017) قبالة السواحل الصومالية خطوط الملاحة البحرية وسلامة الامن البحري في مضيق باب المندب وخليج عدن، الامر الذي دفع بالدول الكبرى، ان تتجه صوب شرعنة وجودها في هذه المنطقة البحرية من خلال سلسلة قرارات أصدرها مجلس الامن، تبيح التدخل وملاحقة القراصنة حتى في المياه الإقليمية للدولة الصومالية لفرض الامن البحري وسلامة التجارة الدولية7، ويبدو بأن الامر يعيد نفسه من خلال ما تقوم به جماعة انصار الله الحوثي من تهديد للسفن التي تمر عبر مضيق باب المندب وتعود بملكية حمولتها للكيان الصهيوني، وهي كجزء من مشاهد تعقيدات الصراع على غزة

3) مضيق تيران

يربط هذا المضيق البحر الأحمر بخليج العقبة، ولا يستخدم في الملاحة الدولية وذلك لأنه يؤدي الى خليج مغلق، إلاّ أن أهميته الإقليمية تكمن في تحكمه بهذا الخليج فضلاً عن تأثيراته المباشرة بالدول المطلة عليه (مصر والسعودية والأردن) والكيان الصهيوني، التي سعى كل طرف مطل عليه لاستخدامه من اجل تعزيز قدراته العسكرية، وحماية أمنه القومي

ومن اجل تعزيز كل طرف لقدراته الدفاعية والهجومية، لجأت الدول المشاطئة الى القوى الدولية للحصول على التقنيات الدفاعية لحماية مصالحها من أي تهديد تتعرض له، وتوصلت الى ترتيب علاقاتها فيما بينها عن طريق الاتفاقيات الثنائية8، لكن لا أهمية تذكر لمضيق تيران دون ترتيب الرؤية الجيو_سياسية مع مضيق باب المندب وقناة السويس وبالذات مع ظهور فاعلين دوليين جدد يتمثلون بجماعة انصار الله الحوثي يسيطرون على ما يزيد عن (4000) كم من الحدود البحرية لليمن تشرف وتتحكم بخليج العقبة ومضيق باب المندب والبحر الاحمر

من خلال ما تقدم يمكن القول بأن الممرات البحرية المتحكمة في البحر الأحمر_ قناة السويس ومضيق باب المندب وخليج عدن_ تبقى محط اهتمام جميع الفواعل الدوليين، نظراً لأهميتها الاستراتيجية التي تجعل التنافس والصراع الدولي على أشده عندما تتعرض المصالح الدولية النفطية والتجارية للخطر

ثانياً: أمنياً وعسكرياً

إن البحر الأحمر من البحار الاستراتيجية المهمة، وذلك لأهميته المؤثرة عسكرياً وأمنياً في أقاليم عدة لاسيما وأن هذه الأقاليم تتمتع بأهمية استراتيجية عالية، لذا فإن وقوع منطقة القرن الافريقي واليمن عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر جعل منها منطقة ذات أهمية حيوية للقوى الدولية المتنافسة على النفوذ والهيمنة مما شكل تهديداً لأمن البحر الأحمر وتأمين حركة الملاحة فيه، لا سيما مع قضايا مهمة، تاريخية

كالصراع (العربي_الصهيوني)، ومعاصرة كالقرصنة البحرية والإرهاب، ومع الخليج العربي يرتبط البحر الأحمر ارتباطاً عضوياً كونهما يمثلان ذارعي المحيط الهندي عن طريق الوصلة المفصلية المتمثلة بخليج عدن.9

لذا فإن هذا الواقع أوجد افتراضاً يؤكد بأن البحر الأحمر والاقاليم المتماسة معه كالقرن الافريقي من الجهة الافريقية والخليج العربي من الجهة الأسيوية فضلاً عن المحيط الهندي، كوّن مثلثاً استراتيجياً حظي باهتمام الفواعل الدولية المتنافسة على تقسيم العالم الى مناطق نفوذ وإن هدف تأمين مصالح هذه الفواعل صاغ مدركها لأمن البحر الأحمر والتي يمكن مناقشتها من خلال

1) ثنائية الفواعل الإقليمية...البحث عن المصالح وإثبات الوجود

يعد تحالف (حركة حماس، وحزب الله في لبنان، وجماعة انصار الله الحوثي، والقوى الأخرى التي تنظم نفسها ضمن اطار مصطلح محور المقاومة) بالإضافة الى ايران يعد أحد عوامل التحولات الأمنية التي يشهدها البحر الأحمر، وذلك نتيجة لقوة التأثير الذي بات الحوثيون يلقونه على الامن البحري في منطقة خليج عدن والبحر الأحمر، لذا صاغ هذا الحلف نظرته لأمن البحر الأحمر واستثماره في التأثير بمجريات الحرب على غزة من خلال رؤى صناع القرار التي ترى بأن10:

الموقع الجغرافي لليمن يشكل نقطة تحول مهمة واساسية في الدخول على خط المواجهة الصهيو_أمريكية ومساندة حركة حماس في حربها التي تدور رحاها على قطاع غزة، وهذا الامتياز الجغرافي من الممكن أن يمنح الحوثيين الفرصة لتعزيز وضعهم ومكانتهم الدولية عبر التهديدات المستمرة التي تمارسها على السفن المحظور دخولها الى موانئ الكيان الصهيوني

البحر الأحمر يشكل امتداداً ستراتيجياً لإدراك الحوثيين لأهمية الدخول على خط المواجهة مع الكيان الصهيوني من أجل التأثير في المعادلة السياسية للأمن والاستقرار الاقليمي وفرض الإرادة على البحر الأحمر وعدم جعله هدفاً للأطماع الصهيو_أمريكية، وكذلك استثمار هذه الإرادة من خلال الدخول في المفاوضات المستقبلية

البحر الأحمر لم يكن بمنأى عن صانع القرار الإيراني، مع تأكيده على ضرورة أن يحتل مكانة مهمة في سياسته الخارجية، لاسيما بعد بروزها كفاعل إقليمي رئيسي مؤثر في السياسات الدولية، كما أن ايران تعد مضيق باب المندب منفذاً حيوياً لتحركاتها الملاحية وامدادات الطاقة خوفاً من حدوث أي اضطراب في اليمن والذي من شأنه أن يؤثر في نشاطاتها البحرية في المنطقة

إدراك أهمية البحر الأحمر لدى صانع القرار الإيراني تتمثل بترسيخ النفوذ السياسي والعمل على تأسيس الوجود المادي على الأرض وفي البحر وفي الموانئ التي قد تهدد بها ممرات البحر الأحمر الحيوية خلال الازمات وبخاصة عند المدخل الجنوبي المتمثل بمضيق باب المندب، وهو ما عبر عنه سعيد قاسمي - أحد قادة الحرس الثوري الإيراني - بقوله: "حتى قبل سنوات من كان يظن بأن مضيق باب المندب الذي يعتبر ثاني مضيق استراتيجي في العالم يقع بيد (الحوثيين) الذين سيطروا على باب المندب وهذا لانتصار كبير لنا(...) كل من يفهم في الاستراتيجية العسكرية وتضع أمامه الخريطة وتقول له بأن هذه المنطقة وقعت بأيدينا، سيفهم حجم العمل الذي قمنا به"11 أي أنها

استطاعت أن تبسط نفوذها في اثنين من أهم المضايق الاستراتيجية في العالم (مضيق هرمز ومضيق باب المندب)

القدرة على الضغط والتأثير والردع باستخدام القدرات الصاروخية والطائرات المسيرة من دون طيار والزوارق المفخخة لدى الحوثيين لضرب السفن وتهديد التجارة العالمية وذلك لإجبار الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الامريكية على إيقاف العدوان على غزة

إن استثمار إدراك أهمية البحر الأحمر ومضيق باب المندب، اكسب صناع القرار في هذا الحلف أمكانية رسم سياسات مستقبلية مستمدة من قوة التهديدات التي تفرض ملامحها على التحولات الأمنية في البحر الأحمر

2) الحلف الصهيو_أمريكي والعالم...محاولات السيطرة وضمان الامدادات

إن طبيعة نشأة الكيان الصهيوني والرفض العربي الإقليمي له (سابقاً)، جعلته معزولاً اقليمياً لهذا كان من أولويات سياسته الإقليمية والدولية فك العزلة والعمل على إقامة علاقات إقليمية ودولية لتحقيق مصالحه، ولتفادي أية ضغوط سياسية واقتصادية وضع صناع القرار في الكيان الصهيوني استراتيجية للبحر الأحمر منذ العام (1949) وتحرك بناءً على ذلك الى خليج العقبة عندما أحتل قرية (أم الرشراش) وأسس لنفسه منفذاً بحرياً على الخليج وأطلق عليه عام (1952) اسم ميناء (ايلات) من أجل الاتصال بالعالم الخارجي عن طريق البحر الأحمر12، إن الاهتمام الصهيوني بالبحر الأحمر في حقيقته مرتبط بسياستها التوسعية وستراتيجيتها لمواجهة التحديات والأزمات من جهة ولحماية أمنها القومي من جهة أخرى، وهو ما أكده ديفيد بن غوريون رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق بقوله: "إن سيطرة (إسرائيل) على نقاط في البحر الأحمر ذات أهمية قصوى لان هذه النقاط ستساعدنا على الفكاك من أية محاولات لمحاصرتنا وتطويقنا وكذلك ستشكل قاعدة انطلاق لمهاجمة اعدائنا في عقر دارهم"13 أي أن البحر الأحمر وفق الرؤية الصهيونية عبارة عن ممر مائي دولي ينبغي أن يبقى مفتوحاً في جميع الأوقات حتى لو تحوّل الى ساحة صراع مع الدول المشاطئة له من خلال رؤية أمنية ترتكز على

توسيع الوجود العسكري وترسيخه لتأمين مصالح الكيان يما يتيح لها الهجوم المباشر بأي وقت ولأيٍ كان، وذلك باستخدام التفوق العسكري لكسر أي حصار يوجه ضده أو ضد سفنه في البحر الأحمر في حالة حدوث اية مواجهة عسكرية

العمل على ضمان أمن امدادات الخطوط البحرية العسكرية والمدنية بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط عبر البحر الأحمر من أجل كسر دائرة الحظر المفروضة على الكيان من اية قوة كانت14، وهذا ما تفعله الدبلوماسية الصهيونية من خلال تحويل مسارات السفن باتجاه خطوط امداد (البحر الأبيض المتوسط_ قناة السويس_ الموانئ الصهيونية) المطلة على خليج العقبة15.

وتتكامل هذه الرؤية الأمنية مع رؤى الولايات المتحدة الامريكية التي ترى بأن الاهتمام بمنطقة البحر الأحمر تنطلق من مجموعة الأهداف والمصالح الامريكية وفق رؤية جيو-سياسية أكدت عليها الإدارات الامريكية المتعاقبة والتي تتمثل بـــ

أمن امداد الطاقة، إن ضرورة تأمين الامدادات النفطية من منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر الى الأسواق العالمية والعمل على منع أي تهديد

يؤدي الى انقطاع النفط بسبب حرب او عدم استقرار بحري في الطرق المؤدية الى البحر الأحمر، وهو ما قدمته الولايات المتحدة عام (2008) لحماية الممرات البحرية الجنوبية المؤدية الى البحر الأحمر عندما استفحلت عمليات القرصنة البحرية وأخذت تهدد طرق التجارة الدولية، وما تقدمه خلال فترة الحرب على غزة عبر تحالف (حارس الازدهار) الذي أعلن عنه وزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن في البحرين في كانون الاول (2023) عقب زيارة قام بها إلى الكيان الصهيوني، وقال ان الحلف تشكل تحت مظلة القوات البحرية المشتركة وقيادة قوة المهام المشتركة (153) كرد على الهجمات التي تشنها القوات الموالية لحركة أنصار الله في اليمن ضد السفن المرتبطة (بإسرائيل)16.

ضمان عدم سيطرة اية قوة على البحر الأحمر والمناطق المتماسة معه من خلال المحافظة على توازنات الضعف الإقليمية الموجودة في المنطقة ومنع اية قوة من السيطرة على البحر الأحمر باستثناء الكيان الصهيوني، إذ أنها قدمت ومازالت تقدم للكيان الصهيوني الضمانات، كونه الحليف الوحيد الموثوق به في المنطقة، كما وتعمل على احتواء التهديدات والاّ

تظهر القوة العسكرية الامريكية بمظهر الضعيف أمام التحديات الإقليمية وتهديدات الحوثيين البحرية

من كل ما تقدم يمكن القول بأن الصراع في غزة دخل في اعلى تعقيداته وتشابكاته وكثافته مع توسع اطرافه وتداخل قضاياه

المطلب الثاني: الأهمية الجيو_اقتصادية

ثمة معطيات عديدة جعلت من البحر الأحمر ذو أهمية اقتصادية بالغة، فتوسطه قارات (اسيا واوروبا وافريقيا) جعله طريقاً ستراتيجياً للتجارة الدولية لاسيما تجارة النفط ونقل البضائع والمنتجات من العالم الصناعي الى العالم النامي...! لذا فإن البحر الأحمر اكتسب أهمية إقليمية ودولية من خلال

أولا: التجارة الدولية

تزايدت أهمية البحر الأحمر بقدر تطور وتنامي النقل البحري والتجارة الدولية عبر البحار، لأنه ارخص وسائل النقل، لاسيما وأن ما يزيد عن (80%) من التجارة العالمية تنقل عبر الممرات البحرية وقد احتلت التجارة العالمية عن طريق النقل البحري المكانة الكبرى في ظاهرة الاعتمادية المتبادلة، لذا برزت الأهمية المتعاظمة للبحر الأحمر كونه من الممرات البحرية التي تعمل على توفير المسافة والوقت في طرق التجارة البحرية الدولية.17ونظراً لأهمية البحر الأحمر في التجارة الدولية فإن الدول الغربية الصناعية باتت تتنافس فيما بينها لتصريف منتجاتها الى الدول النامية وبالمقابل تستورد المواد الأولية والخامات منها، وبحسب احصائيات "الهيئة العامة لقناة السويس"، فإن مناطق شمال البحر الأحمر وهي شرق وجنوب شرق البحر الأبيض المتوسط تمثل نسبته (20،5%) وشمال البحر المتوسط تمثل ما نسبته (19،6%) أما دول شمال وغرب أوروبا مثلت ما نسبته (27،5%) أما جنوب البحر الأحمر فإن اهم مناطقه هي دول البحر الأحمر ذاتها والتي شكلت (19،4%) والخليج العربي مثل ما نسبته (28،3%) وجنوب شرق اسيا بنسبة (31،8%)18.

فالبحر الأحمر عمل إذن كرابط بين اقتصاديات مختلفة تنتمي الى أقاليم مختلفة من العالم ولم تكن هناك طريق برية تقوم بهذا الدور كونها متقطعة بين الدول ولكل منها سيادتها عليها، لذا فإن خط (خليج عدن_ مضيق باب المندب_ البحر الأحمر_ قناة السويس) عمل على اختصار الوقت والمسافة والكلفة المالية لشركات النقل، وإن أي تهديدات تعرض سلامة الامن البحري للخطر تجعل من السفن تسلك الطريق القديم عبر رأس الرجاء الصالح وما يعقبه من مشكلات أمنية وتكلفة عالية بسبب طول المسافة

ثانياً: التجارة النفطية

يعتمد النمو الاقتصادي لدول أوروبا على امدادات النفط القادمة من دول الخليج العربي ثم البحر الأحمر، وهذا الانسياب الحر للنفط أسهم في ازدهار الصناعة والنمو الاقتصادي للدول الاوروبية والولايات المتحدة الامريكية ولهذا يمكن عد البحر الأحمر شرياناً حيوياً لهذه الاقتصاديات، لعدم وجود طرق برية أمنة فضلاً عن الكلف المالية العالية للنقل البري، وهو ما جعل مسألة تأمين النفط جانباً كبيراً ومهماً من اهتمامات الإدارات الامريكية المتعاقبة نظراً لما يشكله النفط من مصلحة أساسية لها والقوى الكبرى عموماً،

بسبب وجود احتياطيات نفطية ضخمة ومؤكدة وسهلة الاكتشاف ومنخفضة التكاليف في المنطقة العربية.19 ويقدر عدد السفن المحملة بالنفط التي تمر من البحر الأحمر بحسب احصائيات الهيئة العامة لقناة السويس بـ(4292) سفينة عام (2016)، فضلاً عن (578) سفينة محملة بالغاز الطبيعي،20 كما أن اتجاه حركة السفن هذا يؤشر أهمية النفط الخام لانتعاش اقتصاديات الدول الأوروبية والولايات المتحدة الامريكية

من خلال ما تقدّم يمكن القول بأن الأهمية الجيو_ستراتيجية للبحر الأحمر تتشابك مع الامتداد العالمي من حيث المصالح والاهداف وتهديدات الامن القومي التي تتوسع حسب إمكانيات الدول وقوتها في النظام الدولي

المبحث الثاني: طبيعة الحرب وتأثيراتها... خيارات التصادم وتعدد الفواعل

إن طبيعة الحرب على غزة أخذت في طياتها بعداً فلسفياً تستند الى طبيعة وجذور الصراع الفلسطيني _الصهيوني كونه صراع وجود لا حدود، فالأخير يمكن تسويته بالطرق القانونية أما الأول فينطلق من حيث إما نحن أو هم...! منذ بداية التصادم العسكري الذي حدث في (7/تشرين الأول/2023) أخذ كل طرف يندفع بقوة صوب القوى التي تعبر عن اتجاهاته ومصالحه، فتشكل صراعاً جيو_سياسياً متكاملاً، أخذت ارتداداته تتوسع عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وعمل بذلك على ايقاظ تهديدات أمنية خطيرة القت بظلالها على الامن الدولي، وهو ما يمكن مناقشته على النحو الاتي

المطلب الأول: التهديدات الأمنية في البحر الأحمر... الاستدامة والزخم

تعد المنطقة الممتدة من جنوب البحر الأحمر إلى شرق خليج عدن واحدة من أبرز مناطق الخطر الرئيسية المؤثرة في الحرب على غزة، وعليه فإن قوة وزخم العمليات العسكرية التي يستهدف بها الحوثيون السفن التي تمر عبر خليج عدن نحو الكيان الصهيوني، وتنذر بمزيد من التعقيدات والاضطرابات في منطقة البحر الأحمر، ويمكن تحليل تداعيات هذه العمليات بتهديداتها الأمنية من خلال

أولاً: الامن اليمني والصومالي، بعد أن تمكن الحوثيون في (9/تموز/2024) من شن هجوم ناجح على الكيان الصهيوني بطائرات مسيرة، قتل فيها صهيونياً وأصيب قرابة الـ(100) آخرين، شنّ الكيان الصهيوني رداً عسكرياً جوياً ضخماً على ميناء الحديدة اليمني، مستهدفاً خزانات النفط والوقود التي يعتمد عليها الحوثيون في توفير مصادر الدخل، اذ بلغت الخسائر الاقتصادية جراء القصف الصهيوني للميناء قرابة الـ(300) مليون دولار الذي تمثل عائداته قرابة الـ(40%) من دخل الموانئ اليمنية، لاسيما وأن الحوثيين يفرضون ضريبة (122) دولاراً على الطن المستورد من الوقود وهو ما يحقق لهم (84) مليون دولار شهرياً. فضلاً عن أن هذا الميناء يسد (85%) من احتياجات اليمن الغذائية، كما ويعتمد (75%) من السكان على المساعدات الخارجية المقدمة اليمن عبر هذا الميناء21.

بهذا تكون ضربات الكيان الصهيوني، هدفت الى إضعاف قدرات الحوثيين باستهداف الشريان المالي والاقتصادي لإجبارهم على وقف عمليات استهدف السفن التي تمر عبر البحر الأحمر نحو الكيان من جهة واثارة الرأي العام الداخلي ضدهم من جانب اخر، لكنّ الحوثيين وسعوا نطاق عمليات استهدافهم للسفن الى مناطق البحر الأحمر ومضيق باب المندب وخليج عدن والمحيط الهندي، فضلاً عن قدرة الإمكانيات التي بإمكانها أن تصيب اهدافاً في البحر الأبيض المتوسط استناداً الى الضربة الأولى في (9/تموز/2024)

أما الصومال، فإنّ ابرز التهديدات التي تتعرض لها تتمثل بتوقف سفن المساعدات الإنسانية المتجهة نحوها نتيجة الخوف من التعرض للأضرار، لان عدم تجهيز السفن بالمساعدات يؤدي الى نفاد المخزون الغذائي، وفي مؤتمر صحفي، أطلق آدم عبد المولى - منسق الشؤون الإنسانية للصومال - الخطة الإنسانية لمساعدة حوالي (7.6) مليون شخص من المتضررين من الأزمة الإنسانية في الصومال وقال: "يتم إطلاق هذا النداء في وقت صعب للغاية بالنسبة للصومال والبلد على شفا المجاعة بسبب الجفاف الطويل والصراع وارتفاع أسعار الغذاء والمياه والنزوح الجماعي".22 أن انعدام الامن في منطقة خليج عدن وقبالة السواحل الصومالية من الممكن أن يهدد الامن الغذائي الصومالي

ثانياً: الامن الاقتصادي، إن من أبرز التهديدات وأكثرها حضوراً في هذا المجال تتمثل بتهديد طرق التجارة الدولية التي تمر عبر البحر الأحمر، لان هجمات الحوثيين، أثبتت قدرتهم على تعطيل حركة الملاحة الدولية في هذه الممرات المائية لاسيما وأن اغلب السفن التجارية غيرت مسارها باتجاه رأس الرجاء الصالح مما زاد من تكلفة الشحن وطول المسافة وزيادة التأمين البحري التي انعكست على أسعار السلع والمنتجات، ونتيجة لذلك، انخفض حجم سفن الحاويات التي تعبر مضيق باب المندب بنحو (55%)، وفقاً لأحدث البيانات الصادرة عن «Lloyd's list intelligence"، بينما تقدّر نسبة الخسارة في أمدادات الطاقة بما يتراوح بين (20_15%) في الشرق الأقصى وصولاً إلى شمال أوروبا وسوق البحر الأبيض المتوسط خلال الربع الثاني من عام (2023)23.

ثالثاً: الامن البيئي، أعد معهد واشنطن بتاريخ (29/اب/2024) تحليلاً بين فيه خطورة استهداف الحوثيين للناقلات النفطية لاسيما بعد تفجير ناقلة النفط اليونانية المحملة بالنفط العراقي "سونيون"، وما قد يتركه من آثار تسفر عن كوارث بيئية على الحياة البحرية وتلحق الدمار بحركة الملاحة البحرية عبر البحر الأحمر، الامر الذي يتطلب حملات سريعة لإنقاذ السفن المستهدفة قبل وقوع كوارث تعرض الامن البيئي للخطر

رابعاً: الامن العسكري، تشكل استهدافات الحوثيين للسفن، فرصاً وذرائع لزيادة الوجود العسكري للقوى الدولية والإقليمية في المحيطات والبحار والممرات القريبة من البحر الأحمر بما يخدم مصالحها القومية وسعيها للنفوذ والهيمنة وفقاً لاستراتيجياتها الإقليمية والعالمية ويتجلى هذا التوجه من خلال التحركات الدولية إزاء الهجمات الحوثية، فإلى جانب القواعد العسكرية المنتشرة في البحر الأحمر بشكل ملحوظ، قامت الولايات المتحدة بإطلاق عملية «حارس الازدهار»، ردًا على ما قام به الحوثيون من عرقلة لحركة التجارة العالمية، علاوة على ذلك، قامت الولايات المتحدة وبريطانيا، بتنفيذ هجمات مشتركة ضد مواقع تابعة للحوثيين في اليمن، هذا إلى جانب إعلان

عدد من الدول الأوروبية إطلاق عملية « أسبيديس» في البحر الأحمر لحماية الملاحة في المنطقة

بالتالي، فإن تنافس القوى الإقليمية والدولية على الوجود في البحر الأحمر، قد يؤدي إلى المزيد من العسكرة للمنطقة، بجانب مزيد من التدخل في شؤون الدول الداخلية، وهو ما قد يهدد أمن واستقرار دول المنطقة24.

خامساً: القرصنة والإرهاب البحريين، بطبيعة الحال فإن للحروب جوانب سلبية غير قابلة للسيطرة مهما كنت الدوافع النبيلة التي تدفع تجاه النزاع، في هذا السياق يمكن ان يستغل القراصنة والتنظيمات الإرهابية حالة التوتر في المنطقة لممارسة تهديدات قد تشكل حالة تهديد استراتيجي بالغة الخطورة، ووفقاً لتقرير صادر عن «المكتب الدولي للملاحة البحرية « فإنه سجل وقوع (33) حادثة قرصنة ضد السفن في الأشهر الثلاثة الأولى من عام (2024)، مقارنةً بوقوع (27) حادثة للفترة نفسها في عام (2023)، كما أن بعض الحركات الإرهابية المتطرفة من الممكن أن تجد التحالف مع القراصنة، مصدراً لدخل بديل

للحصول على الفديات المالية بعد تجفيف اغلب مصادر تمويلها25.

المطلب الثاني: قوة الأطراف المتصارعة والنظريات الساندة...كتل التوازن وتهديد المصالح

على الرغم من صغر الرقعة الجغرافية التي يتمتع بها قطاع غزة، إلاّ أنه بات يتمتع بقوة دفع جيو_استراتيجية اتجاه القوى الإقليمية والدولية، الامر الذي أدى الى تصادمٍ جيو_سياسي في المنطقة، انطلاقاً من رؤى وأفكار تستند الى نظريات تسعى الى اثبات قوتها أو الحفاظ على مكانتها في النظام الدولي، وهو ما يمكن مناقشته على النحو الاتي

أولاً: غزة والفضاء الجيو_سياسي لأم القرى

فاجأت كتائب عز الدين القسام التابعة لحركة حماس الكيان الصهيوني، في السابع من تشرين الأول، عندما اجتازت الحاجز الأمني الذي يفصل قطاع غزة عن غلافها محققة انتصارًا ميدانيًّا لم يتوقع مداه حتى أكثر الناس تفاؤلًا بقدرات حماس، لاسيما بعد سقوط عدد كبير من القتلى ووقوع عدد كبير من الجنود الصهاينة في قبضة كتائب القسام، لم يتأخر الرد الصهيوني، الذي شنَّ هجومًا كان ظاهره القضاء على حماس لكن في جوهره، تهجير الشعب الفلسطيني والانتقام بتحويل مناطق شاسعة من قطاع غزة إلى أماكن تفتقد لأبسط مقومات العيش.26

وعلى الرغم من اختلال ميزان القوى بين حماس والكيان الصهيوني إلاّ أن الحرب على غزة ألقت بتداعياتها الجيو_سياسية على منطقة البحر الأحمر وأوجدت نوع من التوازن بإعطائها الفرصة لبعض الفواعل الدوليين للولوج الى النظام الدولي ضمن محاولات اثبات الوجود، أو توسيع رقعة النفوذ ضمن التدافعات في الفضاء الجيو_سياسي لمنطقة الشرق الأوسط الذي تعده مجالها الحيوي

بالعودة الى ما طرحناه سابقاً فيما يخص الرؤية الإيرانية لمنطقة البحر الأحمر وفق رؤية جيو_سياسية، فإنها تتقاطع مع رؤى الولايات المتحدة الامريكية والكيان الصهيوني ضمن هذه المنطقة الإقليمية، فبعد أن صنعت إيران موطئ قدم لها في اليمن لتعبر عن نظريتها الجيو_سياسية بدأت الدول المتصارعة معها تستشعر الخطر في هذا الفضاء الجيو_سياسي ودخلت في صراع مباشر مع حليف ايران في منطقة البحر الأحمر – الحوثيون - وانتقل زخم المعركة من قطاع غزة الى البحر الأحمر بكل سمات التهديد التي باتت تفرض تحولات أمنية يستشعر العالم خطرها لاسيما بعد ادخال الحوثيين وسيلة ردع جديدة - تستهدف البارجات البحرية العسكرية وسفن نقل الطاقة والتجارة الدولية المحظور دخولها الى الموانئ الصهيونية - حجّمت وسائل الردع التقليدية التي اعتمدها الكيان الصهيوني عند قصفه لميناء الحديدة بتاريخ (10/تموز/2024)، وكذلك أجبرت الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ضمن تحالف «حارس الازدهار» على الانسحاب من مياه البحر الأحمر صوب المحيط الهندي والاستقرار فيه خوفاً من الاستهدافات الحوثية

وبهذا تكون الجماعة قد امتصت وافشلت وسيلة الردع الأمريكي المتمثلة بإرسال حاملات الطائرات الى شرق البحر المتوسط والاسطول الخامس الموجود في الخليج العربي فضلاً عن التي نفذها الكيان الصهيوني على الميناء، وقد تجبر صناع القرار

في الولايات المتحدة الامريكية او الكيان الصهيوني على الدخول في حرب شاملة على اليمن بهدف السيطرة على الممرات البحرية المؤدية الى البحر الأحمر بهدف ضمان رؤاهم الجيو_سياسية لأمن المنطقة، أو تتمكن الجماعة من تحقيق حلمها وتتحول الى قوة إقليمية تُنهي الصورة النمطية التي رُسمت تجاهها من قبل اعدائها بأنها «جماعة مسلحة متمردة» تقاتل ضد حكومة بلادها27.

وفي جانب آخر للصراع الجيو_سياسي على منطقة البحر الأحمر حقق الردع الأمريكي المذكور انفاً أهدافه تزامناً مع الضربة الصهيونية لليمن، وترك أثره في كينونة الامن الوجودي (الانطولوجي) لحزب الله اللبناني وأجبره على عدم الدخول في أتون حرب شاملة تشبه تلك التي خاضها عام (2006)، للحفاظ على أمنه الوجودي الذي يرتبط بوجود محور المقاومة على الصعيد الإقليمي، فاختار الحزب الدخول في معركة مقيدة، لا يفسر سلوكها الدفاعي من الهجومي ومبنية على ردود الأفعال، فإن امتنع عن دعم حلفائه الفلسطينيين، سيهّدد ذلك أمنه (الانطولوجي) - كينونته الاساسية، وسمعته، ودوره باعتباره حركة مقاومة - وإن انخرط خلاف ذلك، في حرب واسعة ضد الكيان الصهيوني، فسيعّرض أمنه المادي للخطر.28

مما تقدم يمكن القول بأن التعّقد والتداخل في الفضاء الجيو_سياسي لمنطقة البحر الأحمر رجح كفة توازن القوى لصالح ايران وحركات المقاومة لأنها استطاعت أن تملئ الفراغ الأمني في منطقة البحر الأحمر بعد تهديداتها المباشرة للمصالح الامريكية والصهيونية

ثانياً: الكيان الصهيوني والفضاء الجيو_سياسي لصراع الحضارات

منذ اليوم الأول لعملية طوفان الأقصى، سيطرت السردية الصهيونية في الغرب، وكانت تؤكد أن عملية السابع من تشرين الأول ما هي إلاّ هجوم " إرهابي" ونقلت الصحافة الغربية _الأميركية والبريطانية_ من جانب واحد، وخلال الأسبوع الأول غاب القصف الصهيوني عن التغطية الغربية للحرب، وتمكنت التغطية الإعلامية المنحازة من تشكيل المواقف السياسية للقادة الغربيين الذين تسابقوا لزيارة الكيان الصهيوني مع تأكيدهم على "حق الكيان في الدفاع عن النفس" ضد حماس التي وصفت على نطاق واسع بالغرب بأنها حركة "إرهابية" شنَّت هجومًا "إرهابيًا" ضد الكيان مستهدفة المدنيين وغير المدنيين.29

على الرغم من تمتع الكيان الصهيوني بقدرات عسكرية وتكنولوجية عالية إلاّ أنه يعاني منذ نشأته من عقدتين أساسيتين هما عقدة عامل الوهن الجغرافي ووهن المورد البشري30، لذا عمل على توسيع مجاله الحيوي باتجاه البحر الأحمر سعياً الى، تقوية مركزه كقوة إقليمية متفوقة وهذا ما أكده (أبا ايبان) وزير خارجية الكيان الأسبق بقوله:" إنّ موطئ قدم في البحر الأحمر يعوضنا عن الحصار الإقليمي المفروض علينا، وعن طريق ربط المحيطات الشرقية والغربية عبر قطع ضيقة من الأراضي يمكن (لإسرائيل) أن تصبح الجسر الذي تعبره تجارة الشعوب في القارات جميعاً وبذلك يمكن تحرير شعوب اسيا وأوروبا من

الاعتماد على قناة السويس"31، أي أن البحر الأحمر بأهميته الجيو_سياسية هذه يكون ضمن أولويات صناع القرار في الكيان وأي تأثير عليه يشكل تهديداً للأمن القومي الصهيوني وهو ما فرض عليه تشكيل تحالفاً استراتيجياً مع الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا، لاسيما وأن هذا الحلف يرتكز في رؤاه على التصادم الجيو_سياسي في الفضاء الإقليمي لمنطقة البحر الأحمر، والمتجذر من نظرية صراع الحضارات والرؤى الامريكية لهذه المنطقة

إن التحدي الأكبر الذي تواجهه الولايات المتحدة ليس في توافد القوى الاقليمية الدولية_ كالصين وروسيا وتركيا وايران_ وإنما من صعوبة التعامل مع المخاطر غير التقليدية المتمثلة بهجمات الحوثيين وما يتراكم عنها من مشكلات الجريمة المنظمة كالقرصنة والإرهاب، اللتان تتطلبان جهداً بحرياً قتالياً أكبر من قتال الشوارع.32 ونظراً لأهمية البحر الأحمر في الحرب الدائرة على غزة، عززت الولايات المتحدة الامريكية من اسطولها الخامس _في البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندي وبحر العرب_ وأطلقت مع بريطانيا وفرنسا مجموعة "حارس الازدهار" للقضاء على التهديدات الحوثية التي أثرت في أمن الملاحة البحرية عبر البحر الأحمر وقلبت ميزان القوى لصالح ايران بعد انسحاب السفن الامريكية والبريطانية الى المياه الدولية في المحيط الهندي، وكذلك أثرت في أمن امدادات الطاقة الذي يعد من أولويات المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الامريكية، لاسيما بعد عملية تفجير السفينة اليونانية (سونيون) المحملة بالنفط قبالة السواحل اليمنية33.

يبدو ما أكد عليه المرشد الأعلى الإيراني بقوله: " إن الأمريكيين يتخذون خطورة خطيرة أتجاه ايران، لذا فإن شحن الطاقة سيواجه الخطر وعندها لن يكون الأمريكيين قادرين على حماية امدادات الطاقة في المنطقة"34 يعكس الرؤى الإيرانية التي تستمثر أية ثغرة في العالم من أجل حماية نفسها عبر سياستها التي رسمتها وفق رؤية جيو_سياسية تنسجم وتطلعاتها الإقليمية في مزاحمة النفوذ الأمريكي في الفضاء الجيو_سياسي لمنطقة الشرق الأوسط

إن ما يعزز هذه المخاوف لدى الولايات المتحدة الامريكية هو وجود الاساطيل البحرية الإيرانية قبالة السواحل اليمنية لحماية سفنها التجارية من اعمال القرصنة البحرية واستغلال ذلك في توريد الأسلحة والمعدات التكنولوجية للحوثيين

مما تقدّم يمكن القول بأن البحر الأحمر والمناطق المتماسة معه، تتميز بدرجة عالية من التداخل والنفوذ المتبادل الذي يتشكل في اطار انعدام ووجود الامن في المجالين البري والبحري، والذي بدروه يؤثر سلباً أو ايجاباً في أمن منطقة البحر الأحمر والفضاء الجيو_سياسي للشرق الأوسط، الذي انجذب بقوة صوب الحرب على غزة بارتداداتها المؤثرة في الامن العالمي

المبحث الثالث: تقاطع المصالح القومية والدولية... رؤية في التحولات الأمنية للبحر الأحمر

إن مصالح القوى الإقليمية والدولية في البحر الأحمر تثير إشكالية ترتبط بتحديد السياق الجيو_ستراتيجي العام والحاكم لطبيعة التفاعلات الإقليمية في المنطقة بعد الحرب على غزة، والذي يتسم بتعقد وتشابك العلاقات فيما بين الفواعل المكونة للإقليم من ناحية والقوى الخارجية من ناحية أخرى، وإن تناقض وتقاطع هذه المصالح يعطي الصراعات الاستدامة المُفرِزة لمشكلات وأزمات مقعدة يصعب السيطرة عليها،

لـذا فـإن تعّقـد الصـراع الجيـو_سياسـي في منطقـة البحـر الأحمـر يمكـن تحليلـه مـن خلال

المطلب الأول: الإزاحات الجيو_سياسية للقوى العالمية

أفـردت التطـورات المتسـارعة للحـرب علـى غـزة تحـولات أمنيـة علـى البحـر الأحمـر، تمثلـت بإزاحـات سـلبية للقـوى العالميـة كالولايـات المتحـدة وحلفاؤهـا، وإيجابيـة للصيـن الشـعبية وروسـيا الاتحاديـة، تتنافـس فيمـا بينهـا لتحقيـق المصالـح، والتـي يمكـن مناقشـتها مـن خلال

1 - الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها: الحرب الشاملة على اليمن

بعـد اطلاق دول الاتحـاد الأوروبـي خطـة «اسـبيديس» اسـتكمالاً لتحالـف «حـارس الازدهـار» الـذي تقـوده الولايـات المتحـدة الامريكيـة وبريطانيـا لحمايـة الممـرات البحريـة عبـر البحـر الأحمـر، ونتيجـة لزيـادة الحوثييـن اسـتهداف السـفن المحظـور دخولهـا الـى الموانـئ الصهيونيـة، فـإن الولايـات المتحـدة بحسـب التقاريـر

الأخيـرة سـحبت سـفنها الـى عـرض المحيـط الهنـدي وهـو ما يضع احتمالية شن ضربات عسكرية أو تدخل عسكري بـري على أماكن الانتشار العسكري للحوثيين في شـمال وشـمال غـرب اليمـن، ومـا يشـرعن إمكانيـة التدخـل البـري في اليمـن هـو القـرار (2722) الصـادر عـن مجلـس الامـن، الـذي يقضـي بـــ» ضـرورة معالجة الأسـباب الجذريـة « المخلّـة بالأمـن البحـري، مـن أجـل ضمـان الاسـتجابة بسـرعة وكفـاءة وفعاليـة.35

إن هـذا القـرار يخلـق مسـوغاً قانونيـاً لشـرعنة التدخل العسـكري في اليمـن الـذي يمكـن تشـكيله عبـر تحالـف دولـي تقـوده الولايـات المتحـدة الامريكيـة بالرغـب مـن تداعياتـه الخطـرة التـي تتمثـل بالإمكانيـات الحوثيـة التسـليحية المتعاظمـة وطبيعـة التضاريـس الصعبـة التـي يتمتـع بهـا اليمـن

2 - الصين: تكاملية عقد اللؤلؤ (جيبوتي والسودان وارتيريا)

نظراً للتغيـرات المتسـارعة التي تطرحها ميكانيزمات الحـرب على غـزة، والتـي تتمثـل بعـدم وضـع المعالجات المناسـبة لهـا، بمـا يخـدم منطقـة الشـرق الأوسـط وعقدتهـا البحريـة المتمثلـة بالبحـر الأحمـر وممراتـه البحريـة، فـإن التنافـس الدولـي حـرك حسـابات هندسـة تحقيـق المصالـح، انطلاقـاً مـن بعـد نظـر جيو_سياسـي مبنـي علـى رؤى فلسـفية مهمـة، كاسـتراتيجية عقـد اللؤلـؤ الصينيـة التـي تنطلـق مـن بحـر الصيـن الجنوبـي مـروراً بمضيـق ملقـا فالمحيـط الهنـدي، حققـت أهدافـاً اسـتراتيجية في قسـمها الغربـي المطـل علـى السـواحل الافريقيـة الشـرقية والبحـر الأحمـر ثـم قنـاة السـويس وصـولاً الـى موانـئ البحـر الأبيـض المتوسـط فأوروبـا.36

وهـذا الادراك متـأتٍ مـن أهميـة البحـر الأحمـر الاسـتراتيجية في ضمـان مـرور تجـارة الصيـن إلـى أوروبـا، ودعـم أهداف السياسـة الخارجية الصينيـة وتعزيزه بهدف كسـب دول حـوض البحـر الأحمـر - كجيبوتـي والسـودان وارتيريـا- لاسـيما بعـد موجـات الرفـض العربـي للموقـف الأمريكـي والغربـي مـن الحـرب علـى غـزة، وكذلـك أن يصبـح البحـر الأحمـر حلقـة وصـل رئيسـية بطريـق الحرير البحـري، والجـزء المحيطـي لمبـادرة «الحـزام والطريـق» بتجنّـب الاعتمـاد المفـرط علـى الولايـات المتحـدة في حمايـة مصالـح الصيـن بالمحيـط الهنـدي، والـذي قـد لا يسـتمر بسـبب المنافسـة المتنامية بيـن الطرفيـن.37

ويأتـي دور الصيـن في التحـولات الأمنيـة لمنطقـة البحـر الأحمـر مـن خلال علاقاتهـا المتوازنـة مـع طـرفي الصـراع وامكانيـة أخذهـا دور الوسـيط بالتفـاوض مـع ايـران والحوثييـن كونهـا مـن اكثـر الداعميـن في اجتماعات الأمـم المتحـدة لوقـف اطلاق النـار في غـزة

3 - روسيا الاتحادية: السودان موطئ قدم أولي

قبـل أن تحقـق روسـيا وجودهـا الاسـتراتيجي علـى البحـر الأبيـض المتوسـط في مينـاء طرطـوس بسـوريا، سـعت جاهـدةً لإيجـاد موطـئ قـدم لهـا في جيبوتـي التـي رفضـت طلبهـا بعـد الضغوطـات الامريكيـة، ثـم تقدمـت الـى اليمـن عـام (2012)، لكـنّ عـدم الاسـتقرار السياسـي وانـقلاب الحكـم أفشـل المحادثـات، ثـم عـادت الـى جيبوتـي مـرةً أخـرى عـام (2014)، وقدمـت طلبـاً لإنشـاء قاعـدة عسـكرية، وكانـت الضغوطـات الامريكيـة أقـوى، وفي عـام (2018)، أجـرى وزيـر خارجيتهـا سـيرجي لافـروف محادثـات مـع مسـؤولين ارتيرييـن حـول إقامـة مركـز لوجسـتي علـى البحـر الأحمـر لكنهـا رفضـت ذلـك أيضـاً، ومـن بيـن هـذه المحادثـات المتعثـرة عرضَـت السـودان بزعامـة عمـر البشـير إمكانيـة اسـتضافة القاعـدة الروسـية في مدينـة بورتسـودان38.

وبهذا تكون روسيا قد استوعبت الأهمية الجيو_سياسية للبحر الأحمر بعد عقدها اتفاقيات عسكرية ثنائية عام (2015) مع مصر لتنفيذ مناورات عسكرية قبالة ميناء الإسكندرية على البحر الأبيض المتوسط من اجل احكام الطوق على البحر الأحمر الذي يتكامل حسب رؤيتها بالوصول الى منطقة القرن الافريقي والمحيط الهندي39، يبدو أن تعقيدات الصراع في السودان والحرب على غزة جعلت من البحر الأحمر مكمناً للتجاذبات الدولية وحصول روسيا على موطئ قدم فيه، يفتح الطريق لنفوذها باتجاه المحيط الهندي الذي يتكامل مع الرؤية الصينية في مواجهة النفوذ الفرنسي_الأمريكي

مما تقدّم يبدو بأن حدة الصراع الدولي في البحر الاحمر تشير الى تحوله لمنطقة تشبه الثكنات العسكرية للأطراف المتصارعة التي على أهبة الاستعداد للهجوم والانقضاض، وهو ما يجعلها تتقارب في سماتها مع ما حدث من صراع بين القوتين العظميتين إبان فترة الحرب الباردة، لكن مع تعددية الأطراف في الوقت الراهن

المطلب الثاني: الاثباتات الإقليمية للقوى المتنافسة

في خضم النظريات المتصارعة بين القوى الدولية، عملت القوى الإقليمية التي لها نظرياتها الجيو_سياسية للدخول في الصراع المتنامي على البحر الأحمر، فالبعض منها أثبت نظرته لمكانة البحر الأحمر في رؤاه السياسية والبعض الأخر يسير وفق سياسيات عائمة مبنية على الأفعال وردودها، وهو ما يمن مناقشته على النحو الاتي

1 - إيران: الحوثيون الحليف الصعب

حققت ايران رؤيتها الاستراتيجية فيما يتعلق بالمزاحمة على الممرات البحرية الرئيسة التي تشكل عصب القوة الاقتصادية العالمية، وأمست تستخدمها ضمن مسارها الاستراتيجي على المستوى الدولي وصراع القوى الغربية، لكنّها بعد الحرب على غزة ودخول الحوثيين على خط المواجهة المباشرة مع الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الامريكية، تحاول جاهدةً ضبط مسار التدخل وفق الرؤية الاستراتيجية، لان اندفاع الحوثيين دون مسار استراتيجية طويل الأمد من الممكن ان لا يعود بالمكاسب الاستراتيجية للنصر على المدى البعيد، خصوصا إذا ما شرعن الحلف الصهيو_امريكي ضرب أماكن الحوثيين لشل حركاتهم ومن ثم جرهم الى حرب غير متماثلة لحماية مصالحه المتضررة من استهدافاتهم

2 - تركيا: تعاظم القوة في الصومال والسودان

إن تعقيدات الحرب على غزة فرضت على الدول التي لها مصالح إقليمية في البحر الأحمر التشبث بها، وذلك لزيادة التزاحم الدولي وتغيير خارطة التحولات الأمنية في المنطقة، ومما لا شك فيه أن التدخل التركي في منطقة القرن الإفريقي تحركه دوافع سياسة واقتصادية، ويندرج تحت الرؤية التركية التي تحكم مسار سياستها الخارجية المنبثقة من محددات العمق الاستراتيجي، وإن توسع النفوذ التركي في منطقة القرن الافريقي ابتداء من الصومال مرورًا بالسودان، يعد انعكاساً لنجاح سياستها الخارجية للحصول على موطئ قدم في البحر الأحمر، لذا فإن توسع النفوذ

الإقليمي المنافس والذي يتمثل بتعاظم الدور الإيراني يشكل تهديداً للمصالح التركية في منطقة البحر الأحمر لاسيما مع زيادة النفوذ الإيراني في اليمن

3 - الامارات والسعودية: السياسات العائمة

أن المملكة العربية السعودية وغيرها من الدول المتضررة في المنطقة عليها أنْ تستعد لمستقبل تبقى فيه بنيتها التحتية الحيوية تحت تهديد الحوثيين إلى أجل غير مسمى، لاسيما بعد استهداف منشآت (أرامكو) عام (2022)، فقد أصبح لدى الحوثيين القدرة على شن هجمات أكثر تطوراً في سياقات سياسية مختلفة تتجاوز حرب غزة، لاسيما إذا بدا أن اتفاق التطبيع الإسرائيلي السعودي وشيكاً، وحتى الآن، فضلت السعودية البقاء على الهامش وتجنب المواجهة مع الحوثيين، معتقدة أن ذلك لن يؤدي إلاّ إلى تفاقم الأزمة ويعرّض السفن السعودية لخطر الهجوم40.

أما الامارات العربية المتحدة ففي ظل تدهور الوضع الأمني في منطقة البحر الأحمر نتيجة استمرار الهجمات الحوثية على السفن العابرة ونتيجة لتزايد الاهتمام الدولي ببناء قواعد عسكرية ومراكز حماية متقدمة لتعزيز السيطرة على واحدة من أهم الطرق الاستراتيجية في العالم، فإنها تسعى عادة على عقد اتفاقيات تعاون وإجراء تدريبات عسكرية مشتركة مع القوات المحلية في الدول التي تعتزم إنشاء قواعدها العسكرية بها، لكنّ الاستراتيجية الإماراتية في إنشاء القواعد العسكرية لها عواقب جيو_سياسية مؤثرة في منطقة البحر الأحمر حيث يؤجج النشاط العسكري الإماراتي التنافس مع المملكة العربية السعودية وقطر اللتين تشاركان الإمارات في بعض الأهداف الاستراتيجية مثل الحرص على توفير الأمن البحري وتقديم التدريب العسكري41. وهو ما يعمق دائرة التنافس الاقليمي في البحر الأحمر

4 - مصر: الانحدار الاقتصادي

إن أزمة النقل التي يشهدها البحر الأحمر جراء هجمات الحوثيين على السفن أدت إلى انخفاض إيرادات قناة السويس في مصر بنسبة (40%) وأضاف تقرير مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية إنه» في النصف الأول من شباط (2024)، انخفضت حركة المرور في القناة شهرياً بنسبة (42%) وغيرت (586) سفينة حاويات مسارها الى رأس الرجاء الصالح، ولفت التقرير إلى أن القناة تعد مصدراً حيوياً للإيرادات المصرية، حيث ساهمت بمبلغ (9.4) مليار دولار في السنة المالية (2022_2023)، أي ما يقرب من (2.3%) من الناتج المحلي الإجمالي للبلاد42، فضلاً عن أن الحرب على غزة قد تدفع باتجاه هجرة الغزيين الى سيناء وهو ما تعالت الأصوات بشأنه منذ البداية، الامر الذي يؤشر الى استدامة التهديدات الامنية في سيناء ويعزز الاستهدافات الفلسطينية للأهداف الصهيونية انطلاقاً من سيناء

المطلب الثالث: الفواعل من غير الدول:

التفاهمات والبحث عن الذات

إن تعاظم الحديث عن دور الفواعل من غير الدول في المسار الإقليمي والدولي للحرب على غزة يدفع باتجاه العديد من التداعيات السلبية، تتشكل في كثافة التهديدات الأمنية الإقليمية التي تلقي بظلالها على تهديد الأمن البحري في منطقة البحر الاحمر، وزيادة الصعوبات التي تواجه مساعي التسوية السلمية

والسياسية الشاملة للأزمات في بعض دول المنطقة، كما أن هذه المتغيرات تفرض تساؤلات وإشكاليات مرتبطة بمدى فاعلية المقاربات الدولية للتعامل مع الفواعل من غير الدول في الشرق الأوسط ومنطقة القرن الافريقي

1 - ثالوث المقاومة المتنامي: الاستهداف والتعاون

الاستهداف في فكر الفواعل من غير الدول يعد عنصراً اساسياً تستند اليه في استراتيجيات المواجهة مع المقابل، ففي قطاع غزة استطاعت كتائب عزّ الدين القسام - الجناح العسكري لحركة حماس - استدامة أمد المعركة بما يعكس إمكانياتها التسليحية التي زادت زخم العمليات النوعية ضد الأهداف الصهيونية المتغلغلة في القطاع، لكن مع مرور الأيام فقدت الكتائب جزء مهم من امكانياتها والذي يتعلق بالقدرة على استخدام الصواريخ لضرب مدن الكيان الصهيوني، ولو أنها منذ البداية بادرت بالتحرش بضرب مفاعل ديمونة الصهيوني لغيرت من قواعد الاشتباك، لكنّ قوة آلة الدمار الصهيوني التي تنطلق من عقيدة حشد المعركة حجمت قدرتها القتالية

وفي الجانب القريب جغرافياً، استطاع حزب الله الدخول في حرب مقيدة، وبدأ يستعرض امكانياته الصاروخية والطائرات من دون طيار لضرب الأهداف الصهيونية، لكنه واجه تحديات معقدة، بسبب القدرات التسليحية والتكنومعلوماتية التي يمتلكها الكيان الصهيوني، وما الاستهداف الأخير لأجهزة "البيجر والأووكي توكي"، إلاّ دليلاً على رغبة الكيان في اختيار زمان ونوع الحرب التي يريدها، كما أنه يعكس رغبته في تغيير قواعد الاشتباك التي تنفرد بها الفواعل من غير الدول، وفي الجانب الاخر من الحرب على غزة، حقق الحوثيون هدفهم في تهديد أمن البحر الأحمر باستهداف السفن المحظور دخولها الى موانئ الكيان الصهيوني وأدخلت بعداً جديداً في قواعد الاشتباك باستخدام قدراتها التسليحية على مراحل أو صفحات لامتصاص الردع الصهيو_أمريكي وتوفير القدرة على المناورة لتحقيق الأهداف السياسية

2 - تنظيم القاعدة في اليمن: الأهداف والتكثيف

تعد الساحة اليمنية إحدى الساحات الرئيسية لنشاط تنظيم القاعدة، خصوصاً في محافظتي أبين وشبوة، وقد ربطت بعض التقديرات بين تصاعد معدلات نشاط التنظيم، وبين قدرته على تعزيز العمليات والاستهداف المباشر، واستقطاب عناصر جديدة، استغلالاً لحالة الفوضى الأمنية التي تشهدها البلاد أولاً، والفوضى الإقليمية التي يشهدها البحر الأحمر بعد الحرب على غزة ثانياً، وزيادة قدراته التسليحية ثالثاً،43 والتي جعلته يمتص أزماته الداخلية لاسيما عقب خسارة قيادات الصف الأول، وتراجع التمويل والدعم، إثر الضعف العام للتنظيم الأم، وبهذا يكون قد أفرد في ثنايا استراتيجيته الجديدة إعادة بناء وتنظيم صفوفه، التي تؤهله لتكثيف هجماته على المناطق الجنوبية، مستشعراً أهميتها الاستراتيجية كمناطق تُطل على البحر وتسمح له بضرب الأهداف الحيوية للخصوم

3 - حركة الشباب المجاهدين الصومالية: العودة والتطور

تُشكل رغبة حركة الشباب في استعادة الزخم حولها مجددًا مساراً تهدف الى تحقيقه، حيث تجد الحركة في المناخ المضطرب الذي تشهده منطقة القرن الأفريقي وخليج عدن، والمتمثلة في التوترات بين الصومال وإثيوبيا من ناحية، والهجمات الحوثية على البحر

الأحمر، والحرب الاهلية في السودان من ناحية اخرى، مجالًا حيويًا لتوسيع نشاطها وعملياتها الإرهابية في المنطقة، بما يعزز دورها باعتبارها فاعلًا إقليميًا قادرًا على زعزعة استقرار المنطقة، وهو ما يقوم بدوره بتثقيل مكانتها على الساحة الإرهابية العالمية

4 - القراصنة الصوماليين: امراء الحرب والثراء المالي

إن حالة عدم الاستقرار البحري كانت لها اثار جانبية وفرت بيئة مناسبة لانتشار عمليات القرصنة البحرية قبالة السواحل الصومالية، ولإن هدف القراصنة الحصول على الفديات المالية، فإنها ستخلق مسوغاً لانتشار الجريمة المنظمة وتهريب السلاح لتمويل أمراء الحرب والجماعات المسلحة في الصومال

مما تقدّم يمكن القول، نظراً للمكانة الجيو_ستراتيجية التي ينفرد بها البحر الأحمر فإنه بات يشهد تحولات أمنية مكثفة تنطلق من تعددية الأطراف التي تسعى لتحقيق مصالحها، انطلاقاً من الفراغ الأمني الذي يحاول كل طرف أن يملأه بالطريقة التي يحقق بها أهدافه ورؤاه، والذي قد يفرز تحولات أمنية معقدة نتيجة لتعددية المشكلات التي تفرض خيارات عسكرة المنطقة وحالة (انفجار القوة) كعامل مهدد للسلم والأمن الدوليين

خاتمة لبداية جديدة

حاولت هذه الدراسة تفسير ارتباط التهديدات والمخاطر الأمنية المحلية بالإقليمية والدولية، واستعرضت إمكانية تأثير الرقعة الجغرافية على التصادمات الجيو_سياسية في منطقة البحر الأحمر، وهي بهذا توفر تبصّرات مهمة، أولها أنها توضح كيف يمكن أن يتفاعل الامن في حلقات حرجة على نحو يعرقل فهم وتحليل وتفسير النتائج بسبب فوضوية المصالح الدولية التي تؤدي الى تحولات أمنية مكثفة كنتيجة لتعددية الأطراف، وتعقد المشكلات الدولية، اللتان تضفيان الى تهديدات أمنية مستدامة تشبه الحلقات المفرغة من حيث صعوبة التعامل معها. وثانيها أن تكشف أن الفاعلين الدوليين لا يحتاجون الى اعتبار الأفعال الروتينية غايات في حد ذاتها، بل توفر لهم بيئة قابلة للتنبؤ، تمكنهم من إعادة إنتاج أمنهم ومكانتهم تبعاً للمصالح والاهداف التي يسعون الى تحقيقها

المصادر:

1 _ للمزيد ينظر في: مصطفى الفؤاد، القرصنة وأمن البحر الأحمر، دار امجد للنشر والتوزيع، عمان، 2020، ص 100.

2 _ حول أهمية قناة السويس ينظر في: أوليفييه باتشيني وأخرون، «قناة الويس الجديدة: الاثار الاقتصادية على التجارة في البحر المتوسط»، مجموعة انيستا سان باولو، إيطاليا، 2015 ص 4. وقارن مع الهيئة العامة لقناة السويس، « احصائيات الملاحة البحرية»، متاح على الرابط الاتي: SCA - Navigation (Statistics (suezcanal.gov.eg

3 _ للمزيد ينظر في: مصطفى الفؤاد، مصدر سبق ذكره، ص 87_94.

4 _ للمزيد ينظر في: احمد عبدالحليم» أمن ابحر الأحمر: الماضي_ الحاضر_ المستقبل « مجلة قضايا ستراتيجية، العدد(2) المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، 1996، ص 14. وكذلك في: قحطان احمد سليمان الحمداني، « واقع ومستقبل الصراعات الدولية والإقليمية في البحر الأحمر»، مجلة العلوم السياسية، العدد(30)، كلية العلوم السياسية، بغداد، 2005،ص61.

5 _ For more information see: " Bab Al_Mandeb strait is a strategic route for Oil and natural gas shipments", Energy Information Administration, 2018. https://www.eia.gov/todayinenergy/detail.php?id=41073#

6 - مصطفى الفؤاد، مصدر سبق ذكره، ص 97.

7 _ للمزيد ينظر في: أحمد أمين الشجاع، « القرصنة في منطقة القرن الافريقي» مجلة البيان، العدد(275)، مطابع الاهرام التجارية، الرياض، 2009، ص ص 66_67.

8 - مصطفى بكري، تيران وصنافير: الحقيقة الكاملة، الدار العربية للعلوم: ناشرون، بيروت، 2017، ص ص91_92.

9 _ أحمد عبدالكريم سيف وخالد الرماح، « مهددات الامن في البحر الأحمر والقرن الافريقي»، مجلة أوراق الشرق الأوسط، العدد(50)، المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط، عمان، 2010، ص ص 155_156.

10 _ للمزيد حول الرؤى الإقليمية لأمن البحر الأحمر، ينظر في: مصطفى الفؤاد، مصدر سبق ذكره، ص ص 103_112.

11 _ مقابلة أجرتها قناة كلمة الفارسية مع سعيد قاسمي، بثت بصورة مباشرة على القناة بتاريخ (2017/3/9) وأيضاً متاح على الرابط الاتي: https://www.youtube.com/watch?v=hQTNFBe94yY

12 - للمزيد حول نشأة ميناء ايلات ينظر في: علي نعمة الحلو، الوجود الأمريكي_ الصهيوني في البحر الأحمر، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، 1974، ص ص 60_64.

13 _ عماد قدورة، "نحو أمن عربي للبحر الأحمر"، دراسات ستراتيجية، العدد(22)، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابوظبي، 1998، ص 20.

14 _ مصطفى الفؤاد، مصدر سبق ذكره، ص 111.

15 _ تقرير» استخبارات الصحافة» مركز صدارة للمعلومات والاستشارات، العدد(245)، 2024، ص 2.

16 _ « تحالف حارس الازدهار.. قوة بحرية دولية لمواجهة الحوثيين» متاح على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط الاتي: تحالف "حارس الازدهار".. قوة بحرية دولية لمواجهة الحوثيين | الموسوعة | الجزيرة نت (aljazeera.net)

17 - مدحت أيوب، « التجارة في المحيط الهندي: الفرص والمخاطر»، مجلة السياسة الدولية، العدد (177)، مؤسسة الاهرام، القاهرة، 2009، ص 104.

18 _ للمزيد حول الأرقام الرسمية لإحصائيات الملاحة البحرية عبر البحر الأحمر ينظر في: الهيئة العامة لقناة السويس «احصائيات الملاحة البحرية»، التقرير السنوي، 2016، ص 17.

19 _للمزيد ينظر في: سليم كاطع علي، « التواجد العسكري الأمريكي في الخليج العربي: الدوافع الرئيسية « مجلة دراسات دولية، العدد(54)، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، بغداد، 2013، ص 138.

20 _ للمزيد ينظر في الهيئة العامة لقناة السويس، «احصائيات الملاحة البحرية»، التقرير السنوي، عام 2016، ص 7.

21 _ للمزيد ينظر في: « التداعيات الجيو_سياسية للهجوم الإسرائيلي على الحديدة تتجاوز الحوثيين»، مركز ابعاد للدراسات والبحوث، متاح على الرابط الاتي: file:///C:/Users/hp/Downloads/17238451042708.pdf

22 _للمزيد حول المساعدات الإنسانية ينظر في: «نداء إنساني لتوفير 2.6 مليار دولار لمساعدة 7.6 مليون شخص في الصومال 2023»، متاح على الرابط الاتي: https://news.1118082/02/un.org/ar/story/2023

23 _ للمزيد حول أثر الهجمات الحوثية على السفن ينظر في: نعوم ريدان، « هجمات الحوثيين على السفن تشكل تحدياً طويل الأمد للأمن الإقليمي والخطط التجارية»، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، متاح على الرابط الاتي: https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/hjmat-alhwthyyn-ly-alsfn-tshkl-thdyaan-twyl-alamd-llamn-alaqlymy-walkhtt-altjaryt

24 _ للمزيد ينظر في: نرمين ناصر ومحمد فوزي، « تداعيات سلبية: تنامي العلاقات بين الحوثيين والقاعدة وحركة الشباب الصومالية «، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، متاح على الرابط الاتي: https://ecss.com.eg/47670/

25 _ see: "New report highlights continued threat of Somali piracy" The International Maritime Bureau (IMB), https://www.icc-ccs.org/index.php/1348-new-report-highlights-continued-threat-of-somali-piracy

26 _ حسن البراري، « التداعيات الجيوسياسية للحرب على غزة»، مركز الجزيرة للدراسات، متاح على الرابط الاتي: https://studies.aljazeera.net/ar/article/5855

27 - « التداعيات الجيو_سياسية للهجوم الإسرائيلي على الحديدة تتجاوز الحوثيين»، مركز ابعاد للدراسات والبحوث، مصدر سبق ذكره، ص6.

28 - للمزيد حول دور حزب الله في الحرب على غزة ينظر في: أدهم صولي، « بين الهوية والقلق والحرب: حزب الله وتراجيديا غزة «، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، العدد(49)، المجلد(13)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2024، ص ص 57_ 59.

29 - حسن البراري، مصدر سبق ذكره.

30 _للمزيد ينظر في: اليعازر تشيني مروم، «البعد البحري في ستراتيجية الجيش الاسرائيلي»، في كتاب «ستراتيجية الجيش الإسرائيلي من منظور الامن القومي»، ترجمة مركز أطلس للدراسات الإسرائيلية، غزة، 2016، ص ص 20_22.

31 _ نقلاً عن: جورج المصري، «الاطماع الإسرائيلية في المياه العربية»، مركز الدراسات العربي_ الأوروبي، باريس، 1996، ص 126.

32 _ نعوم ريدان، مصدر سبق ذكره.

33 - Noam Raydan, " Five Lessons from the Sounion Salvage Crisis in the Red Sea", The Washington Institute For near East policy, https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/five-lessons-sounion-salvage-crisis-red-sea

34 _ Dakota L.Wood," 2015 index of U.S. Military strength: Assessing American Ability to provide for the common defense" The Geritage foundation, Washington,2015,p183.

35 _ للمزيد ينظر في القرار ذي الرقم (2722) في وثيقة الأمم المتحدة المرقمة:, 2024/1/10. (S/RES/2722)(2008)

36 _ للمزيد حول ستراتيجة عقد اللؤلؤ الصينية ينظر في: مثنى مشعان المزروعي، « المسارات الجغرافية لعقد اللؤلؤ

الصيني وانعكاساته على دول مجلس التعاون الخليجي»، مجلة كلية التربية جامعة واسط، العدد(38)،المجلد(2)،2020،ص708.

37 _ محمد صالح عمر، « الصين تعزّز نفوذها في البحر الأحمر.. فماذا تريد من المنطقة؟ «، مركز الجزيرة للدراسات والبحوث، متاح على الرابط الاتي: https://www.aljazeera.net/politics/2022/9/

38 _ حمدي بشير، « موطئ قدم بالبحر الأحمر: توجهات روسيا لبناء قاعد عسكرية في السودان»، المركز المصري للفكر للدراسات والاستراتيجية، متاح على الرابط الاتي: https://ecss.com.eg/12748/

39 _اشرف الصباغ، « المناورات الروسية المصرية: قواعد عسكرية أم تعاون استراتيجي؟»، روسيا اليوم، متاح على الرابط الاتي: المناورات الروسية المصرية: قواعد عسكرية أم تعاون استراتيجي؟ - RT Arabic

40 - نعوم ريدان، مصدر سبق ذكره.

41 _ Eleonora Ardemagni," Flexible Outposts: The Emirati Approach to Military Bases Abroad",(April 30, 2024) https://carnegieendowment.org/2024/04/sada/flexible-outposts-the-emirati-approach-to-military-bases-abroad?lang=en

42 _ للمزيد ينظر في: « الأونكتاد يحذر من التأثير الهائل لأزمة البحر الأحمر على الشحن العالمي»، الأمم المتحدة متاح على الرابط الاتي: https://news.un.org/ar/story/2024/01/1128002 وكذلك ينظر في: « تقرير أممي يرصد تأثير هجمات الحوثيين في البحر الأحمر على قناة السويس»، الشرق الأوسط، متاح على الرابط الاتي: https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2024/02/23/egypts-suez-canal-traffic-plummets-by-42-for-monthly-transits-and-82-for-container-tonnage

43 _ محمد مختار قنديل،» جولة أخرى من المفاوضات مع الحوثيين: تنظيم القاعدة في جزيرة العرب كمفسد محتمل في اليمن»، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، متاح على الرابط الاتي: https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/jwlt-akhry-mn-almfawdat-m-alhwthyyn-tnzym-alqadt-fy-jzyrt-alrb-kmfsd-mhtml-fy-alymn

ا. م. د. فايق حسن

الرؤية الديناميكية

للتفاوض في حرب غزة

لطالما استعارت العلوم الإنسانية مفرداتها التفسيرية من العلوم التطبيقية كون الاخيرة تسبقها بعقود زمنية بالتأصيل النظري والنجاح بالوصول للقوانين العلمية الحاكمة للظواهر الطبيعية موضوع الدراسة والبحث وبقدر تعلق البحث بالديناميكية المشار اليها في العنوان فهي قوة دفع نجح الانسان بنقلها من الطبيعة للإزاحة الاحمال الثقيلة التي تعرقل الاعمال او تسم بإنجاز الاعمال الثقيلة " Heavy duties".

والقضية الفلسطينية هي من اثقل الاعمال واطولها عمراً في المنطقة العربية إذ ولدت معطياتها مع بدايات القرن العشرين، وابرز نقاط تطورها التي دفعت بقوة الكيان الاسرائيلي للبروز في المنطقة كان وعد بلفور عام 1921، ومنذ ذلك الحدث الى الوقت الحالي فإن قوى الدفع وتوزيع الاحمال تتباين من حيث محركات الدفع ومن حيث القوى المحركة وديناميكيتها التي حكمتها توزيع الاحمال والضغوط وفق قاعدة الاواني المستطرقة والتي تنقل الاحمال من مناطق الضغط العالي صوب مناطق الضغط المنخفض، وهذا الذي وظفته اتفاقيات اوسلو بنجاح، فقد نقلت الاحمال والضغوط من الدول والاطر الرسمية التي قبل اغلبها بالتطبيع ـ واولهم منظمة التحرير الفلسطيني ـ صوب الفواعل من غير الدول كونها الحلقة الاضعف التي من الممكن نقل الضغط اليها والسيطرة عليها

والسؤال المثار في هذا الموضع؛ ويرتبط بالجهد البحثي هنا، هو هل ان ديناميكيات التفاوض والتأثير نقلت صوب الفواعل من غير الدول لسهولة التأثير بها؟ كونها محدودة الامكانات، وهل ان نقل السلطة لها كان يهدف الى التعامل مع طرف ضعيف؟ وللإجابة عن هذا السؤال المركزي نحتاج بحث احدث التطورات التي ارتبطت بأحداث 7 تشرين الاول 2024، والإجابة عن هذا السؤال بحاجة الى تعريف من اسهم بالجذب الديناميكي صوب الفواعل من غير الدول اولا، ومن ثم تحديد العمل المراد انجازه من ديناميكية التفاوض وحداثة بعدها التطبيقي، وماهي مآلاته

اولا: اسهامات الجذب الديناميكي

الصيغ التي لطالما حكمت التفاوض في المنطقة العربية مغايرة لغيرها من البلدان خاصة اذا قرنت بطلب الحرية واسترداد الحقوق، على سبيل المثال؛ فإن ثورة العشرين في العراق مثلت نقلة نوعية في التأسيس لهذا النمط؛ فالمحرك قوى غير رسمية والمفاوض للتهدئة قوى كبرى وهذا التطبيق نجده

في سوريا ابان الاحتلال الفرنسي، وفي دولة الجزائر، واخرها كان الثورة الاسلامية في ايران، الغرض من هذه الامثلة إيضاح بيان إدراك القوى الدولية بأن الحل يكمن في قلب محرك الأزمة بمعنى ان شروط الاملاء والتحكم في ديناميكية التفاوض وتوجيه مآلاتها مدركة من القوى الكبرى، غير أن من سيضع قنوات الربط لتمرير الجهد هي حركة حماس فهي على الارض وهذا سيجعل المفاوض من حماس يملي على القوى الدولية منشأ قنوات نقل الجهد وهي تتحرك بين منشأين اساس في هذه المرحلة من الصراع وهما: قطر وايران

قطر: دولة صغيرة ثرية نجحت بأن تصنع قناة للتفاوض خفيفة، مرغوبة صديقة للبيئة الدولية شبيه بالسلعة الاستراتيجية التي تنتجها وسبب ثرائها "الغاز الطبيعي"، تحتضن قطر مقر المكتب السياسي لحماس منذ عام 2012 عندما انتقل رئيس حماس خالد مشعل من سوريا إلى قطر، وقد سبق هذا الانتقال جهد دبلوماسي مورس من قطر وتركيا، فقد كانت الدولتان الوحيدتان اللتان دعمتا حركة حماس بعد أن اطيح بحكومة الحركة، وتعززت العلاقة بين حماس وقطر في عامي 2008 و2009 عندما دُعي خالد مشعل لحضور قمة الدوحة حيث كان يجلس إلى جانب أمير قطر آنذاك حمد بن خليفة آل ثاني الذي تعهد بمبلغ 250 دولاراً مليون دولار لإصلاح الأضرار التي سببتها إسرائيل في الحرب الإسرائيلية على غزة

ووصفت قطر الحصار المفروض على غزة بأنه ظالم وغير أخلاقي، الأمر الذي عزز حكومة حماس في غزة، بما في ذلك رئيس الوزراء السابق إسماعيل هنية الى شكر قطر على دعمها غير المشروط لحماس، وقد استضافت قطر إسماعيل هنية منذ عام 2016 حتى عام 2024حيث تم اغتياله في ايران في 31 تموز، وبدأت قطر بعد ذلك بتقديم الدعم السياسي والمادي والإنساني بانتظام لحماس

وبذلك تكون قطر اهم داعم مالي لحماس وبقوة فقد بلغ كمية التحويل المالي والدعم الذي قدمته قطر أكثر من 1.8 مليار دولار، يعزز من دور هذه القناة ومنشأها، الدور المزدوج الذي تلعبه قطر بين حماس والكيان الإسرائيلي، اي انها ستحمل الحقيبة الدبلوماسية بأمان دون استخدام ضاغط ساند بل ستكون حقيبتها موضع ترحيب

وفي عام 2012، أصبح أمير قطر السابق حمد بن خليفة آل ثاني أول رئيس دولة يزور غزة برفقة الشيخة موزة بنت ناصر المسند ورئيس الوزراء وزير الخارجية السابق حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني تحت حكم حماس، وتعهد بجمع 400 دولار مليون لإعادة الإعمار، وفي اشارة الى هذا الدعم فقد صرح المسؤول القطري محمد العمادي، خلال زيارة إلى فلسطين عام 2015، بأن «قطر تستخدم الأموال ليس لمساعدة حماس، بل لمساعدة الشعب الفلسطيني ككل»، وقد استمر هذا الدعم حتى بعد عملية طوفان الاقصى وهذا يمنح قناة التفاوض القطرية ميزة لتفوقها النوعي فقد حافظت على روابطها مع كل من حماس والحكومة في الكيان الاسرائيلي، وفي حديث لوزير الخارجية القطري الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثاني، قال وزير الخارجية الأمريكي" أنتوني بلينكن" " لا يمكن الاستمرار في التعامل كالمعتاد مع حماس"، وهذا يجعل الحرب في غزة تفرض وجود منشأ ثاني قد يتقاطع مع المنشأ الاول في معطيات الجذب وبدائل التفاوض

ايران: تواجه عقوبات اقتصادية قوية على الارض فهي توصل السلاح والعتاد متحكمة بالإنفاق ليس لها

قناة مباشرة مع الكيان الاسرائيلي ومعاركها ذات طابع طويل الامد يستمد خصائصه من العمق التاريخي لدولة ايران الاسلامية لذا فهي ستصنع قناة مزدوجة الاستخدام؛ اقتصادية عسكرية دون التفاوض على الامن، فهو ورقتها الرابحة كونه سلعة استراتيجية غير مرنة شبيه بالبترول الذي تبيعه ايران يحتاج جهد للتنقيب، ويترك اثره في البيئة عكس قطر فأن دورها يشبه الغاز سريع التسامي وصديق للبيئة الدولية ويمل التوجه المستقبلي صوب استخدامه

إيران تدعم حماس بالتمويل والأسلحة والتدريب فحماس بالنسبة لإيران عمق وفرصة سانحة للتمركز خاصة وان ايران منذ الثورة عام 1979، ترفع شعار ان الطريق الى القدس يمر بكربلاء، ووفقا لتقرير وزارة الخارجية الأمريكية لعام 2020، تقدم إيران حوالي 100 مليون دولار سنويا لفصائل المقاومة الفلسطينية، بما في ذلك حماس، اعتبارًا من عام 2023، وفقًا لمصدر أمني إسرائيلي، زادت إيران بشكل كبير تمويلها لحماس إلى 350 مليون دولار سنويًا، فضلاً عن التدريب العسكري للآلاف من أعضاء حماس في قواعد الحرس الثوري الإيراني في إيران ولبنان، فضلا عن ذلك، افتتحت حماس مكتباً لها في طهران، مشيرةً إلى أن كلا من إيران وحماس تتقاسمان «وجهة نظر متطابقة في النظرة الاستراتيجية تجاه القضية الفلسطينية في بعدها الإسلامي، وحماس مدركة ان ايران حليف جيد فهي لم تتخلى عن دعم الحركة التي عدت سلطة غير مرغوب فيها دولياً في غزة، وإن

كان عام 2011 قد شهد توتر بين ايران وحماس التي رفضت دعم النظام السياسي في سوريا وهي بذلك تصطف الى جانب قطر دون التخلي عن علاقاتها مع الجمهورية الإسلامية في ايران، وفي ديسمبر 2017، وصف نائب رئيس حركة حماس صالح العاروري، العلاقات مع إيران بأنها "ممتازة.... وأشاد بدعمها للمقاومة في غزة، قائلًا ان ما تقدمه إيران للمقاومة ليس رمزيا أو سطحيا، وقال لقناة القدس التابعة لحركة حماس: إنها مهمة وحقيقية ومركزية وأساسية للمقاومة واستمرارها وفعاليتها

ولأغراض مختلفة، فقد أصبح من الواضح أن إيران وحماس قد تجاوزتا خلافاتهما السابقة بخصوص الأزمة السورية، وأصبحتا الآن تنظران إلى بعضهما البعض كشركاء استراتيجيين، وهذا عد ميزة لإيران المنشأة لقناة التفاوض الثانية، فهي لا تترك حليف حتى وان لم تحقق منه منفعة وهذا الاسلوب رسالة للحلفاء الجدد وتأكيد للقدماء بان ايران لا تخسر حليف، وقال خالد مشعل بأن حركة حماس هي الابن الروحي «للإمام الخميني"

و مع انهيار المساعدات الخارجية عدا القادمة من قطر فإن هذه العلاقة تعكس عمق العلاقة بين الطرفين وهذه كانت من المفاجآت غير انها مدركة كون حماس وايران في خندق سياسي واحد، وإيران نجحت عبر سوريا بصناعة عمق استراتيجي للمقاومة في فلسطين بديل منافس لمصر، فقد عمل الحرس الثوري الإسلامي الإيراني مع حماس للتخطيط لهجومه المفاجئ في 7 تشرين الاول 2023 على جنوب إسرائيل وأعطى الضوء الأخضر لحماس لشن الهجوم بعد اجتماع في بيروت في 2 أكتوبر، وفي الهجوم الذي قادته حماس، قتل المقاتلون الفلسطينيون 1200 إسرائيلي، واحتجزوا حوالي 200 آخرين بعضهم عسكريون كرهائن بحسب جريدة وول ستريت جورنال، وفي الأسابيع التي سبقت الهجوم، تلقى حوالي 500 مقاتل من حماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني تدريبات في إيران، تحت إشراف فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني. اي ان منشأ القناة الثانية سيكون ضاغطاً على المفاوضات لإملاء شروط التفاوض لأنها تضغط في سلعة استراتيجية غير مرنة وهو الامن، وهنا يبرز لنا الجزء الثاني المرتبط بالسؤال المركزي عن ماهية العمل المراد انجازه

ثانياً: تحديد العمل المراد انجازه

العمل المراد انجازه دون التحقيق بمعنى هو مطلب هلامي الشكل غير واضح المعالم، والانجاز فيه هو الذي تمليه توازنات القوى على الارض في فلسطين، وهذا يجعل الهدف من ديناميكية التفاوض يمتاز بدرجة غموض عالية؛ الحرب في غزة استهداف لفلسطين حتى تنتج الديناميكية طبيعة العمل وحجم المنجز ام نها ترتبط بالمنطقة العربية حصرا او للهلال الخصيب عموماً او كما وصفه بريجنسكي الطوق الاهم من القلب، ولبحث هذا المراد انجازه يحتاج ان نميز بين المراد انجازه داخل فلسطين، والمراد انجازه خارج فلسطين، فالقضية الفلسطينية كفكرة ولدت خارج الحدود وديناميكية المراد انجازه تحرك بدفع خارجي، غير ان قوة المقاومة نجحت في ان تميز بين المراد انجازه داخل الحدود بين قوة المقاومة وبين الاحتلال الاسرائيلي

داخلياً: ديناميكية الفعل ستكون غير متعادلة كون الدور الذي تمارسه فتح سيبقى رد فعل مستمر

مساوي لحماس في القوة او متقارب منه ومعاكسها في الاتجاه

خارجيا: النظام الدولي وهو مصطف بمراكز القوة فيه مع الكيان الاسرائيلي، وقوى المعارضة لهذا الدعم فشلت في استحصال قرار من مجلس الامن داعم لقوى المقاومة

باستعراض الاتجاهين نجد ان الحلقة الاصعب في الرؤية الديناميكية للتفاوض على ارض فلسطين فهي الحلقة الاصعب بكل التعقيد الذي ولدته الاديان في هذه المنطقة اليهودية، ثم المسيحية، والاسلام

اي ان شمول الدفع الديناميكي يرتبط بهدف شمولي خاص بعموم المنطقة خاصة وان نجاح الترويض الذي اتى اكله في الخليج العربي وجعل الوسط الايراني وقوى البازار في ايران تقف امام مفترق طرق بين الاندماج الاقتصادي او التقهقر عن ركب اللحاق بالاقتصاد العالمي تبعا للموانع التي تفرضها القيم الإسلامية، والاخيرة توازيها قيم اسلامية مندمجة في تركيا وهذا يعقد المشهد ويجعل امام ايران تحد بالغ الحرج في القدرة على استخدام سلعتها النادرة، وهي الامن الإسلامي عبر القوى المجتمعية غير الرسمية الحليفة لكن ما هي المدد الزمنية المتاحة أمام قيادة امتازت بالحكمة وبلغت التسعين من العمر ـ سماحة السيد "علي خامنئي " ـ؟ الذي سيفاوض وفي جعبته هدفين وليدا البعد العقيدي، الأول هو الدور الإقليمي للجمهورية الاسلامية الذي نجحت ايران بإثباته، وجعل الحضور الايراني فاعل إقليميا، ولكن بعد الخروقات الامنية واغتيال اسماعيل هنية تولدت قناعة بأن امن الداخل جزء من امن الخارج، اي ان هدف الامن سيتحول من وسيلة ضغط ايرانية الى وسيلة ضغط نسبية ونوعية الطابع، بعبارة أوضح، فإن تركيز الموارد الذي كان يصب في الامن الإقليمي وتعزيز مكانة الجمهورية الإسلامية ودورها سوف تواجه تحدي برهنة الامن الداخلي مما يعني تدويرا للموارد، والمزيد من الأعباء الاستراتيجية لتأمين الداخل سعيا الى حفظ المركز الإقليمي

والثاني الابقاء على الدور المركزي في التفاوض حيال كل ما تشهده المنطقة فهذه الميزة ايران غير مستعدة ان تخسرها، مع الاخذ بعين الاعتبار الفارق في ادوات الضغط وديناميكيتها بين مختلف حقب الدولة الإيرانية الحديثة

ثالثاً: المآلات

المآل في اطاره العام اللغوي او في بعض معانيه هو كل ما يمكن حيازته او الانتفاع به او هو ملجأ، ومآل الكلام مفاده مقصده مغزاه مآله نهايته نتيجته، وفي اطار بحثنا فإن استخدام هذه المفردة هو النتيجة، وهي نتيجة مرحلية وليست نهائية الطابع، لسبب ذا كينونة تاريخية؛ ان ما غصب من ارض يسترد وسردت لنا سلسلة الحروب الصليبية جزء مهم من هذه الاشكالية المزمنة، عليه سنبحث المحتمل من هذه المآلات

الاول: اجراء مقاربة بين تجربة الديمقراطية لفتح والتي مرت عبرها حماس ونجحت بكسب الاعتراف الاقليمي والدولي كحكومة محلية، وبين طوفان الأقصى التي قادتها حماس ونحن بصدد بحثها؛ الاولى لم تؤتي اكلها الاقليمي لصغر التجربة ومحدودية الجذب، كون كتلة الجذب صغيرة واستبدلت بتجربة العراق الديمقراطية، والثانية جاءت بشكل يوازي ما تشهده الامارات العربية من الانتقال نحو هوية مغايرة للبيئة العربية من تراجع للهوية واللغة

العربية التي اصبحت ثاني لغة واقل قومية في هذه الدولة المؤسسة في 2 كانون الاول 1971.

لذا دفعت الظروف الإقليمية الانظار صوب تجربة العراق بعد عام 2003، فكانت موجة (حريات) لازالت تعصف بقواعد المجتمعات صوب تفكيكها واقرار قيم لا انسانية شبيه بالمثلية، اي ان المقاربة ستقود الى فكرة اساس؛ ان العمل الدولي تجاه المنطقة وفق اسلوب القوى الناعمة المدعومة برفاهية رفع القيود عن حياة المجتمعات ستأتي اكلها، وهذا النجاح المحتمل نجد بعض من ارهاصاته الظاهرة في التطبيع من قبل دول الخليج العربي، واخذ يهدد الهوية والموقف السياسي الذي بدا في غاية السلبية وهو ينكص عن دعم الشعب الفلسطيني المطالب بحريته

الثاني: نظام التغذية الاسترجاعية الذي حكم الصراع مع الكيان الصهيوني، غير ان المآل في هذه المرحلة سيكون صراعاً اسلامياً صهيونياً والمبدأ الاسلامي عندما يرتبط بالتغذية العكسية فهو لم يكن وليد الحدث بقدر كونه عملية اعادة انتاج للمقاومة في الهلال الخصيب، عبر الباع الطويل والخبرة التي اكتسبتها قوة المقاومة الاسلامية في مواجهة الارهاب من تنظيم القاعدة وداعش، لتولد انبعاث ذاتي ولد في رحم العقيدة الإسلامية، واكتسبته قوة المقاومة في فلسطين ليمتد للعالم الاسلامي؛ اي لا حياة حرة دون مقاومة وهذا خيار الشعوب الحرة

الثالث: المآل الاخر ضغط النمو السكاني الذي يواجهه الكيان الصهيوني مقابل اصحاب الارض في فلسطين، بناء على التقديرات السكانية التي أعدها الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، هناك حوالي» 14.8 مليون فلسطيني في العالم منتصف عام 2024، نصفهم خارج فلسطين، إذ بلغ عددهم نحو 5.61 مليون فلسطيني في دولة فلسطين، منهم 2.85 مليون ذكر و2.76 مليون أنثى، و1.8 مليون في اراضي عام 1948، مقابل 9.9 مليون يهودي في فلسطين وصفهم الاحصاء بشعب اسرائيل، منهم 7.247.000 يهودي (73.2%)، إضافة إلى 2.089.000 عربي (21%) كما و5.7% (آخرون) فيما زاد عدد السكان نحو 189 ألفا (1.9%) منذ العام الماضي، اي أن اعداد العرب تقارب الصهاينة رغم كل الجهد الدولي الداعم للكيان الإسرائيلي، اي ان الدولة التي تبنى على ارض فلسطين سيكون سكانها العرب اكثر من 52% مع كل موجات التهجير التي يواجهها الفلسطينيون

الرابع: هو تغذية راجعة ترتبط بدول التطبيع، فهي قد قبلت بالمبدأ وفق نظرية دعم التنمية، التي تحولت في كل من فلسطين والاردن الى معونة، لقد تحول الاقتصاد نحو القطاعات غير القابلة للتداول وذات القيمة المضافة المنخفضة على مر السنين، مما أدى إلى ضعف الأداء في الصادرات والاستثمار الأجنبي المباشر، على سبيل المثال، أدى ارتفاع الدين الحكومي المصري ((الذي تم الإبلاغ عنه آخر مرة بنسبة 95.2 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي في نهاية السنة المالية 2023))، وبالتالي ارتفاع مدفوعات الفائدة، إلى تقييد الإنفاق على رأس المال البشري والحماية الاجتماعية، وحسب بيانات البنك المركزي المصري، زاد إجمالي الديون الخارجية في نهاية 2023، إلى نحو 168 مليار دولار، من بينها 29.5 مليار دولار ديون قصيرة الأجل ونحو 138.5 مليار دولار ديون طويلة الأجل، 2019، اي ان صفة الدولة المدينة بقيت ملازمة لمصر رغم سياسة التطبيع التي قامت على أساس وعود التنمية والاستقرار، ولا يختلف الوضع الاقتصادي في الاردنُ عنه في مصر حيث واصل اداء الاقتصاد الاردني ضعفه وزاد من صعوباته الصراع في غزة، والاختلالات التي اصابت التجارة عبر

البحـر الأحمـر، فلا زال معـدل نمـو الاقتصـاد منخفـض، إذ يُتوقَّعُ للنمـو أن يعتـدل ليبلـغَ 2,4 في المئـة في العـام 2024، بعـد أن كان قـد وصـل إلـى 2,6 في المئـة في العـام 2023، و يُتوقَّـع لوتيـرة النمـو أن تنتعـش في العـام 2025، ولكـن ذلـك مرهـونٌ بانتهـاء الصـراع، وتلاشـي تأثيـره، ممـا يجعـل تحديـات الاقتصـاد الاردنـي قائمـةً؛ فما زالـت معـدلات البِطالـة مرتفعـةً، والوضـع الإقليمـي غيـر المسـتقر يلقـي بظلالـه علـى آفـاق الاقتصـاد الأردنـي في المـدى القريـب، ناهيـك عـن ديمومـة حاجـة الأردنُّ إلـى دعـم دولـي قـوي، ليدعـم جهـود وسياسـات السـلطات، بالإضافـة لمساعدة الاردن في تحمـل كلفـة اسـتضافة عـدد كبيـر مـن اللاجئيـن السـوريين، اي ان المحصلـة مـن هـذا المـآل ان دول التطبيـع التـي كانـت مرشـحة ان تشـكل عامـل جـذب للـدول الاخـرى بفضـل مـا سـتحظى بـه مـن تنميـة اقتصاديـة اصبحـت عامـل طـرد ولا تمثـل نمـوذج جـاذب للتطبيـع، اي ان جهوزيـة النتائـج التـي قدمتهـا الولايـات المتحـدة لـدول التطبيـع لـم تحقـق اي كسـب مـادي او معنـوي لهـذه الـدول او غيرهـا مـن الـدول الاخـرى

الخامـس: دور مصـر يمكـن القـول ان محـركات الديناميكيـة وقنواتهـا فيمـا يخـص الـدور المصـري في القضيـة اليـوم قـد صيغـت خـارج حـدود مصـر، وسـيتم انجازهـا علـى الاراضـي المصريـة فالأخيـرة دائمـا مـا تعاني موازنتهـا مـن العجـز علـى الرغـم مـن حجمهـا الكبيـر

وثقلها الاقليمي النسبي، وكونها سابقة في التطبيع ولديها نصر معنوي في حرب اكتوبر عام 1973، وهي التي قادت حرب الخليج الثانية بعد احتلال العراق للكويت، اي ان الأمل بالاستقرار والتنمية المرتبطان بالتطبيع وموافقة المزاج الغربي فيما يخص القضية الفلسطينية والموقف من المقاومة سيتم صناعته خارج الحدود العربية، ويسوق للداخل لغرض الاستهلاك السياسي، هذا التصور يقدم رؤية مبسطة لنقل التطبيقات داخل المنطقة العربية وهذا يجعل المنطقة امام تحدي المعارضة الذي يعبر عن اصالة في الوجود والممارسة كونه نابع من جوهر القيم الاسلامية والعربية وان كانت غير مسلمة، اي ان المنظومة الدينية والقيم العربية ستنتج تيار معارض ذا طابع مسلح لأن رد الفعل دائماً ما يكون من جنس الفعل

وهناك حقائق تفرض على المآلات وهي حقائق الجغرافية التي تمتلكها مصر فحماس في غزة تحتاج الى مصر كمعبر وحيد، وان كانت هناك انفاق بديلة من لبنان والجولان غير انها لا تفي مثل معبر رفح الذي تتحكم به مصر تاريخيا بموجب اتفاق مع بريطانيا، لقد خضعت رفح عام 1917 للحكم البريطاني الذي فرض الانتداب على فلسطين، وفي 1948 دخل الجيش المصري رفح وتحولت السيطرة عليها إلى مصر، حتى وقعت في أيدي إسرائيل عام 1956 ثم عادت للإدارة المصرية عام 1957 حتى عام 1967 حيث احتلها إسرائيل، وزاد من أهميتها التاريخية مرور خط السكك الحديدية الواصل بين القاهرة وحيفا في أراضيها، وتم تدمير هذا الخط بعد عام 1967، وقسمت إلى شطرين بالأسلاك الحدودية الشائكة بعد اتفاقية كامب ديفيد، حيث استعادت مصر سيناء، وإثر ذلك انفصلت رفح سيناء عن رفح غزة، وبلغت مساحة الشطر الواقع بغزة 3 أضعاف مساحة الشطر المصري تقريبا، كما توضحه الخريطة (1)

اي ان دور مصر التفاوضي لن يكون ريادياً بقدر ضغطها لتمرير القناة التفاوضية التي منشأها قطر فهي كما قدمنا صديقة للبيئة الدولية، ومصر تسعى جاهدة عبر معطيات الجغرافية التي تجعل غزة بحاجة ماسة لها ستدفع بالضغط على المجتمع الدولي لتعظيم فوائد الوساطة وجمع الفرقاء لتمرير صفقة انهاء الازمة، واذا اجرينا مقاربة للواقع السياسي في مصر فأن مصر تحت حكم عسكري خصائصه مركزية الطابع معتمدة بدرجة كبيرة على حلفاؤها في الخليج العربي خاصة بعد صفقة تيران وصنافير، فهي ستنهض بدور شبيه بحرب الخليج الثانوية مع الفارق بتوصيف المعطى والعدوان الذي وقع على الكويت، اي ان غزة صنعت استبدال في مركز التفاوض العربي واقرت توازن جديد مصر لا تكون جزءا منه، بل ستكون مستفادة منه

الخامس: غزة هي قلعة فلسطين وتسميها المقاومة الفلسطينية بـ»الصندوق الأسود»، لما شهدته من عمليات نوعية ضد الجيش الإسرائيلي شملت أسر وقتل جنود، حيث كانت، فقد شهدت عام 2005 قبل الانسحاب الإسرائيلي من غزة عدداً من العمليات العسكرية النوعية للفصائل الفلسطيني، أُسر في حدودها الشرقية الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط عام 2006، لتعيد الكرة فصائل المقاومة في التفوق على الكيان الاسرائيلي وفي 2014 اعادة فصائل المقاومة كرتها على العدو وذلك عقب نجاح مقاتليها في تنفيذ عمليات نوعية ضد الكيان الاسرائيلي فيها تم أسر الجندي الإسرائيلي هدار غولدن شرقي رفح

خلال حرب 7 تشرين الاول الحالية تشهد المدينة قصفاً عنيفاً واجتياحاً للكيان الإسرائيلي وبسبب

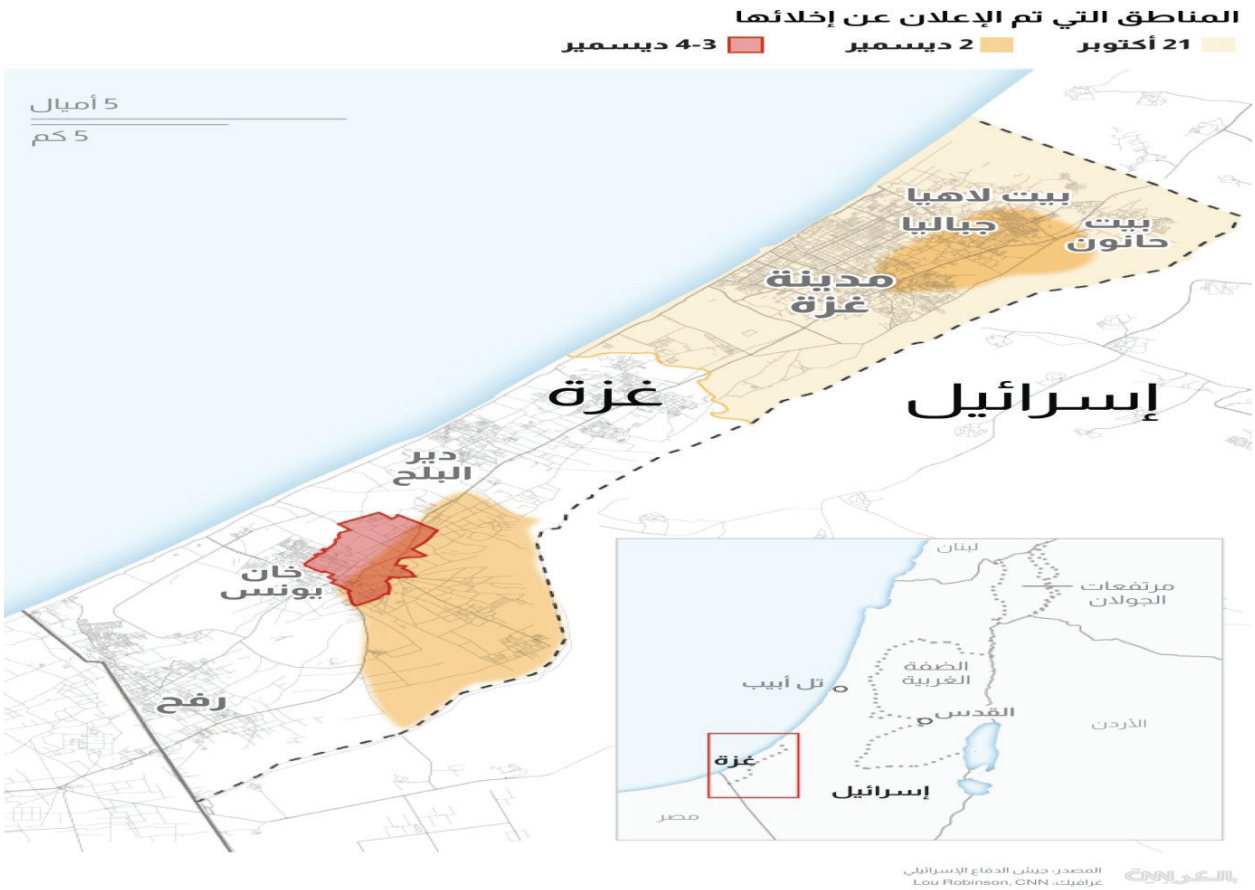

خريطة (1) موقع غزة الجغرافي

موجات التهجير تضاعف عدد سكان رفح الى 5 مرات بموجب أوامر الإخلاء الإسرائيلية منذ 7 أكتوبر، إذ غطت مساحة الخيام اكثر من 3.5 كم2، مع الحدود المصرية، وهذا اعتبرته مصر عامل ضغط لازالت جاهدة تسعى لتوظيفه في دورها التفاوضي بين حماس والكيان الإسرائيلي، لأن مصر ترفض وبشكل قاطع مقترح اسرائيلي يقضي بتوطين مئات الآلاف من النازحين الفلسطينيين برفح تجاه الأراضي المصرية واختراق الحدود، ما يعني تصفية القضية الفلسطينية، فضلًا عن رفضها قيام الجيش الإسرائيلي بشن هجمات في محور فيلادلفيا الذي يخضع للسيطرة المصرية منذ عام 2005.

وإشارت دائرة الشؤون الخارجية في الاتحاد الأوروبي أيضاً إلى أن أكثر من» مليون فلسطيني يحتمون

بمنطقة رفح هرباً من القصف، وأن الاتحاد لديه «قلق بالغ» بشأن خطة إسرائيل لمهاجمة المنطقة»، وتشير التقديرات إلى أن نحو مليون و400 ألف مدني محاصر في مدينة رفح، سواء كانوا سكاناً أصليين أو نازحين من شمال ووسط قطاع غزة يسكنون الخيام، ويعانون جميعاً من نقص الخدمات والموارد.

وبكل هذا العدد من السكان تعاني رفح من قلة الموارد والخدمات الصحية، فليس بها إلا عدد قليل من المستشفيات، أبرزها مستشفى رفح المركزي ومستشفى الكويت التخصصي ومستشفى الشهيد أبو يوسف النجار، وجميعها تعاني من نقص في الإمدادات الطبية والأدوية وغياب الكهرباء والطاقة، ومعبر رفح هو المكان الوحيد الذي يعوّل عليه في إدخال المساعدات وإخراج المصابين لتلقي العلاج في القاهرة، وحتى قبل الحرب على غزة، فهذا المعبر هو الذي جرى من خلاله دخول البضائع إلى القطاع من مصر إلى جنوب غزة، والآن تحولت رفح إلى مخيم كبير للاجئين الذين نزحوا إليها من الشمال، إما فراراً من المجازر والقصف وإما مرحلين قسرياً من بيوتهم، وأصبحت شوارعها مليئة بالخيم غير النظامية المصنوعة من أقمشة متهالكة وبلاستيك منصوب على أعمدة معدنية، وأنشئت آلاف من الخيام في الجزء الشمال الشرقي للمدينة

مقاربة ختامية في رؤية ديناميكية التفاوض

يمكن القول ان حركة حماس ولدت مستندة على ديناميكات ممتزجة ونابعة من كينونة الامة العربية والاسلامية، فهي طبيعية التكوين ذاتية النشأة، محركات قدرتها تسمد قوتها من توليد ذاتي؛ بمعنى ان ديناميكيتها ستكون صناعة فلسطينية بامتياز وسترتكز على البعد الاسلامي لتمرير رؤيتها، ولكنها تحتاج الى القنوات التي انشأت خارج حدود فلسطين وكما قدمنا فإن هذه القنوات تكتسب صفة رسمية كونها انتاج دول اعضاء في الجمعية العامة للأمم المتحدة وهي دول معترف بأدوارها المؤثرة في حرب غزة، أي ان حماس ستفقد الدعم الاقليمي اذا لم تعتمد على القنوات المنشأة للتفاوض وهذا في جزء منه سيجعل حماس تمتلك ضرورات البقاء بسبب اصالتها وعمقها الذي تستمد منه خصائصها، يعزز هذا الوجود ان حماس اصبح لها كيان اقتصادي معزز للوجود العسكري والدور السياسي الذي تمارسه، غير انها لم تكن صاحبة نصر استراتيجي هذا ما لا تسمح به القوى الدولية والكيان الاسرائيلي ولا حتى القوى التي قبلت باتفاقيات اوسلو

هذا التعقديات ستدفع حماس باتجاه احراز نصر تكتيكي يبقيها تتمتع بميزة نسبية؛ توظيف الموقع الاستراتيجي لادامة الامدادات العسكرية لحماس، لان حماس لن تكون حركة ستتمدد وتقاتل بل تطمح بأن تستمر وتديم تفوقها النوعي، غير ان نجاحها بكسر حاجز الخوف سيجعلها تستقطب المقاومين في كل العالم الذي اخذ يدافع عبر قنواته الدبلوماسية مثل القضية التي رفعتها جنوب افريقيا، وهذا يضع فلسطين بعد نجاحات حماس أما مطلب العودة الى الأصول التسوية غير العادلة التي فرضت على الشعب الفلسطيني واستخراج شيء جديد منها أصيل كأصالتها، لا ان يعتمد التفاوض المرحلي الذي يعد الكيان الاسرائيلي فيه الاكثر تفوقاً

1. _ نرمين ناصر ومحمد فوزي، مصدر سبق ذكره.
2. _ للمزيد حول القرصنة البحرية ينظر في: مصطفى الفؤاد، مصدر سبق ذكره.
3. راجع حسان محمد شفيق العاني، الأنظمة السياسية والدستورية المقارنة، (بغداد: جامعة بغداد، 1986)، ص23.
4. https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/allaqt-byn-hmas-wayran
5. ثناء فؤاد عبدالله، آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي، ط1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، كانون الثاني 1997).
6. الموسوعة السياسية، ط1، ج2، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981).
7. محمد عابد الجابري، الديمقراطية وحقوق الانسان، ط2، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، آب 1997)، ص14.
8. https://elwahat.univ-ghardaia.edu.dz/article/view/1047
9. https://www.imf.org/ar/News/pr-24251-jordan-imf-/28/06/Articles/2024completes-the-1st-review
10. اسماعيل صبري عبدالله، « المقومات الاقتصادية والاجتماعية للديمقراطية في الوطن العربي»، في علي الدين وآخرون، ندوة « الديمقراطية وحقوق الانسان في الوطن العربي «، ط1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1983).

د. عبدالله رشيد مجيد

أستاذ الدراسات الدولية - جامعة بغداد - كلية العلوم السياسية

الذكرى الأولى لعملية طوفان الاقصى: الدوافع والتداعيات

في الذكـرى الاولـى لعمليـة طوفـان الأقصـى، مازالـت حـرب الابـادة الجماعيـة علـى قطـاع غـزة مسـتمرة، ومـع تمدد كـرة النار إلـى خارج القطـاع، بيـن كيـان العـدو ولبنـان مـن جهـة، وبعـض المناوشـات (الضربـات المتبادلـة) بيـن إيـران والكيـان مـن جهـة أخـرى، مـروراً ببقيـة الجبهـات السـاندة للقطـاع، والتـي قـد تأخـذ منحـى تصاعـدي وصـولاً إلـى حـرب شـاملة.

تُمثـل عمليـة طوفـان الأقصـى أحلـك لحظة في تاريـخ دولـة الاحـتلال، منـذ مـا يسـمى بحـرب «الاسـتقلال» عـام1948م، في هـذه العلميـة، «إسـرائيل» فقـدت اهـم ميـزة كانـت تتمتـع بهـا منـذ عقـود طويلـة (هيبـة الـردع). في هـذا السـياق، جـل التصـورات الإقليميـة عـن «إسـرائيل» كانـت مبنيـة علـى تصـور (القـوة التـي لا تقهـر)، حتـى جاء الطوفـان الـذي ضعـف وهشاشـة في هذه التصـورات، إلـى جانـب ذلـك، فقـدان ثقـة (المسـتوطنين) في الحكومـة «الإسـرائيلية» وجيشـها الـذي لا يُقهـر، ممـا انعكـس سـلبياً علـى شـعور الحمايـة الأمنيـة المطلقـة لهـم، بعـد مـرور عـام علـى الطوفـان، يحـاول الكيـان إعـادة الصـورة إلـى مـا قبـل 7 اكتوبـر 2023م، بشـتى الوسـائل غيـر الأخلاقيـة، واللاإنسـانية، مـن حـرب ابـادة جماعيـة علـى قطـاع غـزة، وعدوانـه علـى لبنـان، وبعـض الضربـات الجويـة في الإقليـم.

ويمكـن القـول أن فصائـل المقاومـة الفلسـطينية، وحمـاس تحديـداً، لـم تشـن عمليـة طوفـان الأقصـى لتحقيـق «الـسلام» أو للدفـع قدمـاً بمـا يُسـمى «حـل الدولتيـن»، (او) تحريـر الاراضـي الفلسـطينية (مـن البحـر للنهـر)، بشـكل أساسـي، يمكـن الإشـارة إلـى ثلاثـة مـن الدوافـع:

(اولاً) إعـادة القضيـة الفلسـطينية إلـى اجنـدة المجتمع الدولـي والإقليمي(علـى الصعيديـن الشـعبي والرسـمي)، لكـي يتذكـر العالـم مـن «حكومـات وشـعوب» وجـد شـعب اعـزل يرضـخ تحـت سـطوة اسـتعمار، هـو الاطـول في العصـر الحديـث.

(الدافـع الثانـي) وقف التقـدم نحـو مـا يُسـمى بـ «الـسلام الإقليمـي»، الـذي يتجلـى في اتفاقيات التطبيـع بيـن دول المنطقـة وكيـان العـدو، علـى حسـاب حقـوق الشـعب الفلسـطيني.

تعليـلاً علـى هـذه الدافـع، طوفـان الأقصـى في سـياقها الزمنـي والمكانـي، ردة فعـل طبيعيـة، لإفشـال الخطـط والمعـادلات السياسـية للمنطقـة، برعايـة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، والتـي اوشـكت الوصـول إلـى مراحلهـا النهائيـة. وهـي في جلهـا، مصممـة لإعـادة رسـم معادلـة جديـدة (سياسـية، أمنيـة، واقتصاديـة) في المنطقة تكـون «إسـرائيل» هـي الضابـط الأعلـى للتفـاعلات فيهـا،

أي شرطي المنطقة، على حساب حقوق الشعب الفلسطيني، وبعض الأطراف الإقليمية الأخرى.

يمثل الطوفان إعصارعصف بكل ما تم التخطيط له، أو على أقل تقدير تعطيل هذه الترتيبات، وبعبارات مرشد الثورة الاسلامية في إيران (السيد علي الخامنئي): «جاءت عملية طوفان الأقصى في وقتها المناسب»، ويضيف، موضحاً خطورة هذه المعادلات المُراد فرضها على المنطقة: «إن من قام بعملية طوفان الأقصى، أفشل مؤامرة كبيرة (دولية وإقليمية) كانت تُحاك ضد منطقة الشرق الاوسط، وغرب اسيا على وجه التحديد». لأن عملية طوفان الأقصى حسب وصفه اسهمت في افشال هذه المخططات: «وبهذه العملية المباركة تمت إزالة هذا المخطط واحباطه».

اما (الدافع الثالث) فهو فك العزلة التي يعيشها القطاع جراء الحصار «الإسرائيلي» المفروض عليه منذ اكثر من 15 عام

اجمالاً، عملية طوفان الاقصى تعدت الجغرافية الفلسطينية، وانخرطت اطراف كثيرة في الحرب، بين جهات ساندة للطوفان وداعمة للحق الفلسطيني، والتي تجسدت في جبهات المساندة العسكرية، وفي الطرف المقابل، اطراف إقليمية ودولية، تدعم الكيان عسكرياً، وسياسياً، واقتصادياً، واعلامياًن اما على مستوى ردة الفعل الكيان، وحرب الابادة التي ينفذها في قطاع غزة، فهي من بين أسباب أخرى، ضربت جميع الترتيبات والمعادلات السياسية وللإقليم من قبل الولايات المتحدة الامريكية، بقيادة «إسرائيلية» و تواطىء بعض الدول العربية، على حساب حقوق

الشعب الفلسطيني و بعض دول الإقليم، وصولاً إلى كسر هيبة الردع التي كان يتمتع بها الكيان.

بطبيعة الحال فإن الاحداث الكبرى هي من تُعيد رسم مجريات وطبيعة التفاعلات الدولية، فالعالم يُعاد تشكيله من خلال الاحداث، وكانت الحروب ومازالت بين أهم الاحداث التي تُعيد رسم مجريات التفاعلات بين الوحدات القومية، وتشكيل الانظمة الدولية، واليوم وبعد اكثر من 100 عام على انهيار الامبراطورية العثمانية، وتقسيم المنطقة إلى دويلات صغيرة، حسب ما جاء في اتفاقية (سايكس _ بيكو) بين القوى الاستعمارية الغربية، و(وعد بلفور) الذي اعطى فلسطين لليهود، قد تكون عملية طوفان الأقصى هي الحدث الابرز في الوقت الحاضر، تُعد ترتيبات المنطقة وتفاعلاتها، وصولاً إلى نظام إقليمي جديد.

على غرار التداعيات التي شهدها العالم بعد هجمات 11 أيلول/سبتمبر 2001م، ومع فارق التشبيه، تُمثل (الاولى) نقطة انعطاف على مستوى النظام الدولي، بينما طوفان الأقصى تثمل ذات المنعطف على مستوى منطقة الشرق الاوسط، ويمكن القول أن جل التفاعلات في المنطقة بعد 7 أكتوبر من العام 2023م لن تعود كما كانت قبلها على جميع الأصعدة، واما أن تؤدي إلى هيمنة «إسرائيلية» إقليمية، أو بداية انهيار هذا الكيان في حالة عدم تحقيقه أي شكل من اشكال الانتصار. كل ذلك له تداعيات لن تقتصر على الإقليم فقط، بل ستمتد إلى النظام الدولي، وهذا معروف

جيداً لدى صُناع قرار الدول الغربية، إن عدم انتصار «إسرائيل»، وبشكل محدد، يعني بداية كسر الهيمنة الغربية (وتحديداً الامريكية)؛ إذ يُمثل الكيان احد اشكال الهيمنة الغربية على العالم والمنطقة تحديداً، فإن ضرب هذا الكيان يعني من بين أشياء أخرى، تحدي وكسر للهيمنة الغربية، هذا وغيره، هو ما يُفسر الدعم الغربي اللامحدود لهذا الكيان، والتغاضي عن جرائهم وتوحشه

لكن ماذا لو انتهت الامور لصالح الكيان؟ هل يمكن أن تصبح «إسرائيل» المهيمن الإقليمي؟ هل تمتلك المقومات اللازمة للهيمنة؟ ماهي التبعات المترتبة دول المنطقة، والمطبعة (تحديداً)؟ الجواب، وببساطة: أن أي شكل من اشكال الانتصار (الإسرائيلي) يعني، تحولها إلى غول متوحش قد يلتهم المنطقة، بعبارة أخرى، اذا انتهت الامور لصالح الكيان فستفتح شهيته للتوسع إلى أراضي وساحات جديدة خارج الأراضي المحتلة الفلسطينية، طمعاً بالهيمنة الإقليمية، ويوجد عدد من الشواهد التي تدعم هذه الرؤية؛ منها الطموحات الذاتية (حلم إسرائيل الكبرى)، ورغبة بعض الأطراف الإقليمية، والدعم الغربي لها، لاسيما الامريكي، إذن، هذا الحلم يمكن ان يكون واقعياً بحكم الظروف المحلية (طموح إعادة مجد الأجداد) المعزز بالدعم الخارجي (الغربي)، مع قبول بعض دول الإقليم طمعاً بمميزات ومكاسب ما.

نظرياً، مدى قدرة الدولة (الحكومة) على توظيف المقومات، وتحويلها إلى قوة فعلية مُحدد مهم في

تحقيق التوجهات الخارجية لأي دولة، «إسرائيل»، على مستوى البنية المحلية، يمكن أن تلجأ إلى وسائل التعبئة كالدعاية وتوظيف التهديد الخارجي والمساومة مع الفواعل المحليين، في هذا الجانب، تستطيع استخراج وتعبئة الموارد من المجتمع المحلي او ما يسمى (الجبهة الداخلية)، اما على مستوى البنية الخارجية، يتمتع الكيان بدعم غربي وامريكي (مطلق)، يتجلى بالدعم السياسي، الاقتصادي، العسكري، والإعلامي، مع دعم إقليمي من بعض دول المنطقة، لاسيما دول التطبيع، إذن، الإمكانيات المحلية مع بالدعم الخارجي، يمكن ان يؤهلها لعب دور(المهيمن)، او على أقل تقدير، ضابط اعلى للتفاعلات في المنطقة، بصياغة مختلفة: دمج البنيتين (المحلية والخارجية) يمكن ان يسهما في تكوين رؤية واضحة حيال إمكانية هذا الكيان و إمكانية تحقيق تطلعاته الإقليمية

كان اول من تنبأ بالخطر القادم، الرئيس التركي (اوردغان) بقوله: «اذ لم تتوقف «إسرائيل» فستطمع عاجلاً أو آجلاً في اراضي تركيا» فإن «إسرائيل» لا تهاجم غزة وحدها، بل تهاجمنا نحن أيضا، مستندة إلى أوهام الأرض الموعودة». أكثر من ذلك، وصف ما تقوم به فصائل المقاومة الفلسطينية، جبهة الصر الاولى للدفاع عن الاناضول : «ان حماس تدافع عن الأناضول في خط متقدم». ذات الرؤية (أو المخاوف) تجسدت في عدد من الكتابات والتصريحات (من صناع قرار بعض دول الإقليم ومختصين)، حيال الخطر المترتب في حال تحقيق «إسرائيل» النصر على قطاع غزة، واليوم لبنان، وما سيستتبعه من طموحات اتجاه اراضي أخرى، وبعبارة بسيطة: هي الغول الذي سيلتهم المنطقة ودولها.

رغم التشخيص لهذا الخطر القادم الذي يستند على عدد من الشواهد، ما زالت بعض الدول العربية، وبشكل أساسي (دول التطبيع) تدعم «إسرائيل»، التي هي قطعاً ستكون الفريسة القادمة لهذا الغول، بعبارة مختلفة: ان الدول المطبعة، بدلاً من المميزات والوعود بالمكافئات والفرص التي تعتقد جنيها من مسايرتها «لإسرائيل»، قد تكون هي الضحية التالية، فهي، جراء مسايرتها هذه، تُساعد في إطعام الغول الذي سيلتهمها في نهاية المطاف، نعني الوحدات المطبعة، بدلاً من التفكير بجدية حول مستقبل سلوك هذا الغول اتجاهها، لاسيما وبعد ان كشر عن انيابه بشكل جلي في هذه الحرب، ما زالت متمسكة بهذه المسايرة (التحالف) مع تقدم الدعم المطلق له (السياسي والاقتصادي).

أن المقولة الشهيرة: «حليف اليوم قد يكون عدو الغد». تُعبر عن فلسفة سياسية قديمة، ولا ينسب عادة إلى شخص معين. ومع ذلك، الفكرة نفسها تتجسد في كتابات العديد من الفلاسفة والقادة السياسيين مثل (ميكافيلي) في كتابه «الأمير»، وأيضًا في مواقف وتجارب سياسية تاريخية متنوعة حيث تتبدل التحالفات بناءً على المصالح، في هذا الصدد، على الدول ان تأخذ بالحسبان عند تشكيل التحالفات»، كما يقول (راندال شويللر): «أن اللاعب الأضعف، من خلال الانضمام إلى لاعب قوي، يخلق فقط وضع يكون فيه الضحية التالية». وفقاً لهذه الاطروحات، يمكن تصور مستقبل الدول العربية (الضعيفة) المطبعة مع الكيان، والساندة له في حربه هذه، بحكم اوضعها السياسية والاقتصادية والعسكرية الضعيفة، مقارنة بقدرات الكيان والدعم الغربي له يجعل من اصطفافها أو مسايرتها للغول، طمعاً ببعض المكاسب فرص الربح، حتماً سوف ترتد سلباً على تلك الدول، ومن ثم احتمال ان تخسر بقائها وجودها في النهاية.

بمعنى آخر، «الدول التي تُساير تُخاطر وتُعاني العواقب». الاصطفاف او التحالفات ذات دوافع متنوعة مختلطة، وغالباً ما تتحد في دافعين: اما تكون من أجل الأمن حفظ البقاء، او الربح مشاركة الغنائم وفي كلتا الحالتين، قد تنعكس سلباً على الدول الصغيرة الضعيفة، و هو «نموذج لتأثير المسايرة السلبي». وهكذا، المسايرة من خلال التحالفات بين قوى غير متكافئة تضع تكلفة كبيرة على عاتق القوى الأصغر (أو الأضعف). بناءً على هذا التصور، الدول الضعيفة، يسميها (راندل شويللر) بدول حملان أو خراف، و «في عالم من الحيوانات المفترسة والفريسة»، يقول : «(الحملان) غالباً ما تكون هي الفريسة». بهذا، فإن الدول المطبعة وغيرها من دول المنطقة الضعيفة الحملان، تكون بصدد اطعام الغول (إسرائيل) الذي قد يلتهمها في أية لحظة، فهي تربط مصيرها ومستقبلها بنواياه المتقلبة وإحسانه المتغير.

عند الرجوع إلى السجل التاريخي، لا نواجه صعوبة في إيجاد شواهد نتوكأ عليه في رؤيتنا حيال خطر مسايرة الغول الذي سيلتهم الجميع في النهاية، إذ يؤذن سلوك الدول المطبعة بتقوية «إسرائيل» إضافة إلى ما تمتلكه من إمكانيات، بكارثة على هذه الدول، من خلال تقوية طرف قد ينقلب عليهم في المستقبل، ومن الأمثلة التاريخية والواضحة: مسايرة السوفييت لألمانيا النازية قبل الحرب العالمية الثانية؛ بدلاً من موازنة الصعود الألماني، طمع السوفييت بالمكاسب وفرص الربح، بعد ان وعدهم هتلر بمكافآت سخية على غرار اقتسام أوربا بينهما

لكن، ما الذي حصل بعدها؟ الجواب، بعد تخلص هتلر من خصومه الاوربيين، واحتلاله لفرنسا، و أوربا الشرقية، وبدلاً من الإيفاء بوعوده التي قطعها للسوفييت، وجه مقدراته العسكرية إلى الأراضي السوفيتية، وبالتالي بدلاً من الحصول على المكاسب، تحول الاتحاد السوفيتي إلى الفريسة (أو الضحية) التالي للنازيين، فهو ذات السيناريو، الذي قد يواجه الدول المطبعة، فبدلاً من التنمية والسلام والازدهار التي اوهمهم بها الامريكان، قد يكون مصيرهم كمصير السوفييت.

اذن، هذا الوضع من المسايرة من اجل (الفرص او الأمن)، هو نموذج لتأثير مسايرة الطرف الأضعف للاقوى، والذي يشبّهه (كنت والتز)، «بخرق قانون الجاذبية»،...، «فإن الشخص الذي يخرق قانون الجاذبية بالقفز من نافذة الطابق التاسع عشرة سيلاقي عقاب آني و مباشر».

في الختام، بعد مرور الذكرى الاولى لعملية طوفان الأقصى، نجد أنها كانت ردة فعل طبيعي في سياقها الزماني والمكاني، وبعد أكثر من عام من الحرب في غزة والجبهات الساندة لها، وطالما لم تتضح إلى الآن أي معالم توضح نهاية هذه الجولة من الحرب (من يعض اصبعه اولاً بين الاطراف المتحاربة)، يجعل من منطقة الشرق الاوسط متوقفة على قدم وساق انتظار ذلك الطرف الذي يصرخ اولاً؛ نتائج هذه الحرب ستحدد شكل المعادلات الإقليمية القادمة، وعلى الرغم من عدم وجود أي بوادر او ملامح تفوق عسكري «إسرائيلي» في الأفق، لكن أي شكل من اشكال الانتصار (الإسرائيلي) يؤسس إلى شهية افتراس جامحة لهذا الكيان اتجاه ساحات ودول أخرى، لا يسلمها منها احد، حتى الدول المطبعة، التي تنتظر بفارغ الصبر النصر «الإسرائيلي» بغية مشاركة غنائم النصر.

شؤون عراقية

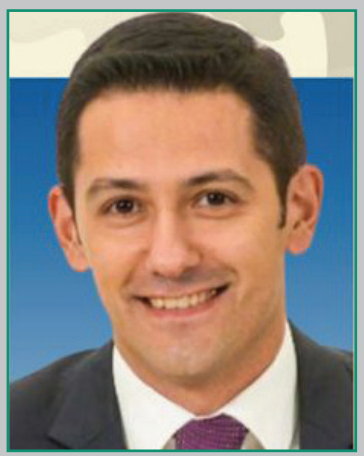

د. بيلجاي دومان

منسق دراسات العراق في مراكز أورسام/ أنقرة

ترجمة: د. كرار أنور البديري،

المعهد العراقي للحوار

حقبة جديدة في العلاقات التركية العراقية:

من العلاقات الثنائية إلى التعاون الإقليمي

لن يكون من الخطأ وصف زيارة الرئيس رجب طيب أردوغان إلى العراق بعد 13 عاماً بأنها بداية حقبة جديدة في العلاقات بين تركيا والعراق، ومع توقيع 26 مذكرة تفاهم بين تركيا والعراق، وتعاون تركيا والعراق في مكافحة الإرهاب، والتعاون الثنائي بين تركيا والعراق في قضية المياه، والانتقال إلى شراكة إقليمية بمشاركة قطر والإمارات العربية المتحدة في ومع الاتفاق على مشروع الطريق التنموي، فإن تطور العلاقات بين تركيا والعراق خلال الفترة المقبلة قد يتحول إلى عامل استقرار إقليمي.

بالعودة الى الماضي سنجد العلاقات التركية العراقية اتبعت مسارا متقلبا، وهذا ما يمكن ملاحظته في تاريخ العلاقات بين البلدين، ذلك بأن خلافاتهما كانت تطفو بشكل دوري، فقد حاولت تركيا البقاء داخل السياسة العراقية من وقت لآخر، تارة عن طريق الحكومة المركزية العراقية وتارة أخرى عبر الديناميات المحلية، بهذا المعنى، يجوز القول إنه بالإضافة إلى أن السلامة الإقليمية والوحدة السياسية للعراق، والتي تشكل أساس سياسة تركيا في العراق، فإن الأولوية تعطى الى استقرار العراق كدولة مجاورة تشترك في حدود بطول 378 كيلومترا

الديناميات الدورية للعلاقات التركية العراقية

عندما ننظر إلى التاريخ الدوري للعلاقات التركية العراقية، بين عامي 2003 و2005، سنجد أن أنقرة مارست سياسة منخفضة الحدة وكان تأثيرها فيها محدودًا نسبيًا، خلال هذه الحقبة، أدى التماس الناتج عن تهديد الأول من مارس 2003 وما تلاه من رفض السماح للقوات الأمريكية بدخول العراق عبر الأراضي التركية إلى بذل الولايات المتحدة جهدًا لإبقاء تركيا خارج القدرة على التأثير في السياسة العراقية، في واقع الأمر، خلال هذه الحقبة، ونتيجة للدعم المكثف الذي قدمته الولايات المتحدة للجماعات الكردية في العراق، وجدت منظمة حزب العمال الكردستاني مكانًا مريحًا للعيش في شمال العراق، وتزايدت أعمال الحزب في تركيا خلال هذه الحقبة، والحالة هذه، وعلى الرغم من أن عملية شاملة عبر الحدود من تركيا إلى شمال العراق كانت على جدول اعمال الحكومة التركية، إلا أن الولايات المتحدة، التي احتلت العراق آنذاك عملت على عرقلتها

ومع ذلك، فإن الحاجة إلى الحفاظ على التوازن السياسي في العراق، وخاصة الرغبة بدمج الجماعات السنية في السياسة، زادت من الحاجة إلى مساعدة تركيا، وبدأت أنقرة في التأثير بالعملية السياسية في العراق، ففي ديسمبر 2005، في اجتماع عقد في فندق كونراد في اسطنبول بمبادرة من وزير الخارجية آنذاك

عبد الله غول، توصلت قيادة الحزب الإسلامي العراقي، أحد أكبر الأحزاب السنية في العراق وممثل السنة العراقيين، وزلماي خليل زاد، السفير الأمريكي في العراق آنذاك، إلى اتفاق في 15 ديسمبر يسمح للسنة بالمشاركة في انتخابات العام 2005. فقد وافق الحزب وزلماي خليل زاد على شروط الانتخابات وكذلك مراقبة تركيا النشطة في العملية الانتخابية وتم توقيع الاتفاق، بعد هذه العملية، تطورت عملية تعاون مهمة في العلاقات بين تركيا والحكومة المركزية العراقية. ففي هذه المرحلة، لن يكون من الخطأ القول إنه كان هناك تعاون قوي بين تركيا والحكومة المركزية العراقية في الفترة ما بين 2005 و2009.

وبسبب زيادة أنشطة حزب العمال الكردستاني في العراق والحركة الكردية في المنطقة، بدأت تركيا في اتباع سياسة أكثر تركيزا على بغداد، ونتيجة لتحسن العلاقات مع تركيا، قررت الحكومة المركزية العراقية في العام 2006 إغلاق جميع مكاتب حزب العمال الكردستاني في العراق، بما في ذلك مكاتب حكومة إقليم كردستان، وأدى موقف العراق هذا إلى تعزيز العلاقات مع تركيا

في الواقع، خلال زيارة الرئيس رجب طيب أردوغان المكثفة إلى العراق كرئيس للوزراء في العام 2008، جرى توقيع مذكرات تفاهم في 48 مجالا، وأنشأت تركيا أول مجلس تعاون استراتيجي رفيع المستوى مع الدول المجاورة، فضلا عن ذلك، كثفت تركيا العلاقات الدبلوماسية الثنائية مع العراق وزادت من التمثيل الدبلوماسي لتركيا في العراق مع افتتاح قنصليات عامة في أربيل والموصل والبصرة في العام 2009، وهكذا، أصبحت تركيا الدولة التي لديها أكبر عدد من البعثات الدبلوماسية في العراق، وفي تلك المرحلة دخلت تركيا فترة حاولت فيها أن تكون مؤثرة في السياسة العراقية مع الحفاظ على علاقاتها من خلال الديناميات السياسية المحلية

أدى انسحاب القوات الأمريكية في العام 2011 وطبيعة العلاقات الإيرانية العراقية، ومواقف تركيا وإيران المختلفة خلال الاحداث في سوريا في العام 2011، والموقف المؤيد لطهران للحكومة العراقية آنذاك إلى اتباع تركيا سياسة أكثر توجها محليا بين عامي 2010 و2014. وعلى وجه الخصوص، أدى دعم تركيا للقائمة العراقية برئاسة إياد علاوي، في الانتخابات البرلمانية العراقية عام 2010، وما تلاه من تبدل الرؤى المحلية للسياسيين العراقيين تجاه العلاقات العراقية التركية، دفعت كل تلك المؤشرات إلى تدهور العلاقات بين تركيا والعراق، فضلا عن ذلك فإن الاضطرابات التي شهدها العراق إبان ولاية المالكي الثانية وما ترتب عليها من نشاط للسنة والأكراد وسعيهم للحصول على دعم خارجي، وهو الامر الذي استفادت منه تركيا عبر البقاء داخل السياسة العراقية عن طريق هذه الجماعات، ومنذ تلك الحقبة فصاعدا، بدأت العلاقات مع حكومة إقليم كردستان العراق في التحسن

العراق والسعي لتحقيق التوازن

بعد أن سيطر تنظيم داعش الإرهابي على ما يقرب من ثلث الأراضي العراقية في العام 2014، تبدلت العلاقة بين البلدين إلى مدد ركود متقلبة، وعلى الرغم من ذلك، لم تقطع تركيا علاقاتها مع العراق وقدمت الدعم في كل المجالات تقريبا، وخاصة السياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية، من أجل تحقيق الاستقرار في العراق في أقرب وقت ممكن

في الواقع، شاركت تركيا في التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة ضد داعش واستضافت أكثر من 450,000 عراقي نزحوا قسرا في حقبة ما بعد داعش، في العام 2017، عززت تركيا علاقاتها مع الحكومة المركزية بعد تحرير جميع الأراضي التي يسيطر عليها داعش في العراق، والأهم من ذلك، بعد «استفتاء الاستقلال» الذي نظمته حكومة إقليم كردستان

والحالة هذه، أعيد تأسيس العلاقات مع الحكومة المركزية بسرعة، واخذت تستأنف اجتماعات مجلس التعاون الاستراتيجي رفيعة المستوى، والمناورات العسكرية المشتركة بين تركيا والعراق على الحدود، وفتح المعبر الحدودي الثنائي، وأصبحت تركيا الدولة التي قدمت أكبر دعم مالي لإعادة إعمار العراق في فترة ما بعد داعش بقرض قيمته 5 مليار دولار في مؤتمر إعادة اعمار العراق الذي عقد في الكويت في العام 2018، لكن الاحتجاجات التي شهدها العراق عام 2019 والأزمة السياسية التي تلتها في العراق، حالت دون اتخاذ البلدين الخطوات المرجوة في علاقاتهما، ومع ذلك، فإن الموقف المتوازن الذي اتخذته تركيا خلال الاحتجاجات، وعدم اتخاذها أي جانب اجتماعي وسياسي في الأحداث، زاد من شعبية أنقرة في العراق، وفي واقع الأمر، بدأ العراق تعاونا ثنائيًا ومتعدد الأطراف فضلا عن عمليات الوساطة والتفاوض في المنطقة بعد

الاحتجاجات، ولكن لم تتمكن العلاقات بين البلدين من اكتساب الزخم بسبب جائحة كوفيد-19، غير أنه بعد الانتخابات البرلمانية التي أجريت في العراق في العام 2021، لوحظ أن العراق سعى إلى توازن جديد في السياسة الداخلية والخارجية، وتبين أن تركيا أصبحت واحدة من أهم شركاء العراق في معادلة سياسة التوازن الجديدة في بغداد، ويمكن القول إن علاقة الشراكة هذه والرغبة في التعاون بدأت تتحقق بعد زيارة محمد شياع السوداني إلى تركيا في فبراير 2023.

زيارة الرئيس أردوغان التاريخية إلى العراق

على الرغم من أن العلاقات بين تركيا والعراق قد تقلبت بين الحين والآخر منذ العام 2003، إلا أن التطورات الدبلوماسية الأخيرة تشير إلى أن هذه

العلاقات استقرت في اتجاه إيجابي، على وجه الخصوص، يمكن اعتبار زيارة الرئيس رجب طيب أردوغان إلى العراق في 22 أبريل 2024، وهي أول زيارة رئاسية له منذ 13 عاما، بمثابة نقطة تحول استراتيجية بين البلدين، فخلال هذه الزيارة، جرى التوقيع على 26 اتفاقية حول قضايا رئيسة مثل مكافحة الإرهاب وإدارة المياه والتعاون الاقتصادي، وكذلك في مجالات الزراعة والصحة والتعليم، مما يشير إلى تعزيز التعاون القائم على المصالح المشتركة، وكانعكاس لهذه الجهود، ساعدت زيارة أردوغان الأخيرة في التغلب على بعض المجالات الإشكالية السابقة بين البلدين وعززت الوجود السياسي والاقتصادي التركي في العراق

وقد سمحت النتائج الإيجابية للزيارة لتركيا بتعزيز علاقاتها مع أربيل وبغداد، والعمل كثقل موازن بين الإدارتين، وقد دعم ذلك تصريحات قبل زيارة أردوغان وبعدها بأن تركيا ترى أن أربيل وبغداد احداهما يكمل الاخر وليسا بديلين، ويعزز هذا النهج الدور النشط الذي تلعبه تركيا في السياسة الإقليمية، بما له القدرة على زيادة التماسك والاستقرار داخل العراق

علاوة على ذلك، وعلى الرغم من التحديات مثل ديناميكيات الصراع الإقليمي وتأثير القوى العالمية في المنطقة، فقد أدى التعاون بين تركيا والعراق إلى خطوات ملموسة في المشاريع التي تعزز المصالح المشتركة لكلا البلدين، وتظهر مبادرات مثل مشروع طريق التنمية، الذي تدعمه دول إقليمية مثل قطر والإمارات العربية المتحدة، أن البلدين قادران على العمل معا ليس فقط على المستوى الثنائي ولكن أيضا في إطار تعاون إقليمي أوسع، ومن الممكن أن تساعد مثل هذه المشاريع البلدين على إيجاد حلول مشتركة لمعالجة التحديات الأمنية وإدارة الموارد التي يواجهانها

وفي الختام، فإن زيارة الرئيس أردوغان والخطوات المتخذة في أعقابها تمهد الطريق لاتجاه أكثر استراتيجية وشمولية وتعاونية في العلاقات بين تركيا والعراق. ستلعب هذه التطورات بين البلدين دوراً مهماً في تعزيز الاستقرار الإقليمي والتنمية الاقتصادية، وستعزز قدرة البلدين على مواجهة التحديات التي يواجهانها إقليمياً ودولياً

دول وقضايا

م. د زينب غالب جعفر

مدرس دكتور في جامعة تكريت كلية العلوم السياسية

الانكشاف الاستخباراتي للقوى الإقليمية:

إيران أنموذجاً

المقدمة:

يتسم النظام الدولي اليوم بأنهُ نظام متغير نتيجة لتشابك المصالح وتعقدها ولأنها يمتلئ بالكثير من قوى التغيير والاختلال التي ساهمت بشكل كبير في إعادة صياغه هيكلية النظام الدولي، إذ قاد الاختلال الحاصل في ميزان القوى الدولي والناجم عن غياب المعسكر الاشتراكي (تفكك الاتحاد السوفيتي) إلى نقل التأثير لميزان القوى الاقليمي والذي أصبح يميل لصالح قوى دون الأخرى لا سيما إيران التي تُعد بين أهم القوى الاقليمية في الشرق الأوسط نتيجة لما تمتلكه من مقومات جيوسياسية واقتصادية وعسكرية فضلا عن حرصها على برهنة مكانتها الإقليمية في المنطقة منذ الثورة عام 1979 الا ان تلك القوة (ايران) في الوقت الراهن اضحت تواجه تحديات مختلفة لا سيما بعد الاحداث الاخيرة والمتمثلة في حادثة سقوط طائرة الرئيس الايراني ووزير الخارجية وعدم الوضوح في تحديد السبب الحقيقي وراء ذلك، فضلا عن اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس اسماعيل هنية داخل طهران والذي أثار شكوكاً تذهب تجاه كون ايران تعاني من الانكشاف الاستخباراتي، الذي تعود اسبابه الى تحديات الجغرافية والتاريخ، فإيران التي بحثت عن موانع طبيعية تحميها من الانكشاف العسكري تواجه معضلة الدور المزدوج لهذه الموانع، و ان ما زاد من عوامل الانكشاف في الاستخبارات الايرانية هي العقوبات الغربية والامريكية.

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها على الرغم من انّ ايران اثبتت نفسها كدولة فاعلة قادرة في مجال التجسس وانها تمتلك مقومات قوة هائلة جعلت منها دولة اقليمية قادرة على ردع الدول الكبرى (الولايات المتحدة الامريكية) الا انها تواجه في الوقت ذاته قدر من الانكشاف والاختراق الاستخباراتي والامني

اشكالية البحث: تنطلق اشكالية البحث ان الاستخبارات الايرانية تعد واحدة من اقوى واكبر وكالات الاستخبارات واكثرها ديناميكية في الشرق الاوسط وذلك لكونها نشأت بطريقة مغايرة عن بقية وكالات الاستخبارات في العالم اذ تشكلت داخل النظام الثوري ووفقاً لاحتياجات الثورة، الا انه بالرغم من ان هذا العامل مصدراً لقوتها فانه في الوقت ذاته يمكن ان يصبح عاملاً يلقي ضعفا على الاستخبارات الايرانية لا سيما ان تركة الماضي ما تزال تؤثر في الحاضر، وعليه تنطلق الاشكالية من العديد من التساؤلات تتمثل بالآتي

- ما المقصود بالانكشاف الاستخباراتي؟
- ما هي اسباب الانكشاف الاستخباراتي الإيراني؟
- ما هي مؤشرات الانكشاف الاستخباراتي الإيراني؟

هيكلية البحث: انطلاقاً من فرضية واشكالية البحث تم تقسيم البحث الى محاور، يتناول المحور الاول

مفهوم مجتمع المراقبة مقاربة لمفهوم (الانكشاف الاستخباراتي)، في حين يتناول المحور الثاني: الانكشاف الاستخباراتي الايراني

المحور الاول: مفهوم مجتمع المراقبة مقاربة لمفهوم (الانكشاف الاستخباراتي)

على الرغم من انّ تكنولوجيا المعلومات الحديثة والانترنيت قدمت خدمة كبيرة للإنسانية عن طريق منحها تأشيرة الانفتاح على العالم، الا انها في الوقت ذاته أدت الى فقدان الدول لخصوصيتها حيث اصبحت معلوماتها السرية منفتحة عبر الحدود هذا من جانب، من جانب اخر مهدت الطريق للدخول الى ما يسمى بمجتمع المراقبة الذي يجعل من الدول منكشفة امنياً امام الاخر وترى دراسات المراقبة بأنه تعود اصوله اي (مجتمع المراقبة) الى صعود الدولة القومية والمشروع الرأسمالي الحديث، حيث أشار أنتوني غيدنز (Anthony Giddens) الى أن المراقبة كتعبئة للقوّة الإدارية من خلال تخزين المعلومات والسيطرة عليها هي الوسيلة الأساسية لتركيز الموارد الموثوقة المشتركة في تشكيل الدولة القومية، ولكنّها مصحوبة بعمليات التحويل الداخلي التي تعود أصولها إلى تطور الرأسمالية الصناعية والتي يمكن تمثيلها كتهدئة داخلية منتجة

بينما اشار ديفيد ليون الى انّ السمة الرئيسية لمجتمع المراقبة المعاصر تكمن في بنيته التحتية المقنَنة اذ إن التفاعل الحادث بين التقنية والمجتمع هو المادة الأساسية لمجتمع المراقبة ويتشكّل مثل هذا المجتمع من مجموعة كبيرة ومتنوعة من التقنيات التي تحوّله، في مجموعها، إلى شكل جديد من البانوبتية، مؤكداً أن التقنية في ذاتها ليست محايدة أو بريئة بل هي «تعبير عن توزيع معين لعلاقات القوة في المجتمع، وتعكس المصالح والأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية لأولئك الذين يقومون بصناعتها أو استعمالها أو الإشراف عليها حيث تُستخدم المعلومات التي تمتصها التقنية من الناس طوال الوقت لأغراض مختلفة عن التي قادت في تجميعها، فغالباً ما يتم استعمال سجلات الهاتف مثلا لدى شركات الاتصالات في المُمارسات الشرطية، سواء في التنصت على الأشخاص أو في تحديد مواقعهم فمنذ ثلاثة أعوام، تحديدًا في (يونيو/حزيران) من العام 2013 كشف العميل التقني الأمريكي «إدوارد سنودن» عن تطوير وكالة الأمن القومي لبرامج تجسس قادرة على القيام بمراقبة مُعمقة للاتصالات الحية والمُسجلة واختراق رسائل البريد الإلكتروني، ومحادثات الفيديو والصوت، وعمليات نقل الملفات، وتفاصيل التفاعل على مواقع التواصل الاجتماعي، وأخيرًا؛ القدرة على تفعيل كاميرا الأجهزة الشخصية دون علم أصحابها لتخترق وكالة الأمن القومي أعمق تفاصيل الحياة الخاصة لمن تريد وفي أي وقت ترغب فيه، كل هذا مصحوب ببرامج قادرة على استيعاب وتحليل عدد هائل من البيانات وتصنيفها في أقل من الثانية وهو ما اشار الى حجم التطور الذي بلغته التقنية((، والذي الغى وهم الخصوصية التي تعيشها الدول في عصر البيانات وكذلك وهم السرية الحكومية

وعليه يمكن القول انّ أهم أركان مجتمع المراقبة والتي رسمت ملامح البيئة التكنولوجيا الجديدة للدول هي

1. **توسع حجم الاسواق الرقمية:** حيث تكشف أحدث مجموعة من التقارير الرقمية العالمية لعام 2019 من We Are Social و

Hootsuite أن مستخدمي الإنترنت ينمون بمعدل يزيد عن مليون مستخدم جديد كل يوم، ففي عام 2019 بلغ عدد مستخدمي الهواتف المحمولة في العالم 5.11 مليار و بلغ عدد مستخدمي الإنترنت 4.39 مليار في عام 2019، بزيادة قدرها 366 مليونًا (9%) مقارنة بعام 2018، كما بلغ عدد مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي لعام 2019 نحو 3.48 مليار، فضلاً عن ذلك تقييم حجم سوق التحول الرقمي العالمي بنحو 2.27 تريليون دولار أمريكي في عام 2023، ومن المتوقع أن ينمو السوق من 2.71 تريليون دولار أمريكي في عام 2024 إلى 12.35 تريليون دولار أمريكي بحلول عام 2032، مما يُظهر معدل نمو سنوي مركب بنسبة 20.9٪ خلال الفترة المتوقعة، وهو ما يشير الى حجم الانكشاف المعلوماتي والاستخباراتي الذي يهدد الامن القومي للدول.

2. **تطور تقنيات جمع المعلومات:** ادى انتشار الهواتف الذكية والاجهزة اللوحية الى انكشاف استخباراتي هائل للدول عبر ما تجمعه تلك الاجهزة من تفاصيل دقيقة ولحظية عن انشطة الدول وهو ما يعد جزءً من بيئة تزدحم بوسائل جمع المعلومات بدءاً من الاجهزة القابلة للارتداء كالساعات وصولا الى السيارات الذكية المزودة بلوائح رقمية قادرة

على تسجيل السيارات واقراص رقمية يبتلعها المرضى وتخزن المعلومات عن حالاتهم وهي التقنية التي وافقت ادارة الغذاء والدواء الامريكية على استخدامها عام 2017، فضلا عن التوسع في استخدام تقنيات تحديد الموقع الجغرافي والتعرف على الوجوه.

3. **انتشار البيانات الضخمة:** والتي تعني مجموعات من البيانات التي تكون سرعتها وحجمها كبير جدا بحيث يصعب تخزينها ومعالجتها بالوسائل التقليدية حيث تشمل البيانات المهيكلة وغير المهيكلة الناتجة عن تكنولوجيا المعلومات والامن، فالبيانات الضخمة هي ايضا «إعجابنا» على وسائل التواصل الاجتماعي، وتغريداتنا ومقاطع الفيديو التي ننشرها، ففي كل يوم ينتج العالم أكثر من 1000 مليار تغريدة، و370 ألف مليار رسالة بريد إلكتروني، ويشارك أكثر من 30 مليار منشور وإعجاب على فيسبوك لذلك ان استخدام هذه البيانات الضخمة أو استغلال إمكاناتها بطريقة مثمرة يتطلب تبني أساليب مبتكرة في التجميع والإدارة والتحليل تعتمد على التقنيات الحديثة»، وذلك لان التجميع المستمر لهذه البيانات دون تقديم الضمانات الكافية يؤدي الى مخاطر تتمثل في انتهاك الامن وخصوصية الدولة لذلك في عام 2012 اعلن الرئيس الاسبق اوباما قانون حقوق الخصوصية الذي هو إطار عمل سياسي بالغ الأهمية يوفر مخططًا لحماية الخصوصية في العصر الحديث، وايضا في عام 2012، اقترحت المفوضية الأوروبية «اللائحة العامة لحماية البيانات في الاتحاد الأوروبي» («GDPR») والتي حظيت بدعم المجموعات الامريكية لأنها «تنشئ سلطات وطنية واحدة لحماية البيانات في كل دولة عضو في الاتحاد الاوروبي»، فخصوصية الدول اصبحت تواجه تحديات كبيرة بفعل تطور التقنيات الحديثة ولعل اهم الادوات التي جعلت الدولة منكشفة استخباراتيا امام الدولة الاخرى هي:

أ. **الهواتف الذكية:** ففي دراسة نشرتها جامعة ستانفورد ذكرت ان البيانات الوصفية للهاتف الذكي وهي المعلومات المسجلة حول المكالمات والرسائل النصية مثل التوقيت والمدة يمكنها ان تكشف عن قدر هائل ومذهل من التفاصيل الشخصية وللتحقق من هذا؛ صمم الباحثون تطبيقاً من بيئة اندرويد، واستخدموه في استرجاع البيانات الوصفية حول المكالمات والرسائل النصية اي الارقام والتوقيتات وفترات الاتصال لسجلات الهواتف الذكية لأكثر من 800 متطوع، وفي دراسة ثانية اظهر الباحثون في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا وجامعة اكسفورد في الوقت ذاته ان بصمات المواقع المتعلقة ببعض التغريدات البسيطة يمكن ان تكون كافية للمتلصصين حتى من ضعفاء المستوى لان يحددوا موقع شخص اخر والمكان الذي يعيش فيه.

ب. **وسائل التواصل الاجتماعي:** كان لظهور وسائل التواصل الاجتماعي تأثير عميق على الخصوصية اذ تشجع منصات مثل Facebook و Instagram و Twitter المستخدمين على مشاركة المعلومات الشخصية والتفاصيل المتعلقة بحياتهم وهو ما ادى الى زيادة الوضوح والشفافية عبر الإنترنت، من ثم إخفاء الخطوط

الفاصلة بين العام والخاص لا سيما انه عند التسجيل في وسائل التواصل الاجتماعي، يُطلب من المستخدمين عادةً تقديم معلومات شخصية مثل الاسم والبريد الإلكتروني وتاريخ الميلاد والاهتمامات والموقع وغيرها ثم يتم تخزين هذه البيانات وتحليلها واستخدامها بواسطة المنصات لأغراض مختلفة، لا سيما ان المستخدمين يتركون بصمات رقمية بشكل يومي وهو ما جعل مخاوف الخصوصية تحتل الصدارة حيث تظهر الفضائح وانتهاكات البيانات في الأخبار كل يوم لذلك بدءًا من أواخر عام 2022، دفعت مخاوف خصوصية البيانات الوكالات الحكومية والفيدرالية الأمريكية إلى منع الموظفين من استخدام TikTok على الأجهزة المملوكة للحكومة ولأن TikTok مملوكة لشركة ByteDance الصينية، يشعر بعض المشرعين أن الحكومة الصينية قد تستخدم TikTok لمعرفة معلومات سرية عن الحكومة الأمريكية من خلال هذه الأجهزة، حيث ان نقل البيانات بين الدول يعد مصدر قلق ففي عام 2022، تم اختراق Twitter، وتم نشر 200 مليون عنوان بريد إلكتروني للمستخدمين على الويب المظلم وهو ما يوفر للجهات الفاعلة السيئة المعلومات التي يحتاجونها لبدء الهجمات الضارة على الدولة المعنية.

ج. **تطبيقات الطرف الثالث:** هي تطبيقات برمجية يصنعها شخص آخر غير الشركة المصنعة للجهاز المحمول أو نظام التشغيل الخاص به، اي غالبًا ما يتم إنشاء تطبيقات الطرف الثالث بواسطة مطورين لديهم إمكانية الوصول إلى معلومات حساسة الا ان تدابير الأمان التي ينفذونها قد لا تكون قوية مثل تلك التي تطبقها الشركات الأكبر وهو ما يتسبب في مخاطر امنية كبيرة حيث أفاد معهد بونيمون وشركة آي بي إم أن 51% من الشركات لا تتحقق بشكل صحيح من إجراءات الأمان والخصوصية الخاصة بالبائعين الخارجيين قبل السماح لهم بالوصول إلى بيانات الشركة، ونتيجة لذلك، يمكن لهذه التطبيقات أن تجعل بياناتك الشخصية والمهنية عرضة للتهديدات السيبرانية.

د. **تقنيات الذكاء الاصطناعي:** هو محاكاة عمليات الذكاء البشري بواسطة الآلات، اي انه نظرية وتطوير أنظمة الكمبيوتر القادرة على أداء المهام التي كانت تتطلب تاريخيًا الذكاء البشري، مثل التعرف على الكلام واتخاذ القرارات وتحديد الأنماط، الذكاء الاصطناعي هو مصطلح شامل يشمل مجموعة واسعة من التقنيات، بما في ذلك التعلم الآلي والتعلم العميق ومعالجة اللغة الطبيعية (NLP)، ويصنف الذكاء الاصطناعي الى نوعين النوع الاول هو الذكاء الاصطناعي الضعيف الذي يقوم بالتركيز على مجموعة محددة من المهام كالسيارة ذاتية القيادة، اما النوع الثاني هو الذكاء الاصطناعي القوي او العام والذي يعتبر قادراً على اداء معظم الوظائف المعرفية التي يمتلكها الانسان وتطبيق الذكاء على اكثر من مشكلة، يلعب الذكاء الاصطناعي دورا مهما في تعزيز أو تهديد الامن القومي للدول، يعززه عبر تحليل البيانات، والتعرف على الصور والوجوه وتعزيز الامن الحدودي من

خلال المراقبة، الا أنه في الوقت ذاته يشكل تهديدا للأمن القومي للدول من خلال شن هجمات سيبرانية متقدمة، إذ صممت انظمة الامان القائمة على الذكاء الاصطناعي للحماية من مختلف التهديدات السيبرانية بيد انه في الوقت ذاته يمكن استخدام هذه الاجهزة من قبل مخابرات الدول لشن هجمات التصعيد والتهديدات الالية، وتغيير التعليمات البرمجية القابلة للتنفيذ من جانب آخر قد توظف التنظيمات الارهابية الذكاء الاصطناعي في عملياتها كما هو الحال مع تنظيمات الدرونز المدعومة بتطبيقات الذكاء الاصطناعي، من جانب اخر يزيد الذكاء الاصطناعي من مخاطر تقنية الخداع التي يمكنها ان تؤثر سلباً في الامن القومي فقد بات من الممكن تصميم فيديوهات تحذيرية من حرب وشيكة وهو ما دفع عضو مجلس النواب الامريكي (ماركو روبيو) الى اعتبار تلك التقنية تعادل خطورة الاسلحة النووية قائلا (ان تهديد الولايات المتحدة الامريكية تطلب سلفا 10 حاملات طائرات واسلحة نووية وصواريخ، اما اليوم فيتطلب التهديد دخول انظمة الولايات المتحدة الامريكية وانظمتها البنكية وانتاج فيديوهات مزيفة واقعية جدا قادرة على تدمير النظام الانتخابي او تدمير الدولة داخلياً).

4. **الحوسبة السحابية:** ثمة اتفاق على انّ العالم قد دخل الى مرحلة الثورة الصناعية الرابعة وهي ثورة رقمية تجمع بين العالم المادي والعالم الافتراضي الرقمي ليصبح عالماً واحد حيث ستجبر كل دولة في نهاية المطاف على التحول الرقمي، وتستمد هذه الثورة طاقتها من الخدمات السحابية، التي سوف تمهد الطريق أمام تطوير جيل جديد من الأجهزة القادرة على معالجة كميات غير مسبوقة من البيانات وبسرعة تفوق أيّ خيال لا سيما انها توفر اجهزة كمبيوتر قوية بما يكفي لفك أيّ شفرة وكسر حماية أيّ بيانات مؤمنة، كالمعلومات شديدة الحساسية الخاصة بالحكومات والمؤسسات العسكرية لتشكل بذلك خطراً حقيقياً على سرية البيانات وحماية الخصوصية، وعليه يمكن القول ان مجتمع المراقبة وما يستند اليه من اركان وآليات جعلت من الدول منكشفة استخباراتيا امام الدول الاخرى اذ ان التطور التقني بما يتضمنه من هواتف ذكية وثورة اتصالات ادت الى تحويل المواطنين الى شركاء في نقل الحدث، والتعبير عن آرائهم حول بلدانهم على وسائل التواصل الاجتماعي التي مكنت استخبارات اي دولة من رصد وتحليل سلوكيات مواطنين دولة اخرى وتجلى ذلك في اتهام الاستخبارات الالمانية للصين عام 2017 بالتجسس على حسابات مواطنيها على شبكة «لينكد ان» للتواصل المهني والوظيفي على الأنترنيت وهو ما انتج تحدياً امام استخبارات الدول بين اهمية اتاحة الحكومات لحرية المعرفة امام المواطنين كجزء من التواؤم مع حقوق الانسان العالمي، ومخاطر الانكشاف والاختراق الاستخباراتي والمعلوماتي للدولة لا سيما ان التجسس على معلومات الافراد قد يتحول الى نوعاً من التهديدات الحرجة للأمن القومي للدولة اذا اقدمت دولة ما على اختراق المنشأة الحيوية لدولة اخرى بغرض تخريبها

هو ما حدث عند اتهام وزارة العدل الامريكية استخبارات كوريا الشمالية في عام 2018 بالوقوف وراء فيروس الفدية wannacry الذي تسبب بأضرار وخسائر للبنية التحية لعدد من دول العالم.

المحور الثاني: الانكشاف الاستخباراتي الايراني

تصنف وزارة الاستخبارات الايرانية او وزارة الاستخبارات والأمن القومي لجمهورية إيران الإسلامية (بالفارسية: وزارت اطلاعات جمهورى إسلامى ايران) باعتبارها واحدة من اقوى واكبر وكالات الاستخبارات واكثرها ديناميكية في الشرق الاوسط وذلك لكونها نشأت بطريقة مغايرة عن بقية وكالات الاستخبارات في العالم اذ تشكلت في داخل الثورة ووفقاً لاحتياجات الثورة حيث جاء تأسيس وزارة الاستخبارات عام 1983 بعد ان أقر البرلمان قانونًا لإنشاء وزارة المخابرات لدمج جهاز المخابرات واللجان المحلية تعمل على غرار جهاز المخابرات الذي اسسه الشاه (الساواك الذي هو اختصار بالأحرف الأولى لعبارة «سازمان إطلاعات وأمنيت كشور» الفارسية، التي تعني بالعربية منظمة المخابرات والأمن الوطني ويكتب بالعربية سافاك) عام 1957 بالاستعانة بخبرة ضباط المخابرات الامريكية وخبرة الموساد الاسرائيلي، ويعد الجنرال تيمور بختيار أول رئيس لجهاز الساواك في الفترة

بين 1957 و1961، ثم خلفه الجنرال حسن بكراوان من 1961 إلى 1965 (وأعدمته السلطات الإيرانية بعد ثورة 1979)، وتولى رئاسته الجنرال نعمت الله نصيري بين 1965 و1978 ليكون أطول رؤسائه عهدًا، وكان آخر من تولى رئاسة الجهاز الجنرال ناصر مقدم بين عامي 1978 و1979، ساهم الساواك بشكل كبير في تشكيل النظام من خلال تحييد معارضي الشاه في الجيش، وكذلك ضمان أمن الشاه خلال فترة الانقلابات في تركيا والعراق وباكستان ومؤامرات الانقلاب في إيران، وايضاً عززت أنشطة الساواك من مركزية السلطة في طهران وتعزيز سيطرة الشاه على جميع الفصائل الرئيسية بحلول عام 1963، كما شكل الساواك المجال الإيديولوجي والثقافي من خلال الحملات الدعائية المحلية والدولية والرقابة والدعم الانتقائي للفنانين والمفكرين واستخدام المخبرين في مجالس إدارة المنظمات الإعلامية والثقافية، ليؤدي بذلك دوراً محورياً في تغيير المجال الجيوسياسي والثقافة الجيوسياسية لإيران، لا سيما ان السافاك كان يتدخل في كل صغيرة وكبيرة ويحاكم العناصر الحكومية التي تشكل خطراً على النظام ليساعد دائرة التفتيش الشاهنشاهية ومكاتب المخابرات والشعبة الثانية لأركان الجيش فضلاً عن ذلك في اطار مهام الساواك الذي عرف باتباع نهج قمعي تشير الدراسات الى انه قتل اكثر من 17 الف معارض ايراني خلال الفترة الممتدة من 1959حتى عام 1979 حيث كان للجهاز العديد من اساليب التعذيب التي تفرد بها منها تعليق المعتقلين بأرجلهم وسلخ جلودهم حتى الموت وسميت هذه الطريقة بطريقة (الخروف)، الا ان تلك السياسة القمعية لم يكتب لها النجاح لاسيما بعد زيادة المعارضة داخل ايران، الامر الذي ادى الى انهيار نظام الشاه وجهازه القمعي (الساواك) عام 1979، اي بقيام الثورة الاسلامية بقيادة آية الله روح الله الخميني، الأب المؤسس للجمهورية الإسلامية وأول مرشد أعلى لها حيث شرعت حكومته الثورية على الفور في إنشاء مجموعة متنوعة من أجهزة الاستخبارات من أجل تحديد الأعداء والقضاء عليهم داخل وخارج حدود إيران، وعلى المستوى المحلي، تم التعامل مع الاستخبارات والأمن من قبل لجان استخبارات غير رسمية مقرها الأحياء والمعروفة باسم (الكوميتيه) والتي عملت كفصائل مستقلة تسعى إلى دعم الإيديولوجية الثورية والالتزام بالأعراف الإسلامية، وعلى المستوى الوطني والدولي تم تشكيل فيلق الحرس الثوري الإسلامي (IRGC) بعد عدة أشهر من الثورة في 5 مايو 1979 وتولى على الفور منصب القوة الأمنية الأساسية للنظام، ومجهزًا بتفويض دستوري «لحراسة الثورة وإنجازاتها»، لقد تشكل الحرس الثوري الإيراني من مجموعة أساسية تضم نحو 700 من الموالين للأمام الخميني، وكان الحرس الثوري الإيراني مكلفاً بحماية الثورة الإسلامية في ايران، فضلاً عن القضاء على التهديدات المحلية للنظام الثوري الناشئ، حيث عمل كمنظمة استخباراتية نشطة في البلاد خلال السنوات الخمس الأولى بعد الثورة وشارك الحرس الثوري الإيراني في التصدي للمنظمات العنيفة المضادة للثورة مثل مجاهدي خلق (MEK) وفورغان (منظمة متشددة مناهضة لرجال الدين) وحزب توده الشيوعي اذ لم تكن منظمة مجاهدي خلق وفورغان مجرد حركات معارضة سياسية، بل كانت جماعات إرهابية تنفذ بشكل روتيني تفجيرات واغتيالات تستهدف المسؤولين الإيرانيين وايضاً عمل الحرس الثوري على تطهير الأجهزة العسكرية والاستخباراتية التابعة للشاه من أجل القضاء على بقايا الدعم الملكي فقد اجتاح الحرس الثوري مقر الساواك في

عام 1979، ولكن بدلاً من تفكيك الساواك تمامًا، سعى النظام الإيراني ما بعد الثورة إلى البناء على أساسه الهائل والحفاظ على جهاز مراقبة قوي لينشأ النظام وكالة الاستخبارات والأمن الوطني (سازمان اطلاعات وأمنيت ملي إيران، أو ساوما) كبديل للساواك، ركزت سافما في المقام الأول على جمع المعلومات الاستخباراتية الخارجية، والاستفادة من البنية التحتية وقدرات الاستخبارات لدى الساواك، ومنحت إيران العديد من عملاء الساواك السابقين العفو، سعياً إلى الاستفادة من مهاراتهم ودمجهم في الخدمة نيابة عن النظام الثوري لقد كان الطلب على خبرة عملاء الساواك السابقين كبيرًا بسبب احتياجات الاستخبارات الناجمة عن الحرب الإيرانية العراقية التي بدأت عام 1980 بالإضافة إلى التهديد من العراق، احتاجت إيران إلى جمع معلومات استخباراتية عن المعادين للثورة والمعارضين في الخارج الذين يتآمرون ضد الجمهورية الإسلامية في عام 1984، تم دمج الكوميتيهات وساواما وتم تشكيل وزارة الاستخبارات في جمهورية إيران الإسلامية بموجب مرسوم برلماني في وزارة الداخلية هي خدمة الاستخبارات الداخلية والخارجية المدنية الأولى في إيران، والمُعينة دستوريًا كأعلى سلطة استخباراتية في البلاد، تخضع الوزارة اسمياً لسيطرة الرئيس، ولكن الوزير الذي يشرف على الوكالة يتم اختياره بموافقة المرشد الأعلى وبموجب القانون، يجب أن يكون الوزير فقيها مجتهداً دون أي انتماء سياسي ولا تخضع الوزارة لأي رقابة من مجلس الوزراء أو البرلمان، وهي غير مسائلة، وميزانيتها سرية، وتتوزع هيكلية وزارة الاستخبارات والامن على خمسة عشر قسماً وادارة وهي: السكرتارية (الامانة العامة)، مكافحة التجسس، العمليات الخارجية التحقيقات الامنية، التكنولوجيا الحديثة والتجسس الالكتروني، السياسات، التقييم والشؤون الخارجية، التعليم، البحوث، الأرشيف والمستندات، القوة العاملة والعمل الخيري، الشؤون الادارية والمالية، العلاقات القانونية والبرلمانية، الاقتصاد، الثقافة والمجتمع، تندرج تحت هذه الاقسام والادارات مكاتب متخصصة فقسم العمليات الخارجية مثلاً يقسم العالم الى مناطق جغرافية تخضع كل منطقة الى مكتب خاص يتولى الاشراف على كل المعلومات التي تجري في تلك المنطقة او البلد، ويقدر تقرير صادر عن «برنامج دعم الحروب غير المنتظمة» الذي نشرته مكتبة الكونغرس «شعبة البحوث الاتحادية» عن أن عدد الضباط وعناصر الوزارة يقدرون بـ30 الف ويتم استقبال اعداد جديدة سنويا من الضباط ويلتحق بالوزارة ثلاثة اصناف من العاملين عبر فحوص قبول خاصة لدخول جامعة خاصة بالوزارة وهي جامعة محمد باقر، او عن طريق تزكية من احد العاملين بمراتب محددة في الوزارة، او عن طريق استقطاب الكفاءات الايرانية او غير الايرانية العاملة خارج ايران

تتمحور المهمة الأساسية لأجهزة الاستخبارات الإيرانية حول حفظ النظام الإسلامي ومتابعة المعارضين في الداخل والخارج، لا سيما المعارضة المنظمة، ففي أوروبا والخارج، تتعقب الوكالات المنشقين في المنفى، الذين لديهم شبكات في إيران تعمل على التحريض ضد الحكومة مثل الملكيون، والجماعات الانفصالية الكردية، والمعارضون الذين انشقوا عن النظام الإسلامي، ومنظمة مجاهدي خلق الإسلامية اليسارية، وفي ايران تستهدف وزارة الاستخبارات مجموعة واسعة من الأهداف، من المنظمات السرية إلى الموظفين الحكوميين المشتبه في معارضتهم للحكم، وتركز وكالات الاستخبارات أيضاً على النقابات العمالية وعمال النفط والبازارات أو

التجار التقليديين، الجماعات التي لعبت دوراً رئيسياً في تأجيج ثورة عام 1979 ضد النظام الملكي، وتستخدم وكالات الاستخبارات الايرانية تكتيكات مختلفة تتمثل في الاتي

1- اساليب جمع المعلومات التقليدية.

الاساليب الحديثة: جمع المعلومات من خلال الأنشطة على شبكة الإنترنت على سبيل المثال، لدى الحرس الثوري الإسلامي قسم خاص بالفضاء الإلكتروني او المجال السيبراني وفق تنظيم اداري يصل الى المستويات العليا من الدولة للتنظيم والاشراف على الجهات المعنية بالحرب السيبرانية على النحو الاتي

أ. المجلس الاعلى للسايبر: وتم تشكيلة بموجب امر المرشد الاعلى عام 2012 ويتولى الاشراف على جميع الجهات التي لها علاقة بالسايبر ويحدد السياسات ومجالات العمل.

ب. قيادة دفاع السايبر: ومهمتها دفاعية تهدف الى حماية المنشآت الوطنية ضد اي هجوم الكتروني وتتبع الدفاع المدني الذي يعد فرعا من القوات المسلحة الايرانية.

ج. الجيش الالكتروني: ويهتم بالجانب الهجومي من السايبر وهو تابع للحرس الثوري الايراني /القوات الالكترونية..

تنظر وزارة الاستخبارات الايرانية الى الاساليب الحديثة باعتبارها طريقة آمنة ومنخفضة التكلفة لجمع المعلومات والرد على التهديدات المتصورة، لذلك اخذت توسع عملياتها السيبرانية بسرعة لتصبح جهة فاعلة أكثر أهمية في مجال التهديدات المستمرة المتقدمة في بيئة الفضاء الإلكتروني وذلك بالاعتماد على الدعم الفني من روسيا والصين لا سيما بعد الهجوم الإلكتروني سيئ السمعة «ستوكسنت» على أجهزة الطرد المركزي النووية الإيرانية في عام 2010، وكذلك اكتشافها في عام 2012، قطعة من البرامج الضارة تسمى Flame على شبكات الكمبيوتر الإيرانية، حيث كانت تستخرج وتمحو البيانات سراً، من هنا أدركت إيران أهمية الدفاع والعمليات الإلكترونية، مما دفع البلاد إلى الاستثمار وتطوير قدراتها الإلكترونية وتحولت من الرقابة المحلية إلى استخدام «حملات التصيد والتشويه ضد الشركات التجارية، فضلاً عن التجسس الإلكتروني ضد البيانات العسكرية والحكومية» حيث تمت تسمية البرامج الضارة المذكورة باسم «Shamoon»، والتي «تجعل الأنظمة المصابة عديمة الفائدة من خلال الكتابة فوق سجل التمهيد الرئيسي (MBR)، وجداول الأقسام، ومعظم الملفات ذات البيانات العشوائية، مثل ما حدث مع المؤسسات المالية في الولايات المتحدة من خلال «هجمات رفض الخدمة الضخمة» في الفترة من 2011 إلى 2013، ومع ذلك، يعتقد بعض الخبراء ان عمليات وتكتيكات الدفاع السيبراني الحديثة قللت بشكل كبير من قدرات إيران، في الوقت الحالي، لا سيما أن إيران لم تطور نظامًا بيئيًا متطورًا للأمن السيبراني، وتعاني من هجرة الأدمغة الشديدة، ولم تحقق مستوى الاحتراف المطلوب من جهة متقدمة، كما يعتقد هؤلاء الخبراء أن الأهداف الأمريكية والأوروبية والإسرائيلية المهمة يتم الدفاع عنها بمستوى يشكل تحديا لقدرات إيران، وإن الدفاعات السيبرانية المتطورة المفترضة لإسرائيل قد قللت من قدرة إيران على إلحاق أضرار جسيمة بإسرائيل وأنها تظل قوة سيبرانية من الدرجة الثالثة وما يفسر ذلك هو تركيز معظم الهجمات السيبرانية الإيرانية حتى الآن على «الثمار المنخفضة المعلقة»، أي المواقع التي لا تتمتع بالحماية الكافية والتي

تهاجمها بوسائل غير متطورة نسبيًا، فضلاً عن ذلك تشير التقارير الى انّ الشبكات التي كانت تتعرض للهجوم الايراني عبارة عن طُعم، يُعرف باسم «مصائد العسل»، مصممة لصد الهجمات وكشف نوايا الخصم وقدراته، وهو ما حدث في عامي 2019 و2020 حيث نجحت اسرائيل في اكتشاف وصد الهجوم السيبراني الذي قام به الحرس الثوري الايراني والذي استهدف البنية التحتية الحيوية لإسرائيل

من جانب اخر وبسبب الحصار الذي يواجه ايران فإنها تعاني من نقص في قدرة «استخبارات الإشارات العالمية» التي لا تمتلكها إلا الدول الأكثر ثراءً في العالم، مثل الولايات المتحدة وحلفائها الاستخباراتيين في تحالف العيون الخمس، وروسيا، والصين بالإضافة إلى ذلك، هناك عدد صغير من الدول الغنية ذات القدرة الإقليمية المحدودة التي تستخدم الأصول العسكرية لجمع البيانات، ولأن ايران كما قال نائب قائد الحرس الثوري الإيراني حسين سلامي: «نحن في جو من حرب استخباراتية شاملة مع الولايات المتحدة وجبهة أعداء الثورة والنظام الإسلامي... وهذه الأجواء عبارة عن مزيج من الحرب النفسية والعمليات الإلكترونية والاستفزازات العسكرية والدبلوماسية العامة وتكتيكات الترهيب» فإن هذه القدرة السيبرانية المحدودة مقارنة بالولايات المتحدة الامريكية واسرائيل جعلتها تعاني من انكشاف استخباراتي لا سيما ان وزارة الاستخبارات الايرانية تعتمد بشكل

كبير على الاساليب الحديثة في القيام بمهامها يمكن الاشارة اليه من خلال الاتي

1. سبق وان ذكرنا أنه في يونيو 2010 تم العثور على فيروس ستوكسنت في أجهزة الكمبيوتر في محطة بوشهر النووية في إيران، وانتشر من هناك إلى منشآت أخرى وتأثر ما يصل إلى 30 ألف جهاز كمبيوتر في 14 منشأة على الأقل بحلول سبتمبر 2010، تم تدمير ما لا يقل عن 1000 من أصل 9000 جهاز طرد مركزي في منشأة تخصيب نطنز الإيرانية، وفقًا لتقديرات معهد العلوم والأمن الدولي بعد التحقيق، ألقت إيران باللوم على إسرائيل والولايات المتحدة في هجوم الفيروس.
2. في أبريل 2011 اكتشفت وكالة الدفاع السيبراني الإيرانية فيروسًا يسمى Stars، وقالت إن البرامج الضارة مصممة للتسلل إلى المنشآت النووية الإيرانية وإلحاق الضرر بها ألقت إيران باللوم على إسرائيل والولايات المتحدة.
3. أبريل/نيسان 2012 ألقت إيران اللوم على الولايات المتحدة وإسرائيل بشأن برنامج خبيث يسمى Wiper، والذي قام بمسح محركات الأقراص الصلبة لأجهزة الكمبيوتر المملوكة لوزارة البترول والشركة الوطنية للنفط الإيرانية.
4. قيام اسرائيل في اوائل مايو عام 2020، بعملية هجومية إلكترونية على الشبكات التي تدعم عمليات الشحن ومناولة البضائع داخل ميناء الشهيد رجائي الإيراني في بندر عباس والتي تعد واحدة من المراكز اللوجستية الرئيسية في ايران لأنها تتعامل مع أكثر من 85% من شحنات الاستيراد والتصدير الإيرانية.
5. أكتوبر 2021: ضرب هجوم إلكتروني النظام الذي يسمح للإيرانيين باستخدام البطاقات الصادرة عن الحكومة لشراء الوقود بسعر مدعوم، مما أثر على جميع محطات البنزين البالغ عددها 4300 محطة في إيران كان على المستهلكين إما دفع السعر العادي، أو أكثر من ضعف السعر المدعوم، أو انتظار إعادة توصيل المحطات بنظام التوزيع المركزي، ألقت إيران باللوم على إسرائيل والولايات المتحدة.

ليس الاختراق او الهجمات السيبرانية المؤشر الوحيد على ما تتعرض له ايران من خطر استخباراتي فهنالك مؤشر آخر يتمثل بالاغتيالات ويمكن توضيحه من خلال الآتي

1. في عام 2010 اغتيل استاذ الفيزياء مسعود علي محمدي، بواسطة قنبلة تم التحكم فيها عن بعد مثبتة على دراجة نارية، وانفجرت القنبلة أثناء مغادرته منزله في شمال طهران للذهاب إلى العمل، ووصفت الحكومة علي محمدي بأنه عالم نووي لكنها قالت إنه لم يعمل لصالح منظمة الطاقة الذرية الإيرانية، اتهمت فيها وزارة الخارجية الايرانية الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل اذ قال متحدث وزارة الخارجية الايرانية إن «التحقيق الأولي أظهر علامات مثلث الشر من جانب النظام الصهيوني وأميركا وعملائهم المستأجرين في العمل الإرهابي» ضد العالم مسعود علي محمدي.

2. في 29 نوفمبر عام 2010 اغتيل البروفيسور مجيد شاريار، عضو هيئة تدريس الهندسة النووية بجامعة شهيد بهشتي في طهران، وذكرت وسائل الإعلام الإيرانية أن رجالًا على دراجات نارية قاموا بربط قنابل بسيارات تابعة لشاريار وعالم آخر هو فريدون عباسي دواني، في نفس اليوم، كما أصيب عباسي دواني، مستشار وزارة الدفاع وأستاذ في جامعة الإمام الحسين، وزوجته في انفجار منفصل، وقد فرضت الأمم المتحدة عقوبات على عباسي دواني في عام 2007 بسبب مشاركته في أبحاث نووية أو أبحاث تتعلق بالصواريخ الباليستية.
3. في 11 يناير/كانون الثاني عام 2012 قُتل مصطفى أحمدي روشان وهو أستاذ جامعي وعالم نووي، عمل مشرفاً في منشأة تخصيب اليورانيوم في نطنز بمحافظة أصفهان.
4. في 27 نوفمبر عام 2020 اغتيل محسن فخري زاده، وهو عالم نووي بارز، في هجوم على جانب الطريق على بعد حوالي 40 ميلاً شرق طهران، ولم يكن اسمه معروفًا على نطاق واسع حتى في إيران حتى فرضت عليه الأمم المتحدة عقوبات في عام 2007 والولايات المتحدة في عام 2008، ألقت إيران باللوم في القتل على إسرائيل حيث أدان وزير الخارجية الاسبق جواد ظريف القتل باعتباره إرهابًا.
5. في 22مايو عام 2022 قتل العقيد حسن سيد خدايي، الذي كان ضابطاً كبيراً في فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإسلامي الإيراني ووصفته التقارير الإيرانية بأنه «مدافع عن الحرم»، وهو ما يعني عادة الخدمة في مسارح عمليات فيلق القدس مثل سوريا، ووفقًا لبعض الروايات الاسرائيلية، كان خدايي متواطئًا في مؤامرات ضد الإسرائيليين في إفريقيا وقبرص وتركيا وأماكن أخرى، وكان ايضاً وراء المحاولات الإيرانية الأخيرة لاختطاف أو إيذاء الإسرائيليين من خلال إغرائهم بمؤتمرات وهمية وتشجيعهم على السفر إلى الخارج، وأنه كان قريباً أيضاً من القائد سليماني ولعب دورًا «مهمًا» في الصناعات الدفاعية الإيرانية، وخاصة فيما يتعلق بالطائرات بدون طيار، لقد مثل مقتل خدايي تغييراً في أسلوب عمل إسرائيل في عمليات القتل المستهدفة فيما يتعلق بإيران مما يشير إلى تنفيذ اسرائيل مبدأ الأخطبوط الذي لطالما دافع عنه دافع عنه رئيس الوزراء الإسرائيلي «نفتالي بينيت» فحتى قبل أن يصبح بينيت رئيساً للوزراء، حث إسرائيل على التركيز على استهداف إيران ذاتها بأعتبارها رأس الأخطبوط وليس فقط مخالبها في غزة والعراق ولبنان وسوريا وأماكن أخرى حيث قال بينيت ذات مرة، «بينما نسفك الدماء في قتال مخالبهم، يسترخي رأس الأخطبوط في كرسيه مستمتعا» لذلك في عام 2020، توسع بينيت في هذا المفهوم قائلاً: «عندما تضربك مخالب الأخطبوط، يجب عليك أن تقاوم ليس فقط ضد المخالب، ولكن أيضًا للتأكد من خنق رأس الأخطبوط، وينطبق الشيء نفسه على إيران... الآن نحن نغير النموذج، نحن منخرطون الآن في جهد مستمر لإضعاف الأخطبوط الإيراني من خلال التدابير الاقتصادية والدبلوماسية والاستخباراتية، وكذلك بالوسائل العسكرية ومختلف الأساليب الأخرى.

6. 31 مايو و2 يونيو عام 2022 في حادثتين منفصلتين اغتيل شخصين على صلة بالحكومة الايرانية هما أيوب انتظاري، مهندس طيران يعمل في مركز أبحاث عسكري، اما الشخص الاخر فهو كامران أغامولاي الذي كان يعمل في شركة أبحاث جيولوجية خاصة، ولقد مثل اغتيالهما توسع في الحرب الخفية التي تقوم بها اسرائيل لاسيما انها اي اسرائيل وسعت نطاق أهدافها من الشخصيات البارزة المرتبطة بالبرنامج النووي إلى الأفراد العسكريين والعلماء من المستوى الأدنى.
7. في 1 إبريل/نيسان عام 2024 قتلت غارة جوية إسرائيلية ثلاثة جنرالات في الحرس الثوري الإيراني وأربعة ضباط آخرين في قنصلية مجاورة للسفارة الإيرانية في دمشق وهم الجنرال محمد رضا زاهدي منسق العمليات السرية الإيرانية في سوريا ولبنان منذ فترة طويلة، الجنرال محمد هادي حاج رحيمي نائب زاهدي، الجنرال حسين أمان اللهي رئيس هيئة الأركان العامة لقوة القدس في سوريا ولبنان حسين يوسف، عضو في حزب الله.
8. في 31 يوليو/تموز عام 2024 اغتيل اسماعيل هنية زعيم حركة حماس في المنفى في العاصمة الإيرانية طهران بعد حضوره أداء الرئيس مسعود بزشكيان اليمين الدستورية رئيسًا جديدًا لايران، ولقد اتهمت غارة جوية إسرائيلية بقتله، وهو ما مثل رسالة تحذيرية للرئيس الايراني الجديد الذي أبلغَ نظيره الفرنسي إيمانويل ماكرون في اتصال هاتفي بأن اي هجوم اسرائيلي على لبنان سوف يكون له عواقب وخيمة، كما تعهد في رسالة للأمين العام لحزب الله التزام ايران بدعم حزب الله ومحور المقاومة لكون نهج الدفاع عن المقاومة متجذر في السياسة الايرانية، كما تمثل العملية رسالة تحذيرية اخرى لإيران مفادها ان اسرائيل تمتلك القدرات العسكرية المتطورة التي تمكنها من استهداف اي شخصية ايرانية مستقبلاً مالم تتوقف طهران عن دعم محور المقاومة، من جانب اخر ارادت اسرائيل من اغتيال هنية على ارضي ايران ان تضعها في معضلة كبير تلقي بشبهة الضعف على ضعف جبهتها لا سيما بعد سلسلة الاختراقات الاستخباراتية المتكررة بحق ايران والحرس الثوري، حيث يرى محللون في الضربة إخفاقا استخباراتيا كبيرا من قبل الأجهزة الإيرانية وتطورا مزعجا للغاية بالنسبة إلى القيادة الإيرانية، لاسيما أنها نُفّذت في وقت يفترض أن الإجراءات الأمنية كانت على أعلى المستويات بسبب تدفق الضيوف لحضور حفل التنصيب، وأكدت نائبة رئيس معهد أبحاث ودراسات البحر المتوسط والشرق الأوسط أغنيس ليفالوا أن "عدم تمكّن الإيرانيين من منع عملية الاغتيال هذه أمر محرج جدا بالنسبة إلى إيران".

وعليه يمكن القول انّ الانكشاف الاستخباراتي الايراني امام اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية لا يعود الى الضعف من الناحية الهيكلية والوظيفية كما اشار تقرير كلية الدفاع عام 2009 وانه ليس وليد اليوم انما له مسببات تاريخية وما تزال الى الان تلقي بظلالها على مجتمع الاستخبارات الايراني يمكن اجمالها بالاتي

1. مشكلة للعرقيات الموجودة منذ عهد الشاه: تضم ايران ما يقرب من اثنتي عشرة مجموعة عرقية غير الفارسية تمثل أكثر من نصف تعداد السكان البالغ 89 مليون نسمة وهم الأذربيجانيون والأكراد والعرب والتركمان والبلوش وعشرات غيرهم و تهيمن هذه الاقليات على مناطق شاسعة من البلاد خارج قلب البلاد الذي يحيط بطهران، ولكل اقلية لغتها وثقافتها وتاريخها وحلمها التاريخي بإقامة دولة واحدة نظرا لانها تتوزع بين اكثر من دولة تقوم بقمعها، او تهدئتها حسب المناخ السياسي السائد في الداخل والخارج لذلك اصبحت الاقليات بمعنى من المعاني لعبة الانظمة في علاقاتها الدولية، مما الجأ التنظيمات السياسية المسلحة لأبناء هذه الاقليات الى التورط في هذه اللعبة وبمساعدة القوى الاجنبية في الكثير من الاحوال مما اضافت تعقيدات جديدة الى قضية شائكة بطبيعتها في اطار الدولة القومية، لقد ادى نجاح الثورة الاسلامية في ايران الى ازدياد القوة العسكرية للأقليات القومية الايرانية نتيجة لكميات الاسلحة والذخائر التي سرقتها من ثكنات جيش الثورة من ناحية ونتيجة للدعم العسكري الخارجي بعد اشتداد صراعها مع

قوات الثورة الايرانية من ناحية اخرى وكذلك الى تجدد الآمال في التمتع بحكم ذاتي من ناحية اخرى، وذلك نتيجة الشعور بالإهمال والتهميش، من قِبل الأنظمة السابقة في ايران، وذلك لإدراك النظام بان تحرك القوميات غير الفارسية يمثل تهديدا حقيقيا للنظام وقد يؤثر عليه سلبيا داخليا وخارجيا وخصوصا مع المحاولات الدائمة من جانب الاقليات غير الفارسية لإثارة الاحتجاجات اخرها الاحتجاجات التي شهدتها اغلب المدن ذات الاقلية الكردية على وقع انتحار فتاة كردية في مايو عام 2015، تلك الاحتجاجات التي ادت الى اضطرابات في عدد من المحافظات وهو ما دفع الدولة الى اتباع وسائل مختلفة في التعامل مع الاقليات.

2. وجود اقلية يهودية كبيرة في ايران: تجاوز عدد السكان اليهود في إيران 100 ألف نسمة في السنوات التي سبقت الإطاحة بشاه إيران في عام 1979 بينما يبلغ عددهم اليوم ما بين 5000 إلى 8000 نسمة وقد ضمن الدستور الإيراني حقوق الأقلية اليهودية من خلال الاعتراف بثلاثة ديانات رسمية بالإضافة إلى الإسلام، المسيحية واليهودية والزرادشتية ومن ثم فقد مُنحت الأقلية اليهودية، إلى جانب المسيحيين والزرادشتيين حق التمثيل في البرلمان الإيراني وفي الحكومات الإيرانية المتعاقبة، ضمن نظام الحصص لليهود مقعداً واحداً في البرلمان من خلال انتخابات حددها الدستور الإيراني وبالمقارنة مع الأقليات الأخرى، نجد أن الأقلية اليهودية التي بقيت في إيران تمتعت بالحرية في أداء الشعائر الدينية وبناء المعابد اليهودية، علاوة على ذلك، منحت الحكومة الإيرانية تصاريح لإنشاء جمعيات خيرية في المدن التي يقيم فيها اليهود، وخاصة في العاصمة طهران وهمدان وأصفهان وفي طهران وحدها، يوجد 13 كنيسًا يهوديًا نشطًا، وخمس مدارس يهودية، وروضة أطفال، ومستشفى يهودي بسعة 100 سرير كما سمحت الحكومة الإيرانية لليهود ببناء أماكن العبادة، علاوة على ذلك، ساعد الحرس الثوري الإيراني في استعادة نسخة قديمة من التوراة سُرقت من الأقلية اليهودية، وهي واحدة من أقدم المخطوطات في العالم وقد أعيدت إليهم في شيراز، المدينة الواقعة في جنوب إيران، وعلى المستوى الاجتماعي، ذكر اليهود في إيران أن وضعهم تحسن بعد تولي الرئيس حسن روحاني منصبه، فقد سمح للمدارس اليهودية بالإغلاق أيام السبت وخصص ما يقرب من 400 الف دولار لمستشفى يهودي في طهران وحصلت الأقلية اليهودية على الحق في «دية الدم» كاملة، الأمر الذي أنهى التمييز المالي الكبير بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى في هذا الصدد اي انّ يهود ايران يتمتعون بالحقوق الكاملة، على الرغم من ذلك فهم يمنعون من مزاولة أو الاطلاع أو المشاركة في نشاطات خاصة تعتبر جزء من الأمن القومي للبلاد، مثل البرنامج النووي الإيراني.

3. العقوبات الاقتصادية الغربية: منذ عام 1979 حتى عام 2024 تعاني ايران من العقوبات الغربية والتي شملت قطاع النفط والغاز، ومحاولة جعل البرنامج النووي ان يكون للاستخدامات المدنية فقط، ومنع ايران من الوصول الى التكنولوجيا النووية والصواريخ،

والضغط على ايران من خلال اقناع الشركات والبنود بالانسحاب منها والضغط على العميل الذي يشتري النفط منها، وهو ما انعكس على الداخل الايراني فعلى المستوى السياسي ادت الضائقة المعيشية الى تصاعد الاحتجاجات نتيجة لارتفاع اسعار الوقود والمحروقات، وعلى المستوى الاقتصادي عانت ايران من معضلة الصادرات النفطية فعلى الرغم من أن التقديرات الإيرانية تكشف عن ارتفاع معدل الصادرات النفطية من خلال البيع المباشر إلى الصين، إلا أن ايران ما تزال تعانى من بعض القيود الهيكلية في هذا الإطار مثل ضعف البنية التحتية اللازمة لتأمين الصادرات النفطية في سياق التغيرات الهيكلية في سوق الطاقة العالمي تحت تأثير التغيرات التكنولوجية لزيادة الإنتاج وتقليل الاستهلاك، كما تسببت حملة الضغوط القصوى الأمريكية التي تم فرضها في عهد ترامب في خروج إيران من سوق النفط العالمية وفقدان دورها في السلسلة الاقتصادية العالمية، ومن ناحية أخرى، أدى ظهور بعض التقنيات الحديثة مثل التكسير الهيدروليكي والحفر الأفقي إلى تعزيز قدرة بعض القوى الكبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية على تأمين احتياجاتها من الطاقة عن طريق النفط الصخرى، فضلاً عن أن الفترة الطويلة من العقوبات التي فرضت ومازالت مفروضة على إيران أدت إلى تردد المستثمرين على المدى الطويل، فضلا عن تدهور المستوى المعيشي الذي ادى الى ظهور مشكلات عدة داخل المجتمع الإيرانى تنبع بشكل أساسي من انخفاض الشعور بالسعادة والرضا عن الحياة وظهور الكثير من القلق بشأن المستقبل، ولاسيما فيما يتعلق بالوضع المالي للأفراد، وهو ما زاد من استعداد بعض الافراد للتخابر مع دول اجنبية.

4. وجود عناصر استخباراتية غير موالية للنظام بعد قيام الثورة الإسلامية، وقد وجهت اتهامات تلتها احكام بعضها بالاعدام تجاه شخصيات إيرانية رفيعة المستوى.

فضلاً عما تقدم يمكن القول انّ التعاون الغربي مع الاستخبارات الإسرائيلية يعد واحداً من أهم العوامل التي مكنت الاستخبارات الاسرائيلية من التفوق واختراق الاستخبارات الايرانية

الخاتمة:

يشهد العالم العديد من التطورات في الوقت الحاضر ولعل ابرزها حرب الجواسيس الحاصلة بين اسرائيل وايران والتي تمثلت بحرب الاغتيالات للعلماء والقادة العسكرين ولعل اخرها اغتيال فؤاد شكر في لبنان واسماعيل هنية في طهران من قبل اسرائيل ويعد هذا الحادث الابرز في الوقت الراهن والذي أثار مخاوف الانكشاف الاستخباراتي، على الرغم من انّ الجهاز الاستخباراتي الايراني يعد الاقوى في منطقة الشرق الاوسط نتيجة لما تمتلكه ايران من قدرات في مجال الاستشعار الاستخباراتي والذكاء الاستخباراتي والاستخبارات المضادة الا ان الانتكاسات الاخيرة اثبتت ان ايران قوية خارجياً ولكنها تعاني بعض المشاكل

داخلياً، ولذلك فهي بحاجة الى اعادة تقييم قوتها لا سيما في ظل تفوق القوى الغربية والاقليمية

المصادر:

1. دليله خينش، التعدي على الخصوصية وتحديات الامن المعلوماتي، رقمنة: مجلة الدراسات الاعلامية والاتصالاتية، المجلد (3)، العدد(1)،2023،ص45.
2. The privacy legal framework for biometric, Future of Identit y in the Information Society,2009,p.1, https://www.academia.edu/
3. سيد أحمد قوجيلي، المجتمع البانوبتيكي: العين الإلكترونية وصعود تجمّعات المراقبة، 2019، الشبكة الدولية للمعلومات والانترنيت، المصدر متوفر على الرابط الاتي: https://caus.org.lb/
4. شريف مراد، أصبحنا عرايا أمام كاميراتهم.. من سيراقب من يراقبنا؟، مركز الجزيرة للدراسات، 2017، الشبكة الدولية للمعلومات والانترنيت، المصدر متوفر على الرابط الاتي: https://www.aljazeera.net/
5. David Von Drehle, The Surveillance Society,2013, https://nation.time.com/
6. Simon Kemp, DIGITAL IN 2019: GLOBAL INTERNET USE ACCELERATES,2019, https://wearesocial.com/
7. Digital Transformation Market,2024, https://www.fortunebusinessinsights.com)
8. فاطمة الزهراء عبد الفتاح، ملامح الخصوصية والانكشاف في عصر التقنيات الذكية، دراسات المستقبل، 2019، ص8.
9.) فراس عقيل، البيانات الضخمة ودورها في الحد من الجرائم الالكترونية في ظل استراتيجية الامن السيبراني، ط1، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، 2023،ص15.
10. The dual power of big data,2016, https://twas.org/)
11. Request for Information: Big Data and the Future of Privacy, comments of the electronic privacy information center,2014, https://epic.org/
12. انتهاء عصر الخصوصية.... 8 تغريدات على تويتر كافية لتحديد المتلصصين على موقعك، صحيفة الشرق الاوسط، الشبكة الدولية للمعلومات والانترنيت، المصدر متوفر على الرابط الاتي: https://aawsat.com/
13. Privacy Risks and Social Media, https://digitalprivacy.ieee.org/)
14. Amanda Hetler, 6 common social media privacy issues, https://www.techtarget.com/
15. Ellie Farrier,What is a third-party app? Examples and potential risks,2023, https://us.norton.com/
16. Third-Party Apps: What Are The Security Risks?, https://www.essentialtech.com.au/
17. Lev Craig, What is Artificial Intelligence (AI)?, https://www.techtarget.com/)

18. Coursera Staff, What Is Artificial Intelligence? Definition, Uses, and Types,2024, https://www.coursera.org/
19. مناصري جوهر، تأثير الذكاء الاصطناعي على الاقتصاد العالمي، مجلة اقتصاد المال والاعمال، المجلد (9)، العدد (1)، 2024،ص89.
20. دبار محمد وبابو جمال، تداعيات الذكاء الاصطناعي على الامن القومي، مجلة القانون الخاص، المجلد(2)، العدد(1)، 2024، ص ص 100-107.
21.) العياشي زرار وحمزة بن روید، الحوسبة السحابية المفهوم والخصائص وتجارب دول وشركات رائدة، مجلة ارصاد للدراسات الاقتصادية والادارية، المجلد(2)، العدد(2)،2019، ص185.
22.) الحوسبة الكمية تكتب الفصل الأخير لعصر الخصوصية، صحيفة العرب، 2017، الشبكة الدولية للمعلومات والانترنيت، المصدر متوفر على الرابط الاتي: https://alarab.co.uk/
23. خالد حنفي علي، الاستخبارات وقوة الدولة في سياق عالمي متغير، محلق اتجاهات نظرية مجلة السياسية الدولية، مركز الاهرام، القاهرة، المجلد(53)، العدد(214)، 2018، ص3.
24. ناصر اعتمادی، گزارش پنتاگون دربارۀ وزارت اطلاعات ایران، 2013، https://www.rfi.fr/
25. iran is minstary of intelligency and security: a profile, A Report Prepared by the Federal Research Division, Library of Congress, under an Interagency Agreement with the Combating Terrorism Technical Support Office'Irregular Warfare Support Programs, 2012,p.3.
26. Connor Bradbury, Profiles: Iran's Intelligence Agencies,2023, https://iranprimer.usip.org/
27.) امال السبكي، تاريخ ايران السياسي بين ثورتين 1906-1979،عالم المعرفة، الكويت، 1999،ص173.
28.) السافاك قلعة الرعب الشاهانية بإيران.. جهاز الأمن الأكثر سطوة دمره الخميني، 2019، الشبكة الدولية للمعلومات والانترنيت، المصدر متوفر على الرابط الاتي: https://www.elbalad.news/
29. Heinrich Matthee, The role of SAVAK as an intelligence service in Iran, 1956–1979: Contributions to regime formation, state-building and geopolitics,2024, https://www.litnet.co.za/
30. روافد جبار، نشاط جهاز المخابرات الايرانية السافاك 1957-1979(سافاك-نشاطه-قياداته- انهياره)،مجلة اداب المستنصرية، المجلد(39)،العدد(72)،2016،صص 13-14.
31. Iran's Malign Intelligence Activities,2024,p.p.1-8, https://www.unitedagainstnucleariran.com/
32. Aidan Hickey, Iranian Ministry of Intelligence,2022, https://greydynamics.com/
33.) فراس الياس، سياسة الامن القومي الايراني، Dergisi Araştırmalar Bölgesel | ANKASAM، العدد(2)،2018،ص15.
34. Kenneth Katzman,Explainer: Tactics of Iranian Intelligence,2023, https://iranprimer.usip.org

35.) احمد بن علي، الجبهة النشطة: تداعيات المواجهة السيبرانية بين ايران واسرائيل،مجلة الدراسات الايرانية، المعهد الدولي للدراسات الايرانية،السنة (4)،العدد(2)،2020، ص ص 69-70.
36. احمد بن علي، المصدر السابق،ص70.
37. Frank Wood, Iran's Cyber Capabilities,2021, https://westoahu.hawaii.edu/)
38. Mohsen Abdollahzadeh Aghbolagh, Andrey I. Trufanov, Iran's Cyber Capabilities and Assessing Security Standards for Popular Iranian Websites,2023,p,59, https://www.researchgate.net/
39. chuck freilich, The Iranian Cyber Threat; Iran's Cyber Strategy, Institutions, and Capabilities,2024, https://www.inss.org.il/
40. The Iranian Cyber Threat to Israel,2024, (https://www.inss.org.il/)
41. Iran's Cyberattacks capabilities, Special Report, King Faisal Center for Research and Islamic Studies (KFCRIS),2020,p.18.
42. James Andrew Lewis, Iran and Cyber Power,2019, https://www.csis.org)
43. Ismail Haniyeh killed: The shadowy history of Israel's attacks in Iran, AL JAZEERA AND NEWS AGENCIES,2024, https://www.aljazeera.com/
44. JD Work and Richard Harknett, Troubled vision: Understanding recent Israeli–Iranian offensive cyber exchanges,2020, https://www.atlanticcouncil.org/
45. Ismail Haniyeh killed: The shadowy history of Israel's attacks in Iran, Ibid.)
46. Nazila Fathi, Blast Kills Physics Professor in Tehran,2010, https://www.nytimes.com/
47. Timeline: Israeli Attacks on Iran,2024, (https://iranprimer.usip.org/)
48. Iran car explosion kills nuclear scientist in Tehran,2012, https://www.bbc.com)
49. Assassinations of Iran Nuclear Scientists,2020, https://iranprimer.usip.org/)
50. Jason M. Brodsky, Who was Col. Hassan Sayyad Khodaei?,2022, https://www.unitedagainstnucleariran.com/
51. Farnaz Fassihi and Ronen Bergman,Iran Suspects Israel Killed Two Scientists With Poison,2022, https://www.nytimes.com/
52. Turning Point: Israeli Attack on IRGC in Syria,2024, https://iranprimer.usip.org/)
53. Ismail Haniyeh, political chief of Hamas, killed in attack in Iran,2024, https://www.washingtonpost.com/
54. Who was Hamas leader Haniyeh, the ex-Palestinian PM killed in Tehran strike?,2024, https://www.france24.com/

55. تقديـر موقـف، اغتيـال اسـماعيل هنيـة في طهـران الدوافـع والرسـائل والتداعيـات، المعهـد الدولـي للدراسـات الايرانيـة، 2024،ص5.
56.) اغتيـال هنيـة يعكس انكشـاف إيـران أمـام إسـرائيل، صحيفة العـرب،2024، https://alarab.co.uk/
57. Bijan DaBell, Iran Minorities: Ethnic Diversity, 2013, https://iranprimer.usip.org/)
58. Brenda Shaffer, How Iran's Ethnic Divisions Are Fueling the Revolt,2022, https://foreignpolicy.com/
59.) صـلاح ابـو النجـا، ايـران وتحديـات الاسـتقرار السياسـي، مجلـة السياسـة الدوليـة، مركـز الاهـرام، القاهـرة، العـدد179، 1980، ص102.
60.) رحيـم حميـد، الأقليـات القوميـة في إيـران تجـد أصواتهـا الخاصـة – بإمـكان أمريـكا أن تسـاعد، 2019، الشـبكة الدوليـة للمعلومـات والانترنيـت، المصدر متوفـر علـى الرابـط الاتـي: https://www.washingtoninstitute.org/
61. Steve Inskeep, Iran›s Jews: It›s Our Home And We Plan To Stay,2015, https://www.npr.org/
62. Benjamin Weinthal, Iran Compels Jews And Minorities To Honor Islamic Revolution, https://www.iranintl.com/
63. Husam Kassai Hussein and Wedad Abdolrahman al-Karni, the iranian revolution and the reality of jews in iran, Journal for Iranian Studies, Year 7, Issue 17, 2023,p.28.
64. يهـود إيـران.. مخـاوف أمنيـة ومضايقـات لا تنتهـي،2021، الشـبكة الدوليـة للمعلومـات والانترنيـت، المصـدر متوفـر علـى الرابـط الاتـي: https://www.skynewsarabia.com/
65. سـليم الدليمـي، العقوبـات علـى ايران..تحفـز واشـنطن وبراغماتيـة طهران،مجلـة السياسـة الدوليـة، مركـز الاهـرام، القاهـرة، المجلـد (54)، العـدد(219)، 2019،ص206.
66.) مرفـت زكريـا، قبـل الصفقـة: تداعيـات العقوبـات الأمريكيـة علـى ايـران، مركـز الاهـرام للدراسـات السياسـية والاسـتراتيجية،2022، الشـبكة الدوليـة للمعلومـات والانترنيـت، المصـدر متوفـر علـى الرابط الاتـي: https://acpss.ahram.org.eg/

دول وقلعي:

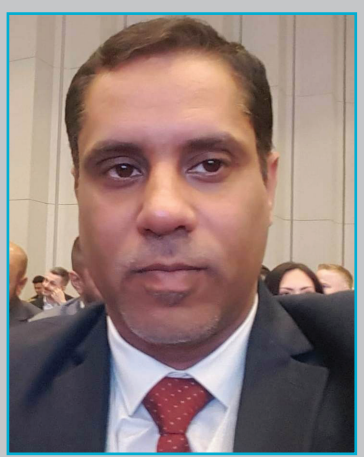

الدكتور فراس عباس هاشم

جامعة البصرة

ديناميكيات التغيير في الرهانات الجيوسياسية للدبلوماسية العراقية

بعد العام 2021: قراءة في مشروع طريق التنمية العراقي

المقدمة

بـدءاً أصبـح العـراق يـدرك ضـرورة إيجـاد رؤى جديـدة مـن الأفـكار تؤطـر موقفـه مـن المتغيـرات الجيوسياسـية التـي تشـهدها البيئـة الإقليميـة والدوليـة الراهنـة، وتشـكل دافعـاً يمكـن الارتـكاز عليـه في توجهـات الدبلوماسـية العراقيـة في التعامـل مـع الأحـداث الجيوسياسـية المسـتحدثة، في نطاقـات تحركاتـه الجغرافيـة في منطقـة الشـرق الأوسـط وشـمال أفريقيـا، ولهـذا تشـهد الدبلوماسـية العراقيـة في الآونـة الأخيـرة تحـولات علـى صعيـد الأداء في ظـل منحـى تطـورات الأحـداث التـي تشـهدها بيئـة تفاعلات العـراق الخارجيـة علـى المسـتويات كافـة الاقتصاديـة والأمنيـة والسياسـية والعسـكرية، منحـاه تغليـب سياسـات متسـقة في مواقفـة تجـاه قضايـا الإقليـم الحيويـة، وتصلـح لتوجيـه الفعـل الدبلوماسـي صـوب مسـارات إعطـاء أولويـة التغييـر في تحولـه نحـو مراكـز الجـذب الجيوسياسـي في المنطقـة، وتوظيـف الفـرص المتاحـة لديـه لتجـاوز عقـدة الرفـض الإقليمـي مـن خلال بنـاء شـراكات اسـتراتيجية في مختلـف المجـالات وخاصـة مـع دول جـواره القريـب أو المباشـر مـن أجـل تحسـين الأداء الدبلوماسـي وتطويـره في المجـالات المهمـة.

وإزاء ذلـك، دفعـت هـذه التصـورات المتحكمـة بتوجهـات صانـع القـرار العراقـي نحـو إعـادة تعريـف مصالـح العـراق القوميـة لعـدة اعتبـارات وأسـباب جيوسياسـية وسياسـية واقتصاديـة، والعمـل علـى تطويـر آليـات مـن العمـل الدبلوماسـي تعيـد علاقاتـه بمحيطـة الجغـرافي في ظـل التغيـر في نمـط خطـاب السياسـة الخارجيـة العراقيـة، ومحاولتـه لعـب أدوراً أكثـر فاعليـة في المنطقـة مـن خلال تقديـم نفسـه كمركـز للتـوازن الإقليمـي، ضمـن أطـر مؤسسـاتية تنطـوي علـى تجانـس الـرؤى والأفـكار التـي تحاكـي توجهـات صانـع القـرار العراقـي الجديـدة والتـي تختـزل في جوهرهـا مواكبـة الأحـداث والمسـتجدات الإقليميـة الراهنـة، ضمـن بنـاء سـردي يتسـم أثـرة علـى إبـراز خطـاب خارجـي يعكـس أهميـة ودور العـراق في جغرافيـة المنطقـة

فـضلاً عـن طرحـة لمشـاريع اقتصاديـة تؤسـس لوجوده الجيوسياسـي في طـرق التجـارة الدوليـة وتعظيـم مكانتـه الإقليميـة كمشـروع طريـق التنميـة العراقـي، وإبـراز أهـم محدداتهـا كبنـاء شـراكات اسـتراتيجية علـى الأصعـدة كافـة مـع دول الإقليـم، تحقـق أهدافـه في خلـق سـبل التفاعـل معـد الاطـراف الإقليميـة، عبـر بنـاء مصالـح تضعـه في دائـرة الاهتمـام الإقليمـي، ولهـذا السـبب ينـأى العـراق عـن محـاولات عزلـه إقليميـاً وتعطيـل دوره علـى نحـو متكـرر مـن قبـل بعـض القـوى الصاعـدة في المنطقـة، وبالتالـي، واجـه مشـروع طريـق التنميـة العراقـي العديـد

من التحديات في ظل بروز طرق بديلة ومنافسة في جغرافية الممرات الدولية، بالإضافة إلى ذلك تصاعد حالة الصدام بين الأطراف الإقليمية والدولية وتقاطعات المصالح في الفضاءات الحيوية، مما تنعكس تداعياتها على دينامية نشاطه الدبلوماسي في الإقليم

المحور الأول

تشكيل النموذج الجيوسياسي كأداة للفاعلية الدبلوماسية وديناميتها

لقد شكلت المستجدات المتسارعة في مناطق التوتر والصراع الجيوسياسية على تنمية أوضاع إقليمية شديدة التعقيد، اضطرت معها الدول إلى إيجاد سياسات تتجاوز الأطر التقليدية في تفاعلاتها الدبلوماسية، ومن هنا هذا الاستدراك العراقي لطبيعة التحولات الجديدة ساعده على التكيف مع الوقائع الحالية وتحولاتها، من خلال أنشا أطر تعزز اندماجه الاستراتيجي في فضاء جغرافي متحرك، وهو ما يأتي في سياق مشروع طريق التنمية الذي سوف يعزز من مصالح العراق الإقليمية وديناميتها في المنطقة

أولاً: تصاعد بوصلة الجغرافية بأزمنة التحولات الجيوسياسية

من نافل القول إن تطورات الأحداث الجيوسياسية في البيئة الدولية والإقليمية وعواملها المؤثرة، تنشئ آليات تحول في أدراك صناع القرار ناجمة عن تبني أنماط سلوكية محددة لأغراض التعامل مع مضامينها، وعلى نحو يتماشى معها، ولقد أضحى متعارفاً أن هذه العوامل صارت في عالم اليوم تنبع في آن واحد من المحيط الداخلي بالذي تصنع السياسة الخارجية (Foreign Policy) ضمن إطاره، ومن المحيط الخارجي الذي تنفذ بداخله هذه العوامل التي تشكل المقومات، ولذلك فإن الدور (Role) لأية دول سواء ضمن بيئتها الإقليمية أو الدولية لا ينشا من الفراغ ولا يعتمد على الرغبات فقط بل أن الدور لكي يكون فاعلاً ومحققاً لهداف الدولة، لا بد أن يرتكز على أرضية صلبة وقاعدة متينة توهله لتحقيق التأثير المتوقع للدولة

وهكذا، تعد دراسة الموقع الجغرافي للدولة من الأولويات في معرفة المقومات التي تصنع الخصائص التي تتأثر بها الوحدة السياسية (Political Unity)، ومن ثم يكون للموقع الجغرافي وزن وتقدير ما فيما يتعلق بوجود الوحدة السياسية والدور الذي تسهم به بالنسبة لكيانها الذاتي من ناحية وبالنسبة للوحدات الأخرى من ناحية أخرى، فموقع أي مكان هو ثابت على الكرة الأرضية إلا أن قيمته السياسية والاستراتيجية تتغير بشكل مستمر ولمعرفة كل ما يتعلق بموقع الدولة بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض وموقع الدولة بالنسبة للمساحات المائية وكتل اليابس أي الموقع البحري والموقع القاري أو الداخلي موقع الدولة بالنسبة للدول المجاورة

وفي هذا السياق، بدا أن لكل وحدةٍ سياسية في النظام الدولي (International Order) مظهر وسلوك تفترضه بنمذجة تصورها الذي تنفرد به عن غيرها من الدول؛ بسبب موقعها الجغرافي، بالإضافة لعوامل أخرى تتعلق بالنظام السياسي ومؤسساته، والتركيبية الديموغرافية وغيرها، وهذا ما يسبب التباين الكبير بين الوحدات السياسية في مقومات القوة (Power) التي تمتلكها وممارساتها، ويحدد طبيعة علاقات الوحدات الخارجية، والدور الذي تؤديه كل وِحدة

على مسرح التفاعلات السياسية على المستويين الإقليمي والدولي، الأمر الذي يسبب التباين الكبير في تقسيم الدول وتصنيفهم، وهو واقع وصفة «هالفورد ماكندر» (Halford Mackinder) ونظر له في مختلف كتاباته التي تعد الجغرافية (Geography) كحلبة لفهم تطورات السياسة الدولية، وتحديدها وتفسيرها والتكهن بها، وكان يرمي إلى حث رجال الدولة وصناع القرار على إدراك تأثيرات المعطيات الجغرافية والطبيعية في الدولة، بوصفها عضوًا كائنًا، وفي صوغ سياستها الخارجية واستراتيجيتها، وأن الخصائص الجغرافية ذات دور في صناعة التاريخ؛ لذلك اقترح «ماكندر» مقاربة «جيو-تاريخية» ((Geo-historical، فالأمم تأتي وتزول وتنهض وتنحسر، والنظم لا تستقر على حال، إلا الجغرافيّة، على الرغم من التأثيرات الإيجابية والسلبية للتطورات السياسية والاقتصادية والتقنية، وكان يقينه واضحًا بأن الجغرافيا هي خلية التاريخ الإنساني (Human History) نفسه، كما يرى «روبرت كابلان» (Robert Kaplan)، وأن «المسائل السياسية تعتمد على التحقيق» في الجغرافيا السياسية التي تعتمد وتقوم على الجغرافيا الطبيعية، مثلما هي تابعة لها

ولهذه الأسباب مجتمعة أصبحت سياسات الدول، وأفعالها مدفوعة بتصورات مختلفة المصالح في تحركاتها بوجود معطيات طبيعية تشكل الأهمية الجيوسياسية لإقليم ما، والتي تكون مرتبطة إلى حد كبير بالموقع الجغرافي للإقليم وقدرته في السيطرة أو التأثير على بحر من البحار الداخلية المهمة. أو يكون مكملاً جغرافياً وتاريخياً لإقليم أو أقاليم جغرافية أخرى

أو يكون مصدر حياة شعوب أو أقاليم جغرافية أخرى ذات أهمية سياسياً واقتصادياً، أو يكون مدخلاً ومعبراً نحو أقاليم أخرى أو يكون مصدر حياة شعوب أو أقاليم مستهدفة لما لها من مكانة بالغة، وعليه فإذا ما توفرت للأقاليم بعض أو كل هذه الأبعاد أصبح ذلك الإقليم (Region) خاضعاً لمخططات الاستراتيجية العالمية، وهى بالطبع تتعارض ومصالح شعوب الإقليم. وقد لخص «ألكسندر ويندت» (Alexander Wendt) كل ما سبق بصورة مكثفة ودقيقة بقوله: » إن المجال الدولي يُعتبر بطبيعته مجالاً فوضويًا يتكون من وحدات مستقلة تسمى دولً، وأن الدول هي الفواعل الرئيسة التي تمتلك قدرات عسكرية هجومية تجعل بعضها خطرًا على أمن بعضها الآخر، وأن هذه الدول تعاني معضلة الشك الدائم في نيات بعضها تجاه بعض، وأن الحافز المحرّك لسلوك هذه الدول هو الرغبة في البقاء والمحافظة على سيادتها، وأن هذه الدول عقلانية في تصرفاتها وسلوكها وتفكر بطريقة إستراتيجية حول بقائها وأمنها»

من هذا المنطلق أن تلك التغييرات التي ظهرت في المناطق الجغرافية المتعددة من العالم، فتحت الباب أمام بروز دور الجغرافية في خضم الصراع الذي تعكسه حالة عدم اليقين والمخاطر المتمثلة نحو محاولات القوى الفاعلة في تعزيز التأثير السياسي تجاه الأقاليم التي تضمن مستقبلها الجيوسياسي على نحو غير مسبوق في الوقت الراهن، ومحاولات فرض قواعد جديدة للتفاعلات الدولية والإقليمية

ومن ناحية أخرى، يرى كل من «باري بوزان» (Barry Buzan) و»أول ويفر» (Ole Weaver) و» دي وايلد» (De Wilde) أن الإقليم يشتمل على «مساحة ترابية متماسكة من الناحية المكانية تتكون من دولتَين أو أكثر»؛ أما «الإقليم الفرعي» (Subregion) فجزء وحسب من الإقليم، شريطة أن تكون معني به أكثرُ من دولة واحدة ومن دون أن يشمل دول الإقليم كلها؛ في حين يعدون «الإقليم المصغر» (Micro-Région) منطقة داخل حدود دولة ما، ويمكن تصنيف هذا الأخير على أنه «الإقليم الوطني»، في مقابل «الإقليم الدولي» في استخدام «ناي»

إضافة إلى هذا ثمة سمة أخرى أبرزتها الآراء التي جاءت في ظل تنامي الفكر الجيوسياسي بشكل خاص، إذ أعتبرها البعض بمثابة «طريقة للتفكير في السياسة مع أخذ الجغرافية في الحسبان وليس التفكير في الجغرافيا مع أخذ السياسة في الاعتبار وذلك بالمعنى الشائع وهذا التحدي الذي واجه العلم خلال الخمسين سنة الماضية، ويمكن لهذا الفكر السياسي أن يأخذ مكانة عند مستويات مختلفة مثل (قضية عدم المساواة بين أقاليم الدولة)

وبناء على ما تقدم، تعد دراسة الموقع الجغرافي للدولة من الأولويات في معرفة المقومات التي تصنع الخصائص التي تتأثر بها الوحدة السياسية، ومن ثم يكون للموقع الجغرافي وزن وتقدير ما فيما يتعلق بوجود الوحدة السياسية والدور الذي تسهم به بالنسبة لكيانها الذاتي من ناحية وبالنسبة للوحدات الأخرى من ناحية أخرى

في هذه الحالة، ترى النظرية الجيوسياسية أن تطور الدولة (State) ونموها وارتقائها يرتبط ارتباطاً وثيقا بالعوامل الجغرافية، مضافا إليها فتراتها المادية والمعنوية، والمهم هنا أن الدراسات الجيوسياسية حسب (أوتو مول- Ottomaull) تهتم بالدولة لا على أساس مفهوم جامد، بل باعتبارها كائنا حيا ينمو ويتحرك، ولا ينبغي أن تكون هذه الحركة عشوائية، أو تفتقر إلى وضوح الرؤية والهدف، إنما ترتبط هذه الحركة بأهداف ومقاصد سياسية معلومة ومحددة،

وتأتي في مقدمة هذه الأهداف ما يعرف بالمجال الحيوي، والمجال الحيوي وفق التصور الجيوسياسي، هو الإطار المكاني أو الحيز الجغرافي الذي تعتقد الدولة أن التحرك باتجاهه يعد ضروريا لتحقيق أهداف سياستها العليا

وإزاء ذلك بدأت ملامح الحيز الجغرافي الذي يقع فيه العراق، سواء على مستوى السوار العربي والإقليمي، أو على مستوى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فضلاً عن البيئة الدولية ومصالحها المتقاطعة والتي أصبحت أكثر تداخلاً وتعقيداً، بحكم المتغيرات المتسارعة بين الدول الكبرى؛ مثل: الحرب الأوكرانية الروسية وتداعياتها على العلاقات الدولية، وتصاعد الصراع الأمريكي من جهة والروسي الصيني من جهة أخرى، والملف النووي الإيراني وانعكاساته على منطقة الخليج العربي والشرق الأوسط وشمال أفريقيا؛ ما يتطلب من صانع القرار العراقي، وضع مدركات لرؤية واضحة المسار لا تقبل التردد في اتخاذ الموقف أو اتخاذ العاطفة أو الانتماءات الفرعية لتحديد بوصلة المواقف الخارجية من تلك التطورات على الساحة العالمية

ثانيا: توسيع مجالات الحيز المكاني للدبلوماسية بتمثلات الأنموذج

تأتي السياسة الخارجية العراقية وتحركاتها الدبلوماسية(*) (Diplomacy) في البيئة الجيوسياسية الجديدة التي أخذت تتشكل في جواره الجغرافي، انطلاقاً من تطورات الأحداث السياسية والاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط، فضلاً عن أولويات البرنامج السياسي للحكومة العراقية الجديدة التي ارتكزت على تصورات جديدة لتعزيز دور العراق الخارجي، متخذةً من الأداة الدبلوماسية وسيلة لتقليل المخاطر المحيطة بالبلد، وقد تجسد ذلك بإعادة إنتاج العراق لعلاقاته الخارجية مع الدول الأخرى، واستعادة دورة على الساحة الإقليمية، بعد أن خسرها بعد الاحتلال الأمريكي للعراق في العام (2003) تتمثل بتوظيف أدوات التمكين لدية بفعل موقعة الجيوسياسي

في البحث عن تحقيق أهدافه ومصالحة الاستراتيجية.

بهذه الكيفية نجد أن الدبلوماسية بشكلها الشامل تتمثل في العملية التي تقيم من خلالها الدول علاقاتها الخارجية؛ إذ أنها وسيلة الحلفاء للتعاون وأداة الخصوم لحل النزاعات (Disputes) دون اللجوء إلى القوة، ولا يمكن اعتبار مفهوم «الدبلوماسية الاقتصادية» (Economic Diplomacy) شكلاً جديدًا تمامًا من أشكال الدبلوماسية فكثيرًا ما كانت تُعد جزءًا من أجزاء الدبلوماسية التقليدية

إذ نلحظ أن «الدبلوماسية الاقتصادية»(*) أصبحت من أهم أدوات التعامل السياسي الدولي، بل إن الأدوات المستخدمة ضمن هذا الشكل من الدبلوماسية أصبحت متفوقة بمقياس الفاعلية والتأثير على الوسائل الاستراتيجية ذات الثقل التقليدي في الممارسات الدبلوماسية بين الوحدات السياسية من الدول، فالمفاوضة الاقتصادية والمساومة والأقناع من أهم أشكال التعامل الدولي ومن أهم أساليب إدارة العلاقات الدولية

وعلى هذا الأساس، من أجل التعامل مع الفعل الدبلوماسي بأبعاده الجيوسياسية كفعل سياسي إقليمي أو دولي في ظل الواقع الذي تعكسه التحولات الإقليمية والدولية واتجاهات تطورها، يجب ألا يكون فوريا أو مباشراً، إذ يمكن أن يستغرق الامر فترة زمنية غير محدودة على سهم الزمن، على نحو جعل منهج التشديد هذا يتفق مع نمط التأثير غير الفوري الذي تحدثه حركة جناحي الفراشة في نظرية «أثر الفراشة»

(Butterfly Effect) من جهة أخرى ينبغي تأكيد أن نيات الفاعل لا تشكل أي فرق في تسمية أفعاله أفعالاً سياسية إقليمية أو دولية، فحتى لو كانت نيته تقتصر على أن يكون فعله محليا أو محدود التأثير في الآخرين، فينبغي التعامل معه كفعل سياسي دولي إذا كانت له تداعيات غير مقصودة او غر فورية تتجاوز الدولة

بناء على ما سبق، وعلى نحو الإحاطة لا يمكن للعراق تفعيل دوره الدبلوماسي الخارجي من خلال إبقائه هامشياً، وأن فجوة النأي من الانخراط بقضايا المنطقة التي عرفتها بعض الحكومات العراقية المتعاقبة بعد عام 2003، دفعته إلى انتهاج رؤى جيوسياسية تسمح له لأحداث تغييرات في مكانته الخارجية وتسويق ذاته

وهذا ما أشره العديد من المختصين والباحثين الأكاديميين من خلال الافصاح إن المكان أو الموقع لم يعد بذي أهمية قصوى في حد ذاته، بل بما فيه من مصادر «الموارد الطبيعية» (Natural resources)) والسوق وفرص الاستثمار التي جعلت منه ميدان صراع وبذلك تغيرت القيمة الجيوسياسية لبعض الأقاليم الحيوية ومنها منطقة آسيا الوسطى من كونها ذات مزايا إيجابية في الصراع على القوة لأغراض الأمن فحسب، وانتقالها لتصبح ساحة تنافس ونزاعات مسلحة من منطلق جيوسياسية الموارد، إذ تمثل منطقتي آسيا الوسطى والشرق الأوسط وشمال أفريقيا أهم موقعين في جيوسياسية الطاقة وتأثيرها في النظام الدولي والسياسة العالمية. وبحسب تعبير «فرانسيس براون» (Frances Browne) فان مرونة الدولة وقدرتها على التكيف ستكونان مفتاح نجاحها في المستقبل في الساحة الجيوسياسية

وهنا يمكن الإشارة، إلى أن ما تشهده جغرافية المنطقة من تحولات على صعيد التنافس داخل مجالاتها الحيوية، دفع العراق لتبني دبلوماسية أكثر مرونة ومتعددة المنهاج ارتكزت مسارتها في استضافته مؤتمراتٍ عدة على مستوى القمة عربية ودولية على مدار عقد من الزمن فعلى سبيل المثال لا الحصر (استضافت العاصمة بغداد القمة الثلاثية التي جمعت كلا من العراق والأردن ومصر في العام 2021)، وتوسيع نطاقاتها الجغرافية الذي شمل مشاركته في قمم أخرى استضافتها الدول العربية أيضًا (كالمشاركة في اجتماعات القمة العربية في دورتها الحادية والثلاثين المنعقدة في العاصمة الجزائرية الجزائر في العام 2022)، بما يتوافق مع محاولات إعادة تموضعه الإقليمي من خلال آليات عَقد اتفاقيات ومذكرات تفاهم عديدة مع دول الجوار العربي وغير العربي وتركيزه على القضايا الاقتصادية، وفي الوقت نفسه أخذ على عاتقه القيام بدور الوسيط وبدبلوماسية التسوية بين إيران وعدد من الدول العربية، فكانت النتيجة استئناف العلاقات السعودية-الإيرانية بعد انقطاع منذ عام 2016، وإجراء مفاوضات بين مصر وإيران، وإعلان الاستعداد للوساطة في الأزمة اليمنية، ولم يكن هذا الدور فحسب، بل طرح العراق مشروعًا للنقل البري سمي بـــ «طريق التنمية العراقي « (Iraq›s Development Road) لتثبيت نفسه عنصراً جيوسياسياً في حركة العبور الإقليمية من خلال إنشاء طريق جديد يربط بين العراق ودول الخليج، مروراً بتركيا، ووصولاً إلى أوروبا، وبالتالي رفع مستوى ممر تعزيز مكانته ودور العراق الإقليمي وعلاقاته مع مختلف الدول العربية والإقليمية، وهذا ما عبر عنه رئيس مجلس الوزراء العراقي «محمد شياع السوداني» قائلا:» إننا نعتبر هذا المشروع بمثابة ركيزة أساسية لاقتصاد غير نفطي مستدام، يخدم جيران العراق والمنطقة مع المساهمة في الوقت نفسه، لجهود التكامل الاقتصادي»

يضاف إلى ذلك، من ناحية الهدف جاء مشروع «طريق التنمية العراقي»، - انظر الخارطة رقم (1) - الذي طرحة رئيس مجلس الوزراء نقطة انطلاقة جيوسياسية للتكيف مع تطورات الأحداث الحالية في ظل حالة «الأزمات المتعددة» (Polycrisis) التي تشهدها البيئتين الإقليمية والدولية بفعل ارتدادات الحرب الروسية الأوكرانية على منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، بالإضافة إلى التسويات السياسية التي القت بضلالها على دول الإقليم، حيث يعد المشروع كأحد أدوات الحكومة العراقية في توسيع شراكات العراق الخارجية، فضلاً عن ذلك تسويق آليات النمو الجيوسياسية في مكانة العراق كقوة فاعلة في جغرافية المنطقة

ومن ثم يمكن القول إن طريق التنمية ليس مشروعاً جديداً، إذ جرى طرحه في سنواتٍ ماضيةٍ تحت مسمى «القناة الجافة»، وتداولته الحكومات العراقية السابقة بمستويات متباينة من الاهتمام، إلّا أنه اكتسب مزيداً من الزخم إثر الشروع بمشروع بناء «ميناء الفاو الكبير»، الذي تنفذه شركة «دايو» (Daewoo) الكورية الجنوبية

فعلى مستوى منظور الحكومة العراقية، يراد مِن طرح المشروع تحقيق أمرين أساسيين: أولهما، البحث عن مصدر دخل إضافي للاقتصاد العراقي يقلل من اعتماديته الشديدة على النفط، ويسمح بخلق فرص عمل وتنشيط الاقتصاد الداخلي

والثاني، تعزيز الدور الجيو-اقتصادي (Geo-Economic) للعراق، عبر استثمار موقعه الجغرافي بوصفه منطقة ربط بين الخليج وآسيا وأوروبا لتحقيق عوائد سياسية واقتصادية تُعزز مكانته الإقليمية، وهنا تكمن جاذبية المشروع، باعتباره يقوم على فرضية إنتاج العائد الاقتصادي عبر الاستثمار في الموقع الجغرافي

خارطة (1)

مسارات مشروع طريق التنمية العراقي

وفي ضوء ما تقدم، فسر بعض المختصين في الدراسات الاستراتيجية أن مشروع «طريق التنمية العراقي» جاء مكملاً لمشروع «الشام الجديد» ((New Levantبحيث يتحول العراق إلى مركز إقليمي في المنطقة، وذلك من خلال انضمام العديد من دول المحيط إلى مشروع «طريق التنمية»، بهدف توسيع مساحات انفتاحه الجيوسياسي من العمق الشرق أوسطي إلى العمق الأوروبي عبر تركيا، على نحو تنطلق معه طرائق التفاعل الدبلوماسي العراقي مع دول جواره الخارجي القريب أو البعيد، بأدواتها غير التقليدية

المحور الثاني

المدلولات الجيوسياسية في تطوير فرص الجذب للدبلوماسية العراقية

مما لا شك فيه أن صانع القرار العراقي بدأ يدرك طبيعة التطورات التي تشهدها بيئة تفاعلاته الإقليمية والدولية، وأصبح يعتبر أن تطوير قدراته في مجالات البنى التحتية المختلفة وتحديثها حسب الامكانات المتاحة، تمكنه من تعزيز فاعليته الجيوسياسية في مدخلات مشاريعه الاستراتيجية عامة، وعلى نحو الخصوص مشروع طريق التنمية، من أجل اجتذاب أكبر قدر ممكن من المكاسب الاقتصادية من خلال تحقيق التبادل التجاري، فضلاً عن ذلك رفع من مستوى أدائه الدبلوماسي وتجاوز تأثيراته خريطة فضاءاته المحيطة ونطاق تعاونه الإقليمي

أولا: التحول بقدرات البنى التحتية للجغرافية الأرضية ومجالاتها

تاريخياً تنشأ التغيرات في بعض الفضاءات الجغرافية الحيوية لمراكز التجارة العالمية في كافة انحاء العالم لأسباب مختلفة، منها أساساً ذات طبيعة تجارية وفي مقدمتها الحفاظ عن الحصص السوقية بالنسبة للمصدرين والدفاع عنها وتعزيزها، وتقليص تكلفة الاستيراد بالنسبة للموردين، من خلال تقليص تكلفة البضاعة المستوردة وتخفيض تكاليف الشحن والنقل، وهناك أسباب أخرى تهدف إلى تعزيز التحالفات في كثير من المجالات، منها الاقتصادية والأمنية والعسكرية، فضلاً عن ذلك حدثت تغيرات مهمة في خريطة الموانئ العالمية وفي أقاليم مختلفة من العالم، ومنها منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، حيث سعت الدول إلى بناء استراتيجيات جديدة للتعامل مع التطورات العالمية في مجال التجارة الدولية (البرية والبحرية) كان التحرك إلى حد كبير خلال السنوات الأخيرة، بدا التحرك بشكل أكبر في تطوير الموانئ وخطوط النقل البري في مختلف انحاء منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

وضمن هذا الإطار، ذكرنا فيما سبق أن الحكومة العراقية كشفت خلال مؤتمر عقد في بغداد يوم 27 أيار / مايس عام 2023، ضم عدد من دول المحيط الجغرافي للعراق (السعودية والكويت والإمارات وقطر والأردن وعمان وإيران وتركيا)، فضلاً عن ممثلين عن «البنك الدولي» (World Bank) و«الاتحاد الأوروبي» (European Union) عن عزمها القيام بإنشاء مشروع استراتيجي وبتكلفة أولية تقدر بـ (17 مليار

دولار) أطلق عليه تسمية مشروع «طريق التنمية»، الذي سيربط منطقة الخليج العربي بجنوب تركيا، وهذا الطريق يتضمن إنشاء مدينة صناعية متكاملة من خلال إعادة توطين الصناعة وإحداث تحول حقيقي في اقتصاد البلاد وتدعيم قدراته الاستراتيجية في الأسواق التجارية الدولية

وبعباره أخرى يشكل المشروع مسلكاً نحو إنشاء ممر تجاري دولي يربط العراق «بالأسواق الأوروبية» (European market) عبر تركيا، مستثمراً الأوضاع التي عكستها الازمات والاضطرابات المستجدة في الجوار الجغرافي لأوروبا وتصاعد احتياجاتها لممرات تجارية جديدة، تحفز العراق على توسيع روابط التعاون الاقتصادي والشراكات الاستراتيجي مع بلدان الفضاءات الجغرافية المتعددة

أضف لما سبق، سيبلغ طول الطريق السريع الذي سيربط بين جنوب العراق والحدود العراقية-التركية 1190 كم، بينما يبلغ طول السكك الحديدية المزمع إنشاؤها ضمن المشروع 1175 كم لتستوعب قطارات فائقة السرعة (300 كم بالساعة للمسافرين، و160 كم بالساعة للبضائع). وستمر خطوط النقل تلك بـ 12 محافظة عراقية تمتد من الجنوب إلى الشمال، مما سيسهم في تعزيز التجارة والاندماج المحليين، وتُقدِّر الحكومة العراقية أنّه سيكون بوسع الطريق نقل 3.5 مليون حاوية محملة بالبضائع (أي ما يعادل 22 مليون طن) سنوياً بحلول عام 2028، على أن تُرفَع الطاقة الاستيعابية تدريجياً لتصل إلى 7.5 مليون حاوية بحلول عام 2038، ويُخطَّط لأن تكون السكك الحديدية ثنائية المسار، بحيث يستوعب كل مسار 80-90 قطاراً يومياً يشتغل معظمها بالكهرباء

وإلى جانب ما تقدم، خصصت الحكومة العراقية جزءاً كبيراً من هذه الدعاية للتحدث عن الفوائد الاقتصادية الضخمة لهذا المشروع في حال تحقيقه، مؤكدة على أنه سيكون نقلة لاقتصاد العراق المعتمد فقط على مبيعات النفط، وسيعزز من الدور الإقليمي والجغرافي للعراق في إعادة تشكيل فضاءات التبادل التجاري

إزاء ذلك، يمكن ملاحظة توجهات الحكومة العراقية نحو تطوير البنى التحتية (Infrastructure) لقطاع النقل السككي والبري، واتخذت خطوات ملحوظة في هذا الصدد لا سيما في ظل توسيع مسارات رقعة المشروع الجيوسياسية، نظر لما يمثله قطاع النقل من أهمية اقتصادية مهمة في جميع بلدان العالم، إذ من خلاله يمكن للأفراد من ممارسة حياتهم، وللشركات من مزاولة نشاطها، وهو ضروري لتحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية، بدون خدمات النقل و»البنية التحتية» كالطرق البرية والبحرية وسكك الحديد والجسور والسيارات والطائرات والسفن، فإن نطاق تطور المجتمع سيكون محدوداً بشكل كبير كما كان قبل الثورة الصناعية الأولى، يتمثل الدور الرئيسي للنقل في توفير أو تحسين الوصول إلى مواقع مختلفة للشركات والأفراد على حد سواء، ولكل من البضائع والتنقلات الشخصية، فبالنسبة لقطاع الأعمال يشمل ذلك الاتصالات بين الشركات وموردیها، وبين الشركات والأعمال التجارية الأخرى، وكذلك بين الشركات وأسواقها مع البلدان المجاورة

وفي سياق مرتبط، كشفت الحكومة العراقية أن «ميناء الفاو الكبير» (أنظر الصورة رقم (1)) المزمع إنشاؤه على الخليج العربي، يعد من أهم المشاريع الاقتصادية، إذ سوف يسهم في تعزيز دوره في حركة التجارة البحرية، إذ يطمح العراق من خلال ادماجه ضمن مشروع «طريق التنمية « إلى تحسين موقعه الجغرافي في الموانئ البحرية ودفع عجلة النمو

الاقتصادي، وبالرجوع إلى بيانات الموانئ العراقية، فإن هذا الميناء عند الانتهاء من إنجاز جميع مراحله، فإن عدد الأرصفة ستكون (92) رصيف تكون بواقع (50) أرصفة حاويات و(20) رصيف للبضائع العامة و(15) رصيف فل Bulk berths)) (لغرض الحمولات غير المعبأة في اكياس كالحنطة والإسمنت وغيرها) وكذلك هنالك (6) أرصفة ستخصص للمشتقات النفطية

بالإضافة إلى ذلك هنالك رصيف «رو-رو» RO-RO berth)) والطاقة الاستيعابية للميناء فهي تكون بواقع (50) مليون طن سنوياً لأرصفة الفل، و(25) مليون طن سنوياً لأرصفة الحاويات، أما أرصفة البضائع العامة، فإن طاقة المناولة المخططة هي (5) مليون طن سنوياً، و (400) ألف سيارة سنوياً لأرصفة الـ «رو-رو RO-RO berth))، بالإضافة إلى (230) ألف برميل يومياً طاقة أرصفة المشتقات النفطية 19، وحسب آخر تصريحات الحكومة العراقية الحالية، فإن قدرة الميناء القصوى المخططة سيتم الوصول إليها في عام (2050) بواقع (25) مليون طن حاوية مكافئة سنوياً و(33) مليون طن للمواد الفل سنوياً

من ناحية أخرى، تقوم الفكرة الأساسية لمشروع «طريق التنمية» على ربط «ميناء الفاو الكبير» بشبكة من الطرق البرية والسكك الحديدية التي تمتد شمالاً على طول الجغرافيا العراقية لتصل إلى نقطة فيشخابور الحدودية مع تركيا، بحيث تكون هذه الشبكة قناةً تمر عبرها السلع والبضائع القادمة من آسيا إلى أوروبا وبالعكس، وعلى أساس أن تركيا ستكون الممر باتجاه أوروبا، وبحسب المسؤولين العراقيين، فإن الطريق سيوفر حوالي 15يوماً من المدة الزمنية لشحن البضائع بين شرق آسيا وشمال أوروبا

صورة (1)

الموقع الجغرافي لميناء الفاو الكبير

وبالإضافة إلى الطرق السريعة والسكك الحديدية، فإن هناك خطة لتنفيذ مشاريع داعمة على طول الطريق في هذه الشبكة، ومثال على ذلك، هناك طريق بري وأنفاق قيد الإنشاء بين ميناء «أم قصر» و«ميناء الفاو الكبير»، بالإضافة إلى ذلك، من المتوقع إنشاء مناطق صناعية جديدة على الطريق وبناء مطار للشحن لزيادة فعالية هذا المشروع

هكذا، يمكن للعراق من خلال مشروعي «ميناء الفاو الكبير» و«طريق التنمية» تعزيز مكانته الجيوسياسية على خريطة التجارة والنقل العالمية، بحيث يصبح العراق مركزاً حيوياً للنقل بين آسيا وأوروبا، بالإضافة إلى استعادة جزء كبير من ثقل بغداد الإقليمي وتعزيز الروابط العراقية العربية، الأمر الذي سيزيد من قدرة بغداد على مواجهة الضغوط الإقليمية من بعد الدول الحريصة على إبقاء العراق ضمن مجال نفوذها

وبالتالي أصبح من الواضح أن العراق من خلال تفاعلاته الدبلوماسية مع سائر الدول يهدف إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الاستراتيجية، منها تعزيز القدرة (Force) التنافسية للصناعات الإنتاجية العراقية في الأسواق الخارجية، فضلاً عن جذب الاستثمارات الأجنبية من خلال تنمية البنى التحتية لمختلف القطاعات الاقتصادية

ثانياً: حوافز الامتدادات الجيوسياسية للدبلوماسية العراقية

ظهرت في التاريخ الحديث الحاجة الى وجود عوامل جذب دبلوماسية تتعلق بتعزيز مصالح الوحدات السياسية من الدول تكون أكثر فاعلية خصوصاً في ظل تطور النظرية السياسية (Political Theory) والدبلوماسية والبيئة الدولية الحاضنة لمثل هذا التطور وتعاظم الآثار السلبية والتكلفة الاقتصادية والخسائر البشرية والتبعات الإنسانية لاستخدام «القوة الصلبة» (Power Hard) كجانب أساسي من الحل الدبلوماسي في رسم السياسات الخارجية

ولذلك يمكننا القول إن العلاقات بين الدول تحددها بوصلة المصالح، وظروف الزمان، وتطورات الأحداث، وطبيعة المتغيرات الثابتة والمتغيرة، ولا تحكمها ذكريات الماضي، إذ أن في السياسة لا توجد خلافات دائمة، ولا صداقات دائمة، وإنما توجد مصالح دائمة، وهذه القاعدة ليست نتاج الوقت الحاضر، بل هي قاعدة قديمة جداً فهمها وعمل بها صناع القرارات السياسية عبر التاريخ، وقد أدركتها بشكل صحيح وبعيد عدد من الدول العربية، لذا استطاعت تحرير نفسها من بعض المصدات، فتقدمت علاقاتها الخارجية بما يعود بالنفع الكبير عليها وعلى شعوبها، واليوم من المفيد إدراكها والعمل بها من قبل العراق وجواره الإقليمي لبدء صفحات جديدة من العلاقات الجيدة والمثمرة فيما بينهم

ومن هنا، إن هذا الإدراك الذي تحدثنا عنه يتحدد بعوامل تسهم في حصول العراق على مكانة (Status) ودور إقليمي استراتيجي يمكن أن تشخص على وفق المرتكزات الجديدة في اتجاه السياسة الخارجية العراقية نحو الانغماس بشكل تفاعلي في قضايا المنطقة والابتعاد عن المواقف غير المحسوبة تجاه تطورات البيئة الإقليمية وتحقيق قدر مقبول من القدرة على العودة إلى الدور المفقود، والعمل على تحييد الخلافات وتضييق فجوة الاختلال البنيوي في التوازنات، بالإضافة إلى الانتقال إلى تفاعلات أخرى تتجاوز البيئة الإقليمية الضيقة لتوسيع مساحة الأداء الدبلوماسي العراقي، وكمثال على ذلك قيامه بمحاولات الوساطة بين أقطاب إقليمية فاعلة وهما كلا من السعودية وإيران، الأمر الذي ساهم في إعادة تموضعه الجغرافي في المنطقة، لا سيما وأن العلاقات العراقية الإقليمية قد شابها الكثير من التوتر والعزلة بسبب السياسات الإقليمية ضد العراق ومحاولات عزلة واضعافه

فضلا عن ذلك، يسعى العراق من خلال طرح مشروع «طريق التنمية» إلى تسخير مجالات الدبلوماسية العراقية في ابتكار الفرص المتاحة وجعلها أكثر فاعلية في التفاعل مع البيئة المحيطة بشكل يحقق أمرين أساسيين: أولهما، البحث عن مصدر دخل إضافي للاقتصاد العراقي يقلل من اعتماديته الشديدة على النفط، ويسمح بخلق فرص عمل وتنشيط الاقتصاد الداخلي

والثاني، تعزيز الدور الجيو-اقتصادي للعراق، عبر استثمار موقعه الجغرافي بوصفه منطقة ربط بين الخليج وآسيا وأوروبا لتحقيق عوائد سياسية

واقتصادية تعزز مكانته الإقليمية، وهنا تكمن جاذبية المشروع، باعتباره يقوم على فرضية إنتاج العائد الاقتصادي عبر الاستثمار في الموقع الجغرافي

كما يرى العديد من المراقبون إن «خط الغاز القطري» من المرجح أن يكون هو المرحلة الأولى، والأكثر أهمية من ناحية توفر الموارد، لمشروع «طريق التنمية» الذي يأمل العراق أن ينجزه لكي يربط موانئ البصرة بميناء جيهان في تركيا عبر بناء خطوط متوازية للنقل البري والسكك الحديد، وخطوط النفط والغاز وهو ما يجعل الطريق مصدراً ضخماً لعائدات «الترانزيت»، كما أنه يوفر الكثير من التكاليف على الناقلات البحرية التي تحتاج إلى المرور عبر قناة السويس، ويكفل إيصال البضائع والصادرات إلى شبكة المواصلات الأوروبية مباشرة، وتسعى قطر لنقل غازها إلى موانئ البصرة عن طريق ناقلاتها الضخمة، ليتم من هناك تحويلها إلى أنابيب الغاز عبر العراق، وتريد الدوحة بذلك أن تتحاشى بناء خط أنابيب بري يمر عبر السعودية قبل أن يتماس مع أنابيب العراق

واتساقاً مع ما تقدم، يمكننا القول أن أهم محفزات الحكومة العراقية لتبني مشروع طريق التنمية تتمثل في ثلاثة دوافع رئيسة

أولاً: اقتصادياً، يستهدف المشروع تنويع الاقتصاد المحلي وتقليل الاعتماد على النفط، وخلق فرص عمل جديدة لتقليل حجم البطالة، خصوصاً في أوساط الشباب، تقدِر الحكومة العراقية عائدات المشروع في حال تنفيذه بأربعة مليارات دولار سنوياً، وهو ما سيوفر دخلاً إضافياً غير نفطي (تعتمد الميزانية الحكومية في العراق على عائدات النفط بنسبة (93%))، وتتجاوز الرؤية الحكومية للمشروع المنفعة الاقتصادية المباشرة إلى اعتباره وسيلة مُجدية لإحداث تنمية اقتصادية شاملة في المحافظات والمناطق التي يمر بها الطريق، عبر ما سيخلقه من فرص وظيفية، ومن مشاريع ثانوية، وإسهام ذلك في تشجيع الهجرة خارج المدن وإنشاء مدن جديدة، وتنشيط القطاع الخاص وتقليل الطلب على التوظيف الحكومي

ثانياً: سياسياً، تسعى الحكومة العراقية إلى جعل المشروع بمثابة علامة خاصة بها تعكس جديتها في تبنّي برنامجاً تنموياً طموحاً والعمل على معالجة الوضع الاقتصادي في البلد، ولأن المشروع طويل الأمد، فإنه يسمح للحكومة بالمطالبة بتفويض أطول وانتظار نتائج مشروعها، وقد ينصب في خدمة أي حملة انتخابية مستقبلية يقرر السوداني خوضها ويعمل من خلالها على تسويق إنجازات محتملة أو طرح وعود جاذبة

ثالثاً: إقليمياً، تحاول الحكومة العراقية الاستفادة من مناخ التهدئة الإقليمية، وبشكل خاص إثر الاتفاق السعودي-الإيراني، من أجل تعزيز دور العراق كحلقة وصل بين الأطراف الإقليمية المختلفة، ونقطة تلاقي بدلاً من أن يكون ساحة صراع

وختاماً، مثلت السياسات العراقية القائمة على وضع نسقها الاستراتيجي بالتركيز على طرحة لمشاريع تنموية على مستوى عال من الأبعاد الجيوسياسية وبنيتها الاقتصادية كما في مشروع «طريق التنمية»، إلى تعظيم الاستثمارات الخارجية لتحقيق أكبر قدر من المكاسب الاقتصادية ومواجهة الصعوبات في أزماته الداخلية، وهنا تتضح في هذا المنحى ضرورة عمل العراق على إعادة اكتشاف البيئة الجديدة في ظل فجوة التفاوت مع بعض دول المنطقة الفاعلة، بما يؤدي إلى نزعة الابتعاد عن الاجهاد في علاقاته الدبلوماسية مع دول المحيط الجغرافي أو الفضاءات

البعيـدة، بالإضافـة الـى ذلـك عـدم الانخـراط في أي نـزاع مـن المحتمـل قـد ينشـئ في هـذا المشـهد الإقليمي والدولي شديد التغير.

المحور الثالث

الدبلوماسية العراقية وقيود التعقيدات الخارجية وتحدياتها

لقـد اتسـم المشـهد السياسـي العراقـي بمجموعـة مـن التحديـات الداخليـة والخارجيـة ومـا تبعهـا مـن امتـدادات كان لها تأثيراتها ضـد فعاليـة مشـروع طريـق التنمية وكبحها، والتـي قـد تتسع في ظل الظروف الآنية التـي يعيشـها الإقليـم، لا سـيما في ظـل ظهـور مشـاريع إقليميـة منافسـة تسـتولد تحديـات بالنسـبة للمشـروع ومحاصرتـه، وهـو مـا يـؤدي إلـى الحـد مـن زخـم وأدوار الدبلوماسـية العراقيـة في فضـاءات القـرب الجغرافيـة ومسـاراتها في السـاحات الجيوسياسـية المتعـددة

أولاً: الممانعات الإقليمية وانعكاساتها الجيوسياسية

حـري بنـا القـول، إن حالـة التعقيـد التـي تشـهدها منطقـة الشـرق الأوسـط وشـمال أفريقيـا تصيغهـا جملـة مـن المتغيـرات الإدراكيـة لطبيعـة المنطقـة ومسـتقبلها، وبالتالـي فالحديـث عـن اضطـراب الإقليـم أو درجـة سـخونة التطـورات وحدتهـا ليـس بالجديـد، ولكـن الجديـد يرتبـط بكثـرة الفاعليـن مـن داخـل الإقليـم، وتغيـر إدراكاتهـم وطموحاتهـم ومصالحهـم وأدواتهـم، ومـن ثـم، علاقاتهـم مـع دول الجـوار والقـوى الدوليـة لتتزايـد وتيـرة التنافـس (Competition) والصـراع (Conflict) علـى النفـوذ والثـروات بـدون التوافـق علـى آليـات لإدارة التنافـس أو التفاعـل بمنهاجيـات الحـد الأدنـى أو القبـول بالأطـر المؤسسـية التـي سـاهمت في توفيـر أطـر التفاعـل المشـترك النوعـي خلال مراحـل تاريخيـة سـابقة

في هـذا السـياق واجهـت الدبلوماسـية العراقيـة بـروز تحديـاً جيوسياسـياً مهمـاً وهـو تنظيـم علاقاتـه الإقليميـة عقـب ظهـور العديـد مـن الطـرق المنافسـة أو المزمـع إنشـاؤها بـديلاً لمشـروع «طريـق التنميـة»، الأمـر الـذي أحـدث تأثيـرات سـلبية علـى العـراق ومصالحـة الاقتصاديـة مـع دول الإقليـم، بالرغـم مـن سـعى إلـى بنـاء علاقـات تسـتند إلـى أسـس موضوعيـة تناسـب إمكاناتـه الذاتيـة أولاً وتسـهم في احتـواء الآثـار السـلبية التـي خلفهـا النظـام البائـد ثانيـاً، هادفـاً مـن أجـل ذلـك إلـى حـل مشـاكله عبـر إنضـاج الفعـل وتمثلـه بالاعتمـاد علـى نشـاطه الدبلوماسـي، وفي هـذا الإطـار يحـاول العـراق ضمـان نجـاح اسـتراتيجيات أهـداف سياسـته الخارجيـة، وهـو مـا يمكـن الاسـتدلال عليـه بالحفـاظ علـى علاقـات تعـاون قائمـة علـى تحقيـق مصالحـة الوطنيـة، بمـا أن الانعزاليـة والتركيـز علـى بنـاء الـذات خيـار مسـتحيل التحقيـق في عالـم أصبحـت فيـه السـيادة المرنـة محـدداً أساسـاً لسياسـة العلاقـات الخارجيـة علـى حـد سـواء، وهـذا الانفتـاح مـن أهـم الثوابـت التـي سـتبنى عليهـا علاقاتـه الدوليـة، الأمـر الـذي يحتـاج العـراق إلـى توظيفـه حتـى لا يكـون مشـدوداً إلـى الماضـي ممـا يجعلـه أكثـر أضيـق مجـالاً في تحقيـق المصالـح وتأخـذ علاقاتـه الدوليـة بعـداً مسـتقبلياً

وعلـى أي حـال أوضحـت حالـة التشـابك بيـن الأطـراف الإقليميـة في سـياق تعدديـة مشـروعاتها الاسـتراتيجية ودلالاتهـا التـي تركـز علـى تنويـع أنمـاط اقتصادياتهـا مـن جهـة، وفعاليـة سـلوكياتها التنافسـية العابـرة للحـدود الوطنيـة مـن جهـة أخـرى، كاشـفة عـن تحـولات في جغرافيـة المنافسـة الإقليميـة المرتبطـة بنماذجهـا مـن

الممرات التجارية، مما يعني إعادة تشكيل خريطة التفاعلات الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، بصورة يمكن أن تؤدي الى مزيد من التوتر والاضطراب الإقليمي

ولعل ظهور مبادرات شراكات بين روسيا وايران التي تستند إلى تشييد خط للسكك الحديدية، والذي سيكون جزءا من «ممر نقل دولي» يربط بين الشمال والجنوب، وينظر إليه كمشروع منافس «لطريق التنمية»، بالإضافة إلى قناة السويس المصرية كمعبر للتجارة العالمية، حيث تقوم فكرة المشروع على الربط بين خط السكك الحديدية الجديدة التي ستصل مدينتي رشت وأستارا الإيرانيتين، كما أن هذا المشروع هو جزء مهم في الممر الدولي الذي يهدف للربط بين الهند وإيران وروسيا وأذربيجان ودول أخرى عن طريق السكك الحديدية والبحر، وبالتالي قد يقلل هذا المشروع من فاعلية مشروع طريق التنمية

ومن جهة أخرى، عند النظر إلى مشاريع إيران للنقل وعلاقاتها الاقتصادية في العراق، ولاسيما في مجال تصديرها للغاز والكهرباء وباقي السلع والبضائع (Goods)، فإن ذلك يتعارض مع مضامين وأهداف مشروع «طرق التنمية»، الذي يعني بالضرورة التحرر من التبعية لإيران اقتصادياً، وبخاصة في موضوع الطاقة الكهربائية والغاز، الأمر الذي قد تتحفَّظ عليه إيران على أقل تقدير، إن لم تعارضه أو تعيق تنفيذه أو عمله، كما أن إيران ترى أن المشروع الأهم هو مشروع الربط السككي الثلاثي (إيران – العراق– سوريا)، وقد جاء على لسان وكيل وزارة النقل الإيراني» أفندي زاده» عند مشاركته في مؤتمر إعلان مشروع طريق التنمية، قائلاً: «إن المشروع الكبير بين العراق وإيران هو ربط مشروع سكك الحديد من الشلامجة إلى البصرة»، وهذا الخط هو امتداد لسكة حديد من «ميناء الخميني»، وبالتالي، فإن المشروع الإيراني الذي تعمل إيران على تنفيذه يتعارض مع مشروع واتجاه طريق التنمية العراقي

وفي ذات السياق؛ تتخوف طهران من أن طريق التنمية سيربط الخليج مباشرة بتركيا متجاوزاً خط النقل الإيراني الذي يربط بين آسيا وتركيا، خاصة مع جهود الغرب لعزل إيران دوليا، كما أن المشروع سيكون له دور مؤثر في تقليل النفوذ الإيراني في العراق، بالإضافة لذلك؛ فإن الممر الاقتصادي بين الهند وأوروبا يمثل طريقاً بديلاً لممر «الشمال الجنوب» (انظر الخارطة رقم (2)) المار عبر إيران وروسيا، وهو ما يعني أن سلاسل التوريد الهندية إلى أوروبا لن تمر عبر إيران كما كان مخططا، بما يمثل خسارة اقتصادية وجيوسياسية لطهران

أضف إلى ما سبق، يبرز مشروع الإمارات الجيوسياسي لإنشاء ممر تجاري بحري –بري (إماراتي هندي- إسرائيلي) والذي سينقل البضائع من شبه القارة الهندية عبر الإمارات وصولاً إلى ميناء حيفا الإسرائيلي على البحر الأبيض المتوسط حيث يعاد شحنها إلى الأسواق الأوروبية (انظر الخارطة رقم (3))، وهناك تصورات لربطه بالسعودية والأردن، خاصة أن الممر المطروح، يحظى بدعم من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وسوف يتجاوز تركيا بالكامل والممر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا سيتكون من خطوط السكك الحديدية والموانئ البحرية (Sea ports) التي تربط الهند وأوروبا عبر الإمارات والسعودية والأردن وإسرائيل، مما يشكل من الناحية الجيوسياسية تهديداً على وجه التحديد لمشروع «طريق التنمية» ويقوض من رقعة نشاطه الاقتصادي

خارطة (2)
ممر العبور الدولي بين الشمال والجنوب

خارطة (3)
مسارات الممر الاقتصادي بين «الهند والإمارات واسرائيل»

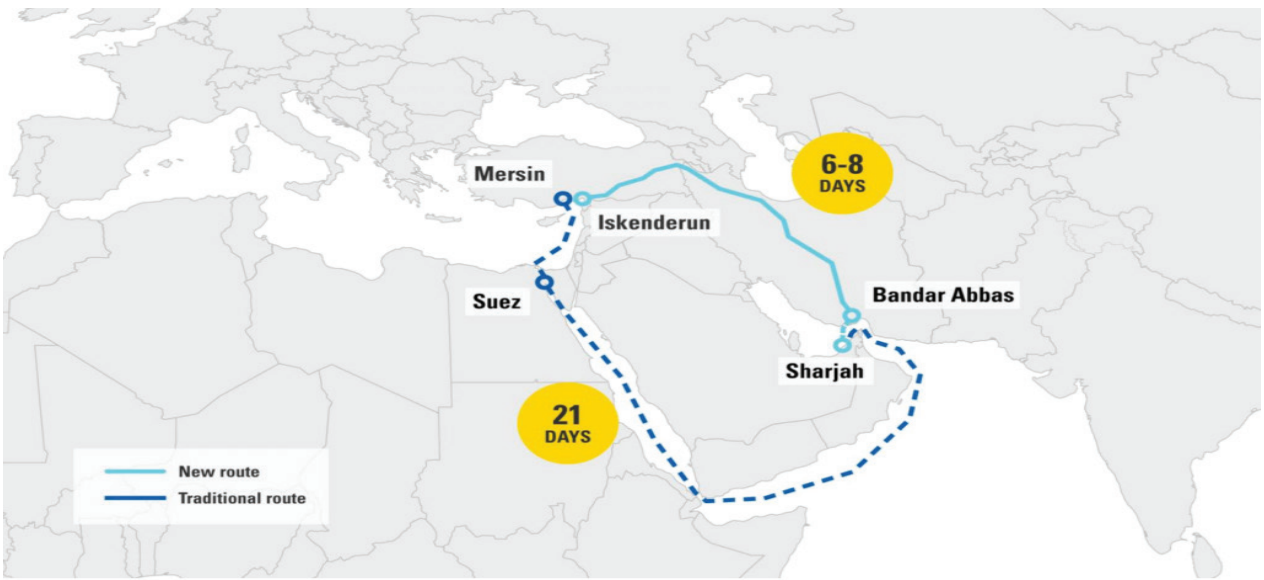

وفي مقابل ذلك، على الرغم من ترحيب تركيا بإعلان المشروع، كونها الدولة التي سيتم ربط الطريق بها لتكون منفذ العراق والدول العربية الشريكة في المشروع إلى الدول الأوروبية والبحر الأبيض المتوسط، بَيْدَ أن لتركيا مطالبها ومشروطيتها السياسية والأمنية والاقتصادية التي تعارض المصالح العراقية في بعض المسارات، سيما في ظل مسعى لزيادة صادراتها إلى العراق، الأمر الذي يتنافى مع ما يهدف إليه العراق من السعي إلى الاستفادة من المشروع لتعزيز وتطوير الصناعة والإنتاج المحلي.

وفي السياق ذاته، يبرز ممر «الشارقة – بندر عباس – مرسين» (أنظر الخارطة رقم (4)) الذي ويوفر مساراً جديداً للشحنات القادمة من شبه الجزيرة العربية والمتجه إلى أوروبا غير المسار التقليدي المار بالبحر الأحمر وقناة السويس؛ حيث تنقل شاحنات البضائع من ميناء الشارقة في الإمارات بحرا إلى ميناء «بندر عباس» في إيران، ثم تأخذ الشاحنات طريقها برياً إلى الحدود التركية ثم تتوجه إلى ميناء «مرسين» ويقدم هذا المسار حلولا أقل تكلفة وأسرع لنقل البضائع بين الخليج العربي والبحر المتوسط، وخلال الأشهر التسعة الأولى لتشغيله (افتتح في تشرين الأول/ أكتوبر عام 2021)، استخدمت أكثر من ألف شاحنة الخط لنقل البضائع بين تركيا والإمارات، كما تستفيد باكستان ودول جنوب آسيا منه لاستقبال ونقل البضائع من وإلى أوروبا، ولا تتوقف الاستفادة الإيرانية من الخط البري على المكاسب الاقتصادية، إذ يساهم الخط الإيراني، ضمن مجموعة من العوامل، في جهود تطبيع علاقات إيران في المنطقة، ويساهم في تعزيز الروابط التجارية بين تركيا والإمارات.

ومن هنا، يلاحظ أن هناك أيضا تحديات مهمة تواجه تنفيذ مشروع «طريق التنمية»، لا سيما بعد دخوله في منافسة مع مشاريع بديلة وما يتبعها من تداعيات تؤثر على عوائد طريق التنمية من الإيرادات في حركة التجارة الدولية (International Trade)، ومن أجل استكمال هذه المبادرات، يحتاج العراق إلى الدعم في مجال الأمن والتمويل ومراجعة السياسات الاقتصادية الخاصة بالاتفاقيات التجارية الإقليمية، وهناك أيضاً حاجة كبيرة للتعاون والاستثمار الدولي للتغلب على هذه العقبات والتي سوع تترك انعكاساتها الكبيرة على مستوى أداء الدبلوماسية العراقية.

خارطة (4)

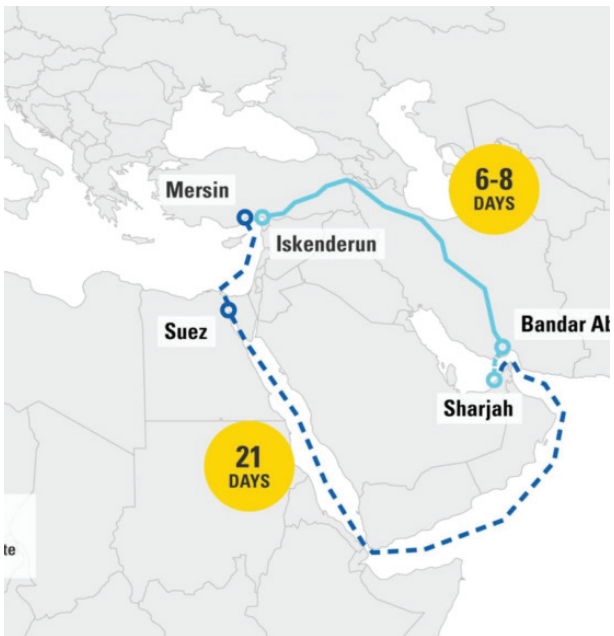

مسارات ممر العبور «الشارقة – بندر عباس – مرسين»

ثانياً: ثنائية مدارك التصور وتأثيراتها في مسارات الدبلوماسية

تفرض حالة التدافع الداخلي بين الأطراف السياسية ذات النهج والميل المختلف في أولويات التوجه العراقي

مع المحيط الإقليمي، تحديات جوهرية عديدة على فاعلية الدبلوماسية العراقية وهوية سياسته الخارجية ومدى مواءمتها لمنظور الحكومة (Government) في اغلب المشروعات الاقتصادية ومنها «طريق التنمية»، وبالتالي تعزز حالة التعارض في الضعف في مسارات حركة العراق الخارجية، فهذا النزعة المغايرة ذات المواقف السياسية للتوجهات الخارجية تجسدها ذهنية تقدمية تتبنى منحى التوجه نحو دول الشرق عبر مقترحاتها بالعمل على إدماج العراق مع محيطة الشرقي من خلال خلق روابط مؤسساتية عبر عقد شراكات استراتيجية تحقيق زيادة في الاعتماد المتبادل، بعيداً عن منطق ضرورات التوزان في علاقات العراق الخارجية.

وعليه، تضع مثل هذا التقاطعات النخبوية عملية تنفيذ مشروع «طريق التنمية» في خطر، لا سيما وان بيئته الداخلية غير مواتية ومحفزة، وبالتالي سوف يفقد مع مرور الوقت قدرته على مواجهة الطرق المنافسة، فضلاً عن ذلك قد يواجه هذا المشروع تحديات وعقبات عدة، منها ما هو نابع من الوضع العراقي بكل ما يحمل من تعقيدات وتأزم، ومنها ما هو نتيجة لمتغيرات الوضع الإقليمي، وما فيه من محفزات وكوامن للتنافس والصراع وتضارب المصالح.

فضلاً عما سبق، تكمن حجم التحديات التي تواجه المشروع في أبعاد المشروع عن الفساد المالي، وسرعة إنجازه بالتزامن مع إنشاء «مشروع الفاو» والاستقرار الأمني، وأثره المباشر في المشروع، والتكاليف المالية وطريقة التمويل وغيرها من التحديات، بالمقابل إن تحديات أمن المنطقة، والتوترات بين الفاعلين في العراق، تعد أبرز التحديات وغيرها من أوضاع مضطربة تشهدها البيئتين الداخلية والخارجية.

وفي السياق ذاته، يمثل تمويل «طريق التنمية» واحدة من اعقد التحديات الاقتصادية التي سيواجهها المشروع خصوصاً مع وجود اقتصاد عراقي ضعيف غير قادر على النمو وأزمة مالية (Financial crisis) سواء على مستوى العجز الكبير في موازنة الثلاث سنوات التي اقرها البرلمان العراقي في عام 2023، وبالتي دفع هذا الواقع المالي بالحكومة لطرحة كمشروع استثماري للدول العربية والإقليمية والغربية أو للمنظمات الدولية المالية بهدف توفير السيولة النقدية له، وهذا من أهم الأسباب التي حفزت العراق لعقد مؤتمر «طريق التنمية»، الذي مثل حضورها رغبة أولية بالدخول كمستثمرين مشاركين، إلا أنه بعد اشهر من عقد المؤتمر لم تعلن وزارة النقل العراقية عن تعاقدات استثمارية مع أي دولة حاضرة أو حتى البنك الدولي إلى الآن، أضف إلى هذا مع تعدد صور الفساد المستشري في العراق سواء كان الفساد السياسي والمالي، يضع علامات استفهام حو قدرة الأجهزة الرقابية على مكافحته وبكل ما يتعلق بتنفيذ هذا المشروع وإمكانية أن يتحول «طريق التنمية» إلى مصدر لتمويل مصالح المتنفذين في السلطة، ورغم حملة رئيس مجلس الوزراء « السوداني» ومن سبقه للقضاء على الفساد إلا أنه مازال هناك من يشكك بقدرة أجهزة الدولة العراقية بعدم كفاءتها وتغلل المصالح الحزبية فيها، مما يؤثر على حماية أموال مشروع بهذا الحجم والإشراف عليه دون التسبب بإهدار أموال طائله.

ومن هنا يمكن القول ان كل هذه المتغيرات سوف تضاعف من اضطرابات الدبلوماسية العراقية وعدم إمكانية الاستفادة من حالة التغيير التي تمر فيها فضاءات منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا باعتبارها مجالاً حيوياً للمصالح العراقية.

تجدر الإشارة إلى أن موقف إقليم كردستان العراق يمثل عاملاً هاماً في ضمان تنفيذ المشروع واستمراره، إذ رفض الإقليم مد شبكة سكك حديدية بمسافة 4 كيلومتر عبر دهوك وصولاً للحدود التركية، لما لها من تداعيات على معبر «إبراهيم الخليل الحدودي» (انظر الخارطة رقم (5))، لأنه البوابة الرئيسية بين إقليم كردستان وتركيا والدول الأوروبية، فضلاً عن أن الطبيعة الجبلية للمنطقة الحدودية بين إقليم كردستان وتركيا تتنافى مع ما يحتاجه مشروع «طريق التنمية» من أراض مستوية لإنشاء خطوط السكك الحديدية، فقد تساهم الطبيعة الجبلية في إطالة أمد المشروع والفترة المحددة لإنجازه وكذلك ترفع الكلف من 17 إلى 20 مليار دولار.

إلى جانب ما تقدم، يلاحظ أن الدبلوماسية العراقية تعاني من مشكلة تداخل الاختصاصات، وعدم تحديد الأولويات ومن ثم تضييق مجالاتها، ويرجع ذلك إلى عملية صنع القرار السياسي العراقي عبر التوافقات بين الأطراف السياسية وليس على أساس فلسفة واضحة تتبناها الدولة، لذلك هناك الكثير من التقاطعات التي قادت إلى مواقف متعارضة لا تسري في فلك مصالح العراق القومية، فقد تتبنى الحكومة ممثلة برئيس مجلس الوزراء موقفاً ما يختلف معه رئيس الجمهورية أو وزير الخارجية، بهذا تضييق المعيارية المرافقة لهندسة سياسته الخارجية، لذا فأن هذا الخلل في الأداء السياسي الداخلي وتضارب المصالح وتعدد مصادر القرار كان له الأثر الواضح في ضعف الأداء وتواضع التأثير في النشاط السياسي الخارجي

خارطة (5)

موقع معبر إبراهيم الخليل الحدودي مع تركيا

وهكذا فعلى صانع القرار العراقي الشروع بممارسات تظهر الارتباط العراقي مع دول المحيط باتجاهاتها المختلفة في ظل وجود العديد من الفاعلين الإقليميين من جهة، ومن ناحية أخرى خلق مساحة من التفاهم مع الأطراف السياسية الداخلية كافة في ظل تفضيلاتها المتضاربة من خلال الاستعانة بفكرة «التضامن» لتحييد الخصومات السياسية وإيجاد تقارباً سياسياً من أجل مواجهة التحديات الخارجية، بحيث تنمحي معه معارضة ممارسات السلوك الخارجي للانفتاح العراقي، ولاستدامة نشاط وحيوية

الدبلوماسية العراقية تجاه بعض قضايا المنطقة في الوقت الراهن

الخاتمة

وفي ضوء ما تقدم يمكننا القول في ظل التطورات التي تشهدها بيئة جغرافية منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا نتيجة للتحولات الجيوسياسية من حيث دلالاتها ومضمونها والتي أفرزت واقعاً جديداً في المنطقة، حيث أصبحت دلالاتها تدفع بالعراق نحو بناء عقيدته الدبلوماسية باتجاه ترسيم هياكل التعاون الإقليمي، ومن هنا توصلت الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات والتوصيات وكالآتي

أولاً: بدأ العراق يدرك طبيعة التغييرات التي يعيشها الإقليم، ويوظفها لصالحة من خلال تغيير سياساته الدبلوماسية بهدف التخلص من أعباء المخاطر والتهديدات الخارجية

ثانياً: أضحت الدبلوماسية العراقية تعبر عن نفسها عبر استكشاف قدرات جديدة من الرهانات الجيوسياسية تتيح له إعادة تعريف عمقه الجغرافي، ودوره الطبيعي عبر بناء علاقات دبلوماسية مع دول المحيط

ثالثاً: إن هذا التحرك الدبلوماسي العراقي يواجه العديد من القيود الإقليمية والداخلية والتي سيكون لها تداعياتها على أرضية التحرك الدبلوماسي العراقي بفعل التطورات التي تشهدها البيئة الاستراتيجية المحيطة بالعراق

رابعاً: تعزز مبادرة طريق التنمية العراقي كمشروع جيوسياسي من مكانة العراق الإقليمية في جغرافية المشاريع الاستراتيجية خلال المرحلة الحالية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

خامساً: إن تحقيق الأهداف الاستراتيجية العراقية على الصعيد الخارجي، تتطلب منه اختيار شخصيات دبلوماسية، تتمتع بالكفاءة والحنكة في مجال العمل الدبلوماسي، يسعى من خلالها لديمومة آليات الترويج لمشروع طريق التنمية العراقي، بالإضافة إلى ذلك توظيف دبلوماسية النخب من الشخصيات الفاعلة في المجالات المعرفية المختلفة، كأحد أدوات السياسة الخارجية العراقية

سادساً: ضرورة إدراك صانع القرار العراقي أن بناء علاقات تعاونية مع محيطة الجغرافي القريب أو البعيد، يتطلب منه تعزيز زخم روح المبادرة في القضايا الإقليمية، وتنمية الفعاليات الدبلوماسية وتوسيعها لتشمل المجالات الثقافية والدينية والمجتمعية والإنسانية، التي تساند أنشطة جذب مصادر التمويل الخارجي للمساهمة في مشروع طريق التنمية العراقي

سابعاً: ضرورة قيام العراق بإبراز رسائل الطمأنينة في خطابة الدبلوماسي التي تعبر عن اهتماماته ببيئة تفاعلاته الجيوسياسية الحيوية، وعزمة في دعم كافة أشكال التنسيق السياسي مع محطيه من أجل تطويق مصادر الخلاف واحتوائه عبر انتهاج مسارات بناء المصالح الاقتصادية المشتركة وتحفيزها

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية والمترجمة

1. -ابراهيم محمد بحر العلوم، العراق واستراتيجيات دول الجوار والعالم: حوارات مع سفراء الدول والنخب العراقية، (بيروت: شركة العارف للأعمال، 2021).
2. -عبد النور بن عنتر، غرب المتوسط مركبا أمنيا: مبادرة 5+5 دفاع وديناميات الأمن والهجرات،

ترجمة: عومرية سلطاني، (قطر: مركز الجزيرة للدراسات، 2023).
3. -عدنان رميض الشحماني، الرولباور الأمريكي في القرن الحادي والعشرين، (بيروت: دار روافد للطباعة والنشر والتوزيع، 2023).
4. -فراس عباس هاشم، علي حسين حميد، ارتدادات الجيوبوليتيكيا: الدلالات النظرية المواجهة لمسارات التأثير الإيراني في الشرق الأوسط، (القاهرة: المكتب العربي للمعارف، 2020).
5. -ممدوح محمود مصطفى، سياسات التحالف الدولي، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1997).
6. -نوار محمد ربيع الخيري، مبادئ الجيوبوليتيك، (بغداد: دار ومكتبة عدنان، 2014).

ثانياً: المجلات والدوريات

1. -علي حسين حميد، فراس عباس هاشم، «العراق وعقدة السوار الجغرافي: مقاربة آدم توز «الأزمة المتعددة» منطلقاً»، مجلة قضايا سياسية، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، العدد (73)، (2022).
2. - علي الجرباوي، ولورد حبش، «النظرية الواقعية في مواجهة أحادية القطبية الدولية»، مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد (38)، (2019).
3. -كاظم هاشم نعمة، «المحور الجيوبوليتيكي العربي - الإسلامي وعملية هيكلة النظام الدولي: نحو مقاربة جديدة»، مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، العدد (43)، (2020).
4. -ماجدة علي صالح، «الدبلوماسية الاقتصادية والفرق بينها وبين المفاهيم المتشابهة»، مجلة الأمن القومي والاستراتيجية، أكاديمية ناصر العسكرية للدراسات العليا، العدد (1)، (2023).
5. -محمد بسيوني عبد الحليم، الاستجابة للازمات من منظور سيكولوجية المرونة، ملحق اتجاهات نظرية، مجلة السياسية الدولية، مؤسسة الأهرام، العدد (230)، (2022).

ثالثاً: التقارير:

1. -ايمن السيد عبد الوهاب، «السياسة الخارجية المصرية في إقليم متغير.. المصالح والتكلفة»، دورية الملف المصري، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد (108)، (2023).
2. -فراس عباس هاشم، الأبعاد الجيوبوليتيكية للتحوط الاستراتيجي في السياسية الخارجية العراقية»، تقدير موقف، مركز رواق بغداد للسياسات العامة، (2023).

رابعاً: الصحف:

1. -»غاز قطر أول المارين إلى أوروبا عبر طريق التنمية في العراق»، صحيفة العرب اللندنية، العدد (12821)، في (2023/7/5).
2. خامساً: المواقع الإليكترونية
3. -محمد عودة الأغا،» الجغرافيا السياسية لإيران وأثرها على طموحها الإقليمي»، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، 3 /6/ 2015، شوهد في 2024/2/10، في: https://democraticac.de/?p=15171
4. -محمود صلاح جاويش،»جيوبولتيك القرن الإفريقي: الأهمية والأبعاد، المعهد المصري للدراسات، 2021/9/8، شوهد في 2024/2/6، في: https:// eipss-eg.org

5. -»النظرية الجيوبوليتيكية»، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2019/6/11، شوهد في 2024/2/12، في: https://www.politics-dz.com
6. -»مشروع طريق التنمية في العراق.. ما له وما عليه»، ترينـدز للبحوث والاستشارات، شوهد في 2024/2/20، في: https://trendsresearch.org/research.php?id=1015&title
7. -من الفاو إلى فيشخابور: الأبعاد الجيوسياسية والاقتصادية لمشروع طريق التنمية العراقي، وفُرص نجاحه»، مركز الإمارات للسياسات، 2 /6/ 2023 شوهد في 2024/2/7، في: https://epc.ae/ar/details/featured/alabaad-aljiusiasiya-walaiqtisadia-limashrue-tari
8. -»هل ستؤثر تغيرات التجارة الدولية الجيوسياسية على موانئ الإمارات»، العين الاخبارية، 2018/10/3، شوهد في 2024/2/3، في: https://al-ain.com/article/emirates-ports
9. -حيدر نعمة بخيت، «طريق التنمية العراقي فرص تنموية واعدة وتحديات كبيرة»، مركز البيان للدراسات والتخطيط، 26/ 6/ 2023، شوهد في 2024/2/12، في: https://www.bayancenter.org
10. -»هل ينافس قناة السويس طريق التنمية مشروع بفوائد كبيرة للاقتصاد العراقي ودعاية سياسية للسوداني»، موقع عربي بوست، 2023/6/28، شوهد في 2024/2/10، في: https://arabicpost.net/%D81%
11. -فيض الله تونا آيگون، «طريق التنمية: رؤية العراق المستقبلية»، مركز دراسات الشرق الأوسط (أورسام)، 2023/9/27، شوهد في 2024/2/15، في: https://www.orsam.org.tr/ar/kalkinma-yolu-iraki
12. -»ممر الهند أوروبا وطريق التنمية... كيف ستغير مشروعات النقل خريطة الشرق الأوسط»، نشرة مآلات، موقع أسباب، العدد (44)، (2023)، النشرة متاحة للتحميل على الرابط: https://www.asbab.com
13. - عمر العبادي، «القوة الناعمة والعلاقات الدولية والدبلوماسية»، مؤسسة الحوار الإنساني، 27 /6/ 2021، شوهد في 2024/2/12، في: https://hdf-iq.org
14. -إحسان الشمري، «تستطيع السعودية قيادة وتحقيق متطلبات العمل المشترك بتجربتها في مجلس التعاون»، موقع مجلة آراء حول الخليج، 2023/4/30، شوهد في 2024/2/20، في: https://araa.sa/index.ph
15. -السيد صباح النور، «علاقات العراق الخارجية ومستقبلها»، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، 6 /6/ 2021، شوهد في 2024/2/15، في: https://democraticac.de/?p=2
16. -»طريق التنمية الجديد في العراق.. ما هو؟ وما مميزاته وتأثيره الإقليمي»، موقع الخليج الجديد، 31 /5/ 2023، شوهد في 2024/2/28، في: https://thenewkhalij.news/article/296100
17. -»طريق التنمية.. تركيا تدفع ببديل للممر التجاري بين الهند وأوروبا»، موقع الخليج الجديد، 17 /9/ 2023، شوهد في 2024/2/28، في: https://thenewkhalij.news/article/303144
18. -فراس حسين علي الصفار، «طريق التنمية الاقتصادي: الفرص والتحديات»، مركز الدراسات

الاستراتيجية، 2023/6/4، شوهد في 2024/2/26، في: https://kerbalacss.uokerbala.edu.iq/wp/blo4

19. -إحسان الشمري، « طريق التنمية بالعراق يواجه تحديات سياسية ومالية وأمنية والقبول الإقليمي والطرق البديلة «، موقع مجلة آراء حول الخليج، 2023/11/29، شوهد في 2024/2/21، في: https://araa.sa/index.php?option=com_content

20. -رحاب الزيادي، خطوات تنموية: تحديات مشروع طريق التنمية بين العراق وتركيا، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية،5 /2023/7، شوهد في2024/2/20، في: https://ecss.com.eg/34997

21. سادساً: المصادر الأجنبية

22. Mike Hayes, «Iraq plans for €15bn-road and rail connection with Europe», Construction Europe,18 July 2023, https://www.constructionbriefing.com/news/iraq-plans-for-15bn-road-and-rail-connection-with-europe/8030333.article

23. Stephan Klingebiel, »GEOPOLITICS, THE-GLOBAL SOUTH AND DEVELOPMENT POLICY», German Institute of Development and Sustainability, https://www.idos-research.de/en/policy-brief/article/geopolitics-the-global-south-and-development-policy.

24. Sinan Mahmoud,»Qatar to invest -$5bn in Iraq projects after Emir›s trip to Baghdad», Jun 15, 2023, https://www.thenationalnews.com/mena/qatars-emir-sheikh-/15/06/iraq/2023/tamim-in-iraq-for-significant-visit/

25. Michaël Tanchum,»The India-Middle - East Food Corridor: How the UAE, Israel, and India are forging a new inter-regional supply chain», Middle East Institute, July 27, 2022, https://www.mei.edu/publications/india-middle-east-food-corridor-how-uae-israel-and-india-are-forging-new-inter.

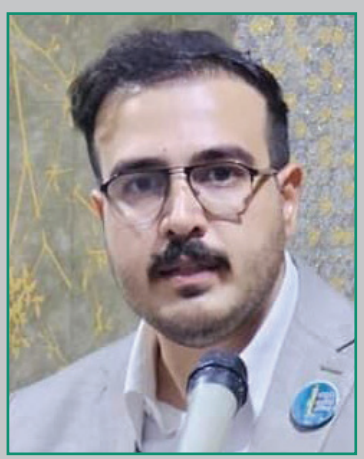

م.م مروان محمد عبود

باحث في العلاقات الدولية

دبلوماسية استرداد الآثار:

نحو نهج جديد في السياسة الخارجية العراقية

الملخص:

تسعى هذه الدراسة الى تقديم فهم جديد حول دبلوماسية استرداد الآثار العراقية، انطلاقاً من الهدف الأساسي للعراق وهو الحفاظ على الممتلكات الثقافية واستردادها لما لها من أهمية بِعدّها ملكاً لجميع افراد الشعب العراقي، كما تعطي هذه الدراسة تصوراً واضحاً للآليات المتبعة في سبيل استرداد الآثار على اختلاف هذه الآليات وتنوعها، مع التركيز بطبيعة الحال على النجاح المتحقق بعد اتباع النهج الدبلوماسي الجديد في السياسة الخارجية العراقية، كذلك تؤكد الدراسة على أهمية التنسيق بين الأجهزة الحكومية المختلفة لاسترداد الآثار مع إعطاء دور اكبر لوزارة الخارجية باعتبارها الجهة صاحبة الاختصاص في المعاملات الخارجية والمسؤولة عن التنسيق مع باقي الحكومات والجهات الرسمية وغير الرسمية في خارج العراق، ما يفسر اهتمام الوزارة بأن تكون هي الراعية الأساس لهذا النهج الدبلوماسي. كما خلصت هذه الدراسة على مجموعة من التوصيات في تفعيل دبلوماسية الاسترداد بشكل أكبر مما هو عليه الآن عن طريق التنسيق بين الوزارات المعنية واعطاء اهتمام اكبر لعمل السفارات العراقية في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: دبلوماسية استرداد الآثار، التعاون الدولي، الممتلكات الثقافية، الآثار العراقية المهربة، السياسة الخارجية العراقية.

المقدمة:

ما تزال ارتدادات الحروب التي تعرّض لها العراق على مدى تأريخه تؤثر على جوانب كثيرة في العراق ومن ضمنها الممتلكات الثقافية العراقية وبالأخص حملات السرقة والنهب، واحتوت حملات السرقة: نهب قطع أثرية ومخطوطات لا تقدر بثمن، تمثل هذه المسروقات التطور الحضاري الذي وصل إليه العراق في العصور السابقة، ولأن هذه الآثار تُعد إرثاً ثميناً وملكاً لجميع افراد الشعب العراقي فقد تبنت الحكومة العراقية خطة جَديّة وواسعة لاستردادها، وفي مقدمة هذه الطرق هي الوسائل الدبلوماسية الفاعلة، والتي تمّ تبنيها وتطبيقها عن طريق وزارة الخارجية العراقية

ومن المعروف أن هذه المسروقات يختلف وضعها القانوني بين عمليات النهب والتنقيب التي بدأت منذ الاحتلال البريطاني في عام (1917) واستمرت بطبيعة الحال في ظل الاحتلال الامريكي بعد عام (2003)، أو عمليات التهريب والتنقيب عن طريق جماعات متخصصة في التهريب، لذلك دأبت الحكومة العراقية الحالية على ايجاد معالجات حقيقية لهذه القضية، وذلك بالاعتماد على نهج دبلوماسي يقوم على استعمال الادوات الدبلوماسية في استرداد الممتلكات الثقافية العراقية، يعكس هذا النهج الأهمية الكبيرة التي يعطيها العراق لاسترداد ما هو حق لجميع افراد الشعب العراقي، وذلك عن طريق المسار الدبلوماسي الذي يجمع بين مستويات مختلفة من التفاوض والتفاهم والمناقشات على اعلى المستويات الدولية وصولاً إلى التعاون مع الاجهزة والمنظمات الدولية التي تعنى باسترداد الآثار، مع التركيز على آليات مختلفة ومتنوعة تتضمن الاتفاقيات والمنظمات الدولية المتخصصة.. الخ.

واسترداد الآثار عن طريق الوسائل الدبلوماسية يَعد عمل مهم في مجال السياسة الخارجية؛ لانه يساعد على تفعيل قنوات الاتصال الثنائية على أعلى المستويات، كما يسهم بشكل مباشر في التعاون في مجالات أخرى تتعلق بمكافحة التهريب والاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية بين أطراف المصلحة في هذا النهج الدبلوماسي الحديث، كما يعطي زخماً للعمل الثقافي الذي يعد أحد ركائز السياسة الخارجية الحديثة.

وتقسم هيكلية هذه الدراسة إلى ثلاث محاور أساسية تغطي جوانب الدراسة المختلفة، المحور الأول يتناول مدخل نحو دبلوماسية استرداد الآثار، أما المحور الثاني فاختص بالآليات الدبلوماسية التي استردت بها الآثار العراقية، والمحور الثالث يتناول فاعلية ونشاط دبلوماسية استرداد الآثار العراقية.

المحور الأول

مدخل نحو دبلوماسية استرداد الآثار

تُعد دبلوماسية استرداد شكلاً جديداً من في السياسية الخارجية، وهي مهمة للدول في سبيل استرداد ما هو حق لها، وتعتمد الدول على النهج الدبلوماسي في سياستها الخارجية اذا ارادت الحفاظ

على مصالحها وتراثها القومي والفكري والحضاري(). وحظيت الممتلكات الثقافية وخصوصاً التراث بما يعنية من أبعاد مادية ومعنوية ووثائقية أهمية كبيرة للدول، لأنه يُعطي تصوراً واضحاً حول ما وصلت إليه الدول من تطور حضاري وفكري، كما تُشكل عنصراً مهماً في بناء الهوية الوطنية للدولة، ويحافظ على التراث الحضاري للأجيال القادمة، التي تكون بحاجة إلى معرفة إرثها الثقافي والحضاري، يضاف الى ذلك إن الممتلكات الثقافية تشكل مظهراً حضارياً لمعرفة إنسان الماضي()، ويقصد بالممتلكات الثقافية: بأنها جميع الممتلكات المنقولة أو الثابتة والتي تتمتع بقيمة بحد ذاتها، وهذه القيمة فنية أو تأريخية أو أثرية، كما تشمل المباني المخصصة لحماية وعرض الممتلكات الثقافية، وأماكن العبادة، والممتلكات الثقافية المتعلقة بالمواقع الطبيعية().

وعلى الرغم من أهمية الممتلكات الثقافية إلا أن العديد من الدول ما زالت تُعاني من عمليات السلب والنهب التي تتعرض لها الممتلكات الثقافية وخصوصاً: الآثار، والمخطوطات، والقطع والمسكوكات النفيسة، لذلك كان على الدول أن تتبع نهجاً دبلوماسياً يتسم بالفاعلية والتأثير، وفي هذا السياق يجب الانتباه إلى أن السياسة الدولية اليوم تتصف اليوم بالتعقد المتزايد(). لذلك أفضل الطرق للتعامل مع هذا الواقع الدولي المعقد هو الاتجاه نحو أدوات الحوكمة الدولية، ومن ضمنها الوسائل الدبلوماسية والتفاوضية التي تضمن لها استرداد ممتلكاتها الثقافية، وتنشط دبلوماسية استرداد الآثار في المناطق

الغنية بالتراث الإنساني ونرى ذلك سواء في العراق أو مصر، ولعل السبب وراء ذلك ان هذه المنطقة بشكل عام كانت مهداً للأديان السماوية من جهة، ومهداً للحضارة من جهة أخرى، يضاف لها التعرض للنزاعات العسكرية الداخلية والخارجية()، بالتالي يدفعها هدا الأمر الى الاهتمام بالوسائل السلمية لاستعادة ممتلكاتها الثقافية وافضل هذه الوسائل هي دبلوماسية الاسترداد

سلطت السنوات الماضية الضوء على حجم الممتلكات الثقافية العراقية التي تم سرقتها وعرضها في متاحف أجنبية أو تداولها عن طريق هواه جمع الآثار والتحف الفنية، وطرحت أهمية استعادتها على الحكومات وتحديداً وزارة الخارجية أن تُشكل نهجاً جديداً لاسترداد الممتلكات الثقافية ويطلق على هذا النهج دبلوماسية استرداد الآثار، ونرى إن هذا المفهوم يتلائم مع مفاهيم أخرى تتعلق بذات الهدف بشكل أو بأخر، ومن ضمنها التعاون الدولي، الذي يُمثل فعلاً مشتركاً بين اشخاص القانون الدولي العام، من أجل تحقيق نتائج للأطراف المعنية في شؤون الحياة الدولية().

كما إن دبلوماسية استرداد الآثار ـ في جوانب عدة منها ـ تمثل أحد أنواع "الدبلوماسية الثقافية" للدول، وهذه الأخيرة- كما يرى الباحثين ـ تمثل وسيلة مهمة لتعريف الأجانب بالبلاد وثقافتها ولغتها وإيجاد صورة إيجابية للبلاد لدى الأجانب، وهي وسيلة مهمة من وسائل السياسة الخارجية()، ويمكن تتبع استرداد الآثار في ما يعرف "بدبلوماسية المتاحف" التي تعد نوعاً من أنواع القوة الناعمة، التي تسعى إلى جمع الآثار والممتلكات الثقافية وعرضها ومن ثمّ تكون أداة مهمة للدولة في مجال الثقافة، وهي في ذات الوقت تكون مبنيه على وجود الآثار والمواد الثقافية التي تمّ سلبها ونهبها من كثير من المجتمعات الأخرى بدون إذنها()، من هنا ندرك ان دبلوماسية استرداد الآثار تمثل نقطة التقاء بين استعمال المواد الثقافية كقوة ناعمة وبين استرداد هذه الممتلكات بوصفها ارثاً وطنياً وحضارياً.

برزت فكرة استرداد الأثر من الناحية التأريخية نتيجة الاهتمام الدولي الذي ظهر منذ القرن السابع عشر لاسترداد الدول لممتلكاتها الثقافية التي تمّ اخراجها بطرق غير شرعية، وتحديداً ظهر هذا الاهتمام بعد معاهدة ويستفاليا لعام (١٦٤٨) لإعادة القطع المنهوبة خلال حرب الثلاثين عام، ثم ما جاء في اتفاقيتي لاهاي لعامي (١٨٩٩) و (١٩٠٧)، والتي اكدت على ذات الأمر، واخيراً معاهدة تريانون لعام (١٩٢٠) بين دولة المجر ودول الحلفاء()، إذ سلمت المجر دول الحلفاء جميع الوثائق والمحفوظات والسجلات والخطط وسندات الملكية والوثائق في الأراضي التي تم التنازل عنها الى دول الحلفاء().

تطورت دبلوماسية استرداد الآثار بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥)، ومن ابرز الاتفاقيات التي ساعدت في تطورها هي اتفاقية لاهاي لعام (١٩٥٤)، وجاءت هذه الاتفاقية كتطور طبيعي بعد عقد اليونسكو لمؤتمرها في عام (١٩٥٢) الذي تدعوا فيه الى حماية الممتلكات الثقافية والفنية()، وقصدت اتفاقية لاهاي لعام (١٩٥٤) بالممتلكات الثقافية كل من الممتلكات العامة والخاصة التي لها قيمة ثقافية وحضارية للشعوب مثل التحف الفنية، والمخطوطات، والكتب، والاماكن الاثرية، والمباني التي تخصص لحماية هذه الممتلكات مثل المتاحف، والمكتبات، والمخازن، وكذلك تشمل مراكز الأبنية التذكارية()، وضعت هذه الاتفاقية اساس مهم لحفظ التراث من النهب والتدمير أثناء النزاعات المسلحة، التي في الغالب

تكـون اثارهـا علـى الممتلـكات الثقافيـة كبيـرة وهنـاك شـواهد عيـان كثيـرة حـول أثـر النزاعـات المسـلحة علـى الممتلـكات الثقافيـة للـدول

استفادت دبلوماسية استرداد الآثار من الصكوك والاتفاقيات الدولية في تعزيز عملها القائم على المطالبة بالآثار المسروقة والمنهوبة، وابرزها اتفاقية اليونسكو لعـام (١٩٧٠) حـول منـع اسـتيراد وتصديـر الممتلـكات الثقافيـة والفنيـة بطـرق غيـر شـرعية، ثـم اتفاقيـة اليونيـدروا بشـأن الممتلـكات الثقافيـة المسـروقة لعـام (١٩٩٥) وبروتوكـول لاهـاي الأول لعـام (١٩٧٧) والثانـي لعـام (١٩٩٩) حـول معالجـة النقـص في اتفاقيـة لاهـاي حول الممتلكات المسروقة والمنهوبة()، إن دبلوماسية استرداد الآثـار تنطلـق مـن حـق أساسـي وهـو إعـادة اسـترداد الممتلـكات الثقافيـة التـي تـم نهبهـا وسـرقتها بوسـائل متنوعـة، وعبـر وسـائل متنوعـة، وفي ضـوء ذلـك يمكـن ان نعطـي تعريفـاً يغطـي جوانـب دبلوماسـية اسـترداد الآثـار بأنهـا جميـع الفعّاليـات والأنشـطة التـي تقـوم بهـا الدولـة مـن أجـل إعـادة ممتلكاتهـا الأثريـة علـى اختـلاف أنواعهـا، وعبـر سلسـلة متنوعـة مـن الطـرق تتـراوح بيـن المطالبـات الدبلوماسـية والضغـط الإعلامـي والمفاوضـات الثنائيـة، واثبـات الملكيـة، وجميـع الطـرق القانونيـة المعتمـدة، وأبـرز الآليـات التـي تسـتعملها دبلوماسـية اسـترداد الآثـار هـي الاتفاقيـات والمعاهـدات الدوليـة، والاتفاقيـات ذات الشـكل المبسـط، وكذلـك المنظمـات الدوليـة المتخصصـة، التعـاون الدبلوماسـي، التحكيـم الدولـي، فـضلاً عـن المؤتمـرات الدوليـة، يضـاف إليهـا النشـاط الخـاص الـذي تقـوم بـه الدولـه علـى مسـتوى وزارة الخارجيـة ووزارة الثقافـة والسـياحة والآثـار وجميـع الأجهـزة الحكوميـة الأخـرى

المحور الثاني

آليات دبلوماسية استرداد الآثار العراقية

تعرضـت الآثـار العراقيـة التـي تعـود إلـى الاف السـنين لعمليـات نهـب متعـددة، وفي حقـب زمنيـة مختلفـة، بـدأت مـع عمليـات التنقيـب والنهـب التـي قـام بهـا الاحـتلال البريطانـي للعـراق بعـد احتلالـه في عـام (١٩١٧)، ثـم بعـد الاحـتلال الأمريكـي في عـام (٢٠٠٣) تعـرض العـراق ايضـاً إلـى عمليـات النهـب التـي قـدرت بـ (١٥,٠٠٠) قطعـة اثريـة نهبـت وسُـرقت مـن قبـل الاحـتلال الأمريكـي، وإلحـاق الضـرر بعـدد مـن المنحوتـات، وسـرقة الأرشـيف اليهـودي فـضلاً عـن "كنـز نمـرود" الـذي يضـم ٦٥٠ قطعـة ذهبيـة()، وبعـد عـام (٢٠١٤) تعرضـت الآثـار العراقيـة الـى عمليـة نهـب وسـرقة مدمـرة لآثـاره مـن قبـل تنظيـم داعـش الإرهابـي، إذ عمـل علـى سـرقة وتهريـب الآثـار العراقيـة ضمـن (٤٥٠٠) موقـع اثـري، اسـتفاد منهـا في التهريـب للحصـول علـى الأمـوال التـي اسـتعملها في نشـاطة الإرهابـي()، كمـا يعانـي العـراق مـن غيـاب الاحصائيـات الدقيقـة التـي تبيـن حجـم الآثـار التـي تـم سـرقتها، ولعـل سـبب ذلـك هـو عمليـات التنقيـب غيـر المشـروعة التـي تتـم في مواقـع أثريـة مختلفـة.

نتيجـة لعمليـات النهـب التـي تعرضـت لهـا الآثـار والممتلـكات الثقافيـة العراقيـة ولأنهـا ملـك لافـراد الشـعب العراقـي عامـة بـدأت الحكومـة العراقيـة بخطـوات جدّيـة لاسـتعادة الآثـار العراقيـة، وإن كانـت هـذه الخطـوات تختلـف مـن حيـث النتائـج المطلوبـة، إذ بـدأت الحكومـة العراقيـة بـاطلاق نهـج دبلوماسـي جديـد لاسـتعادة اثارهـا، وذلـك عـن طريـق وزارة الخارجيـة

بوصفها جهة سيادية تعمل على تعزيز استعادة الآثار عن طريق التعاون الدولي، ووزارة الثقافة والسياحة والآثار بِعدّها الجهة صاحبة الاختصاص والتعاون مع جميع الأجهزة الحكومية الأخرى ذات العلاقة، وتقوم دبلوماسية الاسترداد العراقية على أساس الاستفادة من العلاقات المتميزة التي انشائها العراق بعد عام (٢٠٠٣) مع المجتمع الدولي، وكذلك انضمام العراق الى اللوائح والقوانين والمنظمات المتخصصة التي تهتم في مجال مكافحة تهريب الممتلكات الثقافية التي بضمنها الآثار.

وقد تطّورت دبلوماسية الاسترداد العراقية بشكل كبير عندما صدرت قرارات مجلس الأمن الدولي المتعلقة بالحفاظ على أثار العراق من الاتجار غير المشروع خصوصاً من تنظيم داعش الإرهابي، فقد اعتمد مجلس الأمن القرار رقم (٢١٩٩) في عام (٢٠١٥) الذي يوجه الدول كافة باتخاذ التدابير لمنع التجارة بالآثار العراقية المهربة من قبل التنظيم الإرهابي()، وفي عام (٢٠١٧) اعتمد مجلس الأمن الدولي القرار رقم (٢٣٤٧) التي عدّ خلالها تدمير وتهريب الآثار في ضوء الآثار التي تعرضت لها كل من العراق وسوريا بأنها تهديداً للسلم والأمن الدوليين وان هذا الامر يرتقي الى اعتبارة جريمة حرب()، شكلت هذه القرارات مجتمعة مع اتخاذ الدول حول العالم بناء على توصية مجلس الأمن للحدّ من تهريب ونهب الآثار العراقية سواء عن طريق التشريعات أو التعاون مع الأمم المتحدة دفعة إلى الأمام للدبلوماسية العراقية لاسترداد الآثار.

خلال عام (٢٠٢١) أطلقت وزارة الخارجية العراقية بشكل رسمي مسار دبلوماسية استرداد الآثار، وذلك بمناسبة استعادة العراق إلى قطعة اثرية وهي "لوح حلم كلكامش" خرجت بطريقة غير شرعية من العراق وتم استعادتها بالتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية، ومن أجل تحقيق الاستفادة القصوى من هذا النهج الدبلوماسي الجديد لا بد من الاشارة إلى أبرز الآليات التي استفادت منها دبلوماسية استرداد الآثار العراقية وتعمل على الاستفادة منها لاسترداد الآثار ومنها

أولاً: وجود تشريعات وطنية لحماية الآثار

من أهم التشريعات الوطنية العراقية لحماية الآثار هو القانون رقم (٥٥) لعام (٢٠٠٢)، الذي يهدف الى حماية الآثار كونها أهم الثروات الوطنية()، نظم هذا القانون عمليات التنقيب عن الآثار وما يتصل بها من التوثيق والحماية للآثار وشكل نقطة البدء في توجيه العمل الخارجي لاسترداد الآثار، فضلاً عن اصدار قانون وزارة السياحة والآثار رقم (١٣) لعام (٢٠١٢).

ثانياً: التنظيم والمشاركة في المؤتمرات الدولية

اشتملت أنشطة العراق في دبلوماسية استرداد الآثار العمل الدبلوماسي في المؤتمرات الدولية، وهذا الأسلوب مهم ومتطور؛ بسبب تطور وسائل التواصل السريعة بين الدول، وتشابك المصالح الدولية، وزيادة مجالات التعاون في قضايا متنوعة لا تقتصر على السياسة فقط وانما تضمنت تعاوناً اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً()، ومن تطبيقات هذا النوع هو مشاركة العراق في "منتدى الحضارات العريقة"، ويضم هذا المنتدى عشر دول تمثل حضارت العالم، وعقد المؤتمر الوزاري للمنتدى في نسخته السادسة (٢٠٢٢) في العاصمة بغداد، ويسعى العراق للاستفادة من المسارات الدبلوماسية الجماعية في دعم استرداد الآثار العراقية بالطرق الدبلوماسية فضلاً عن ذلك يسعى العراق على التأكيد في هذا المنتدى على الاستفادة

من التراث الثقافي والحضاري في دعم التعاون الدولي وبناء الشراكات المستدامة.

على المستوى العربي ينخرط العراق ايضاً في المؤتمرات الإقليمية، خصوصاً التي تعقد تحت رعاية جامعة الدول العربية، وابرزها مؤتمر الآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي الذي تنظمه الجامعة منذ (١٩٤٧) ويعقد دوراته كل سنتين منذ (١٩٧١)، الذي يعقد دورياً برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الكسو) ALECSO، وتعد المنظمة جهازاً استشارياً ومرجعياً يتبع للأمانة العامة لجامعة الدول العربية().

تُشكل دبلوماسية المؤتمرات فرصة مهمة للعراق في مجال استرداد الآثار، فهي تعطي فرصة لإعادة الدعم المطلوب دولياً حول المشاركة في عمليات البحث والسيطرة على عمليات التهريب وعقد الاتفاقيات التي تنظم إعادة الآثار إليه، كما تشكل فرصة لاعادة تعريف العالم بالآثار العراقية المسروقة التي تتواجد في مختلف دول العالم، ويسعى العراق ايضاً إلى كسب الخبرات من الدول التي لديها ذات المعضلة والتي تعرضت لعمليات سرقة أو تدمير لممتلكاتها الثقافية.

ثالثاً/ الانضمام الى المنظمات الدولية المتخصصة.

١/ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو).

انشأت منظمة اليونسكو UNESCO في عام (١٩٤٦) ويقع مقرها في باريس، انضم العراق اليها في عام (١٩٤٨). وتعد اليونسكو هي المنظمة الدولية

الأساسية التي لها اهتمام فيما يتعلق بحماية الآثار والممتلكات الثقافية من عمليات النهب والسرقة، ولهذه المنظمة آليات محددة في هذا المجال مثل الاتفاقيات والمعاهدات وهي التالي:

أ/ اتفاقية لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح لعام ١٩٥٤.

أقر المؤتمر العام للمنظمة هذه الاتفاقية في (١٤ أيار ١٩٥٤) وتطبق احكامها في اوقات الحروب ويجوز اتخاذ تدابير الحماية حتى في اوقات السلم()، وتعد هذه الاتفاقية احد المنجزات الهامة للمنظمة في حماية الاعيان الاثرية والاموال في الحروب، وحماية اثار الدول من السرقة والتدمير والتشوية التي تهدف الى طمس حضارات الدول()، وقد انضم العراق الى هذه الاتفاقية في عام (١٤ ايار ١٩٥٤)، وصادق على البروتوكول الثاني للاتفاقية الذي صدر عام (١٩٩٩) المتعلق بحماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح، وقد صادق العراق على البروتوكول بموجب القانون رقم (٢١) لعام (٢٠٢٠)، واستفادت دبلوماسية استرداد الآثار العراقية من هذا البروتوكول لأنه يؤسس مسؤولية جنائية دولية فيما يتعلق بحماية التراث الثقافي()، خصوصاً إن هذا البروتوكول يعطي مبدأ الحماية المعززة للتراث الثقافي التي تكون على درجة عالية من الأهمية للبشرية وعدد كبير من التراث الثقافي العراقي ينطبق عليه هذا الوصف، وهو ما يجب أن تعمل عليه وزارة الثقافة والسياحة والآثار العراقية()، وهو ما يمكن أن يساعد العراق في طلب التعويضات عن الجرائم التي ارتكبت ضد اثارة سواء بعد عام (٢٠٠٣)، او عند دخول تنظيم داعش الإرهابي وتدميرة لعدد كبير من الآثار، خصوصاً فيما يتعلق بالتصدير غير المشروع للمتلكات الثقافية في أراضي تم احتلالها او تدمير هذه الممتلكات().

ب/ اتفاقية اليونسكو بشأن التدابير الواجب اتخاذها لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية لعام ١٩٧٠

هذه الاتفاقية هي أحد الأركان الأساسية في النظام الدولي، حيث أسست لمبدأ مهم وهو التضامن والمسؤولية الجماعية من أجل حماية تراث الشعوب، وتعد أداة قانونية مهمة في مكافحة النهب والاتجار غير المشروع، وساعدت الدول في التصرف في ثقافاتها عن طريق المسؤولية الدولية المشتركة والانصاف الثقافي()، انضم العراق إلى هذه الاتفاقية في عام (١٩٧٣)، وساعد الانضمام المبكر لهذه الاتفاقية في تبني العراق للعديد من التشريعات والقوانين المحلية التي تساعد على مكافحة الاتجار غير المشروع للمتلكات الثقافية، دبلوماسياً يضفي انضمام العراق لهذه الاتفاقية الاستفادة من مبدأ مهم نصت عليه الاتفاقية وهو المسؤولية الدولية المشتركة، وهو ما تستفيد منه دبلوماسية استرداد الآثار العراقية في التضامن الدولي معها.

٢/ منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الانتربول).

تهدف هذه المنظمة الى العمل على تأمين وتنمية التعاون على أوسع نطاق يين مختلف سلطات الشرطة الجنائية، في اطار القوانين النافذة بين مختلف البلدان وفي اطار الوقاية من جرائم القانون العام()، يؤدي الانتربول دوراً هاماً في مكافحة الاتجار غير المشروع للممتلكات الثقافية، وذلك عن طريق النشرات والقوائم بالاعمال الثقافية والفنية المسروقة، او طلب المساعدة من الدول الأعضاء للحصول على المعلومات والمساعدة حول الممتلكات المسروقة().

انضم العراق الى المنظمة منذ (٢٧ أيلول ١٩٦٧) ويعمل العراق على التنسيق مع الانتربول لاستعادة الآثار المهربة خارج العراق، خصوصاً ان الانتربول يملك قاعدة بيانات واسعة بالآثار العراقية المهربة، كما يستعمل العراق جهاز الانتربول في اطار دبلوماسية استرداد الآثار عن طريق الشكاوي التي يقدمها اليه ضد الدول التي للضغط عليها في ملف استرداد الآثار.

٣/ منظمة الجمارك الدولية

تعد منظمة الجمارك الدولية من أهم المنظمات الدولية التي تكافح الجريمة المنظمة دولياً()، وجاء تأسيس هذه المنظمة في عام (١٩٥٠) في بروكسل ودخلت حيز النفاذ في عام (١٩٥٢)، وتملك هذه المنظمة دور هام جداً في مكافحة الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية ومن ضمنها الآثار وتمارس هذه الدور عن طريق ثلاث نشاطات رئيسه وهي نظام مركزي للمعلومات، تثقيف الافراد، صياغة الصكوك القانونية الخاصة بالتعاون الدولي()، كما تحث هذه المنظمة الدول للانضمام والتعاون مع الأمم المتحدة وأجهزتها المتخصصة والانضمام الى الاتفاقيات الدولية خصوصاً اليونسكو، لان الأخيرة لديها دور مهم في اتخاذ التدابير لحظر ومنع واستيراد وتصدير ونقل الملكية غير الشرعية للمتلكات الثقافية()، تساعد هذه المنظمة في دبلوماسية استرداد الآثار عن طريق زيادة التعاون والتنسيق بين الدول الأعضاء والمنظمة. على مستوى العراق قدمت المنظمة مساعدة الى العراق في هذا المجال ابرزها برنامج التدريب لمنع الاتجار غير المشروع بالتراث الثقافي الذي تم تطويرة لموظفي الجمارك العراقية وتبادل المعلومات بين الطرفين()، كما ساعدت المنظمة العراق على استرداد الآثار فقد استرد العراق عن طريقها حوالي (١٤,٠٠٠) قطعة فقط في عام (٢٠١٧) وهو رقم كبير لحجم الآثار المسترد.

رابعاً/ التوقيع على الاتفاقيات الدولية.

تحظى الاتفاقيات الدولية بأهمية خاصة بالنسبة للعراق في اطار دبلوماسية استرداد الآثار، بعضها تمت الإشارة اليه في اطار التنظيم من قبل منظمة (اليونسكو)، والبعض الآخر انضم العراق اليها خارج اطار اليونسكو وأبرزها اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة

تسمى هذه الاتفاقية باسم اتفاقية باليرمو تم اعتمادها في عام (٢٠٠٠) وهي عبارة عن اتفاقية متعددة الأطراف تم رعاية عقدها من قبل الأمم المتحدة، انضم العراق إلى هذه الاتفاقية في (١٧ آذار ٢٠٠٨). كما وقع العراق اتفاقية المعهد الدولي لتوحيد القانون الخاص (اليونيدروا) في شأن الممتلكات الثقافية المسروقة او المصدرة بطرق غير مشروعة لعام (١٩٩٥). التي تسهل عملية استرداد الآثار اذا ما تم اثبات سرقة الآثار أو نهبها والاتجار غير المشروع بها خلال مدة محددة()، وانضم العراق لها في عام (٢٠٢١).

أضف الى هذا ان العراق وقع على اتفاقيات ثنائية دولية في مجال استرداد الآثار مثل اتفاقية التعاون الثقافي بين حكومة جمهورية العراق وحكومة جمهورية أوكرانيا لعام (٢٠١٣)، إذ نصت في المادتين الرابعة والخامسة من الاتفاقية على تبادل المعلومات والخبرات في مجال استرداد الممتلكات الثقافية للبلدين والتعاون في منع التهريب للممتلكات().

خامساً/ الإجراءات التفاوضية

ان المفاوضات الدولية هي إجراءات تهدف بشكل أساسي الى حسم قضية أو مجموعة من

القضايا النزاعية، مع الحفاظ على المصالح المشتركة للأطراف()، وابرز الأنواع التفاوضية هي المفاوضات الدولية المباشرة التي يقوم بها اطراف النزاع بشكل مباشر وبمفردهم()، تحقق الإجراءات التفاوضية فرصة للعراق لاسترداد ممتلكاتة الثقافية ونستدل على ذلك على ابرز الأمثلة التي حدثت وهي المفاوضات التي اجراها العراق مع الجانب الأمريكي خلال عام (٢٠٢١)، من الممكن ان تعزز هذه المفاوضات من كسب مزيد من التأييد الدولي حول ضرورة حماية الممتلكات العراقية وعدم السماح بتداول أثار مسروقة أو منهوبة، والإجراءات التفاوضية التي يقوم بها العراق في مجال استرداد الآثار هي جزء من التعاون الدولي الذي يعتمد عليه في سبيل إعادة حقوقة الثقافية، كما تمّ تعزيز مواقف العراق التفاوضية عن طريق الأدلة والبراهين التي تثبت عائدية كثير من الآثار المهربة خصوصاً التي تم سرقتها من المتاحف العراقية، لأنها تحتوي على ترقيم متحفي خاص بها وصور تثبت عائديتها الى العراق.

المحور الثالث

فاعلية ونشاط دبلوماسية استرداد الآثار العراقية

مع توقيع العراق على عدد من الاتفاقيات والانضمام الى المنظمات الدولية المتخصصة المعنية باسترداد الآثار فإنه حقق تقدم ملحوظ في هذا المجال، ويتم ملاحظة ذلك اذا ما تمّ استعراض حجم الاسترداد بعد تطبيق النهج الدبلوماسي الجديد الذي اشتمل على آليات مختلفة ومتنوعة، وتستند دبلوماسية الاسترداد العراقية للاثار على اتفاقية اليونسكو لعام (١٩٧٠) فطبقـ

لهذه الاتفاقية وتحديداً المادة (٧) يحق للعراق استرداد اثاره بالطرق الدبلوماسية بعد تقديم الأدلة الكافية حول حقيقة ملكيتة، مع تحمل العراق لكافة التكاليف التي سوف توجد لإعادة الآثار()، ويظهرنشاط دبلوماسية الاسترداد خلال أربع سنوات من (٢٠٢١-٢٠٢٤) في الجدول رقم (١) أدناه.

الجدول رقم (١) عدد القطع الاثرية المستردة بين عام (٢٠٢١-٢٠٢٤)

السنة	الجهة المسترد منها	العدد الكلي للقطع المستردة
٢٠٢١	الولايات المتحدة الأمريكية	١٧٣٣١
٢٠٢٢	سويسرا	٦
٢٠٢٢	الولايات المتحدة الأمريكية	٢
٢٠٢٢	المانيا	١٢٥
٢٠٢٢	لبنان	٣٣٧
٢٠٢٢	تركيا	٦
٢٠٢٣	المملكة المتحدة	٦٠٠
٢٠٢٣	إيطاليا	١
٢٠٢٣	هولندا	٧
٢٠٢٣	اليابان	٩
٢٠٢٤	سويسرا	٣
	الإجمالي العام	٢٤٠٠+

الجدول من تصميم الباحث بالاعتماد على مصادر متعددة.

ويُظهر الجدول رقم (١) كيف حققت دبلوماسية الاسترداد التي قامت بها وزارة الخارجية أو الثقافة والسياحة والآثار تقدماً كبيراً، ونجحت وزارة الخارجية العراقية وبعثاتها في الخارج بالتنسيق المستمر مع المتاحف الأجنبية لاسترداد الآثار المهربة والمعارة منذ زمن طويل، على الجانب الآخر هناك دول عديدة لا تتعاون مع العراق في هذا الملف، لذلك قام العراق خلال عام 2022 بتقديم شكوى لدى الانتربول على عدد من الدول من أجل الضغط عليها في موضوع استرداد الآثار العراقية لديها()، كما يُظهر الجدول حجم الآثار الضخمة المستردة من الولايات المتحدة الأمريكية، ويعود سبب ذلك الى نشاط الجيش الأمريكي في العراق بعد احتلاله في عام (٢٠٠٣) إذ عمل على سرقة كميات كبيرة من الآثار العراقية آنذاك، والتي احتاجت إلى جهود كبيرة من وزارة الخارجية لاستردادها.

وبالاستناد إلى التصريحات التي أوردتها وزارة الخارجية العراقية بشأن استرداد اللآثار، يظهر أن العراق استرد (٣٤,٠٠٠) قطعة في المدة ما بين (٢٠١٩-٢٠٢٣)، واذا ما طرحنا منها العدد بعد العام (٢٠٢١) فإن المتبقي حوالي (١٠,٠٠٠) قطعة وهو عدد كبير جداً()، إلا انه وبالعودة الى مدد زمنية أبعد نلاحظ حملات الاسترداد تتوزع في الجدول رقم (٢) أدناه.

جدول رقم (٢) عدد القطع المستردة لاعوام مختلفة

السنة	الجهة المسترد منها	العدد الكلي للقطع المستردة
٢٠٠٨	سوريا	٧٠١
٢٠٠٨	الاردن	٢٥٠٠
٢٠١٠	الولايات المتحدة الأمريكية	٦٣٣
٢٠١٠	الولايات المتحدة الأمريكية	٥٠٠
٢٠١٧	مجموعة من الدول العربية والأوروبية	١٤١
٢٠١٩	المملكة المتحدة	١٥٥

الجدول من تصميم الباحث بالاعتماد على مصادر متعددة.

إن السبب في تباين الاعداد بين الجدولين هو نتيجة تطبيق دبلوماسية استرداد الآثار التي نجحت في حثّ الدول على إعادة الممتلكات الثقافية التي تملكها الى العراق، وقد استعاد العراق في المدة الممتدة بين (٢٠٠٣-٢٠١٢) حوالي (١١٦,٠٠٠) قطعة تشمل قطع مستردة من المواطنين في داخل العراق أو مهربة الى الخارج()، وبالمقارنة بين المنجز خلال تطبيق دبلوماسية استرداد الآثار فإن النسب تبدوا كبيرة جداً وهذا ما دعى الحكومة الى الاهتمام بشكل أكبر بهذا النهج الدبلوماسي. إن دبلوماسية استرداد الآثار عبارة عن مشروع متكامل تقوم وزارة الخارجية بالتنسيق بين مختلف الجهات الحكومية المحلية والأجنبية.

ويكون دور وزارة الخارجية في عملية الاسترداد هو التنسيق والتيسير، فعادة ما تقوم البعثات بملاحظة وجود قطعة اثرية مهربة في الخارج لتخبر عنها هيئة الآثار التي تقوم بالتأكد من عراقية القطعة، بعد ذلك تقوم الوزارة وعن طريق سلسلة المراجع والإجراءات بمفاتحة الدولة التي توجد بها القطعة والتي سوف تقوم حسب قوانينها الداخلية بتسليم القطعة الى السفارة العراقية والتي عن طريق مركز الوزارة تنقلها الى وزارة الثقافة والسياحة والآثار().

يمكن عدّ دبلوماسية استرداد الآثار من أحدث الاستراتيجيات في السياسة الخارجية العراقية، خصوصاً ان هذا النوع من الاستراتيجيات يتطلب إجراءات سياسية ودبلوماسية متقدمة. كما يمكن ان يستعمل هذا النوع في استرداد الأموال العراقية المهربة للخارج، عن طريق مجموعة من الإجراءات القانونية والدبلوماسية والشعبية (حملات التأييد والمناصرة) ()، والتي تحظى بأهمية كبيرة مثل الآثار المهربة والمنهوبة، كما يمكن عدّ دبلوماسية استرداد الآثار جزءاً من التوجه السلمي للعراق بعد عام (٢٠٠٣)، إذ ان ذلك من ضمن الانفتاح الدبلوماسي للعراق مع دول العالم وتحقيق مصالحه بالطرق السلمية()، والعمل على إعادة الحقوق الوطنية لافراد الشعب العراقي، كما تعكس دبلوماسية استرداد الآثار توجهاً جديداً في الاهتمام العراقي بابعاد الثقافة في السياسة الخارجية، خصوصاً إن التراث الثقافي العراقي حافل بالإنجازات والثراء التاريخي الذي يمكن أن يكون أحد مصادر القوة الناعمة التي يعتمد عليها العراق في سياسته الخارجية، خصوصاً إن العراق يحتاج إلى تعبئة كافة الإمكانيات المتاحة، مع التركيز على دور البعثات الدبلوماسية في تنفيذ دبلوماسية الاسترداد.

الخاتمة:

أصبحت دبلوماسية الاسترداد ضرورة ملحة للسياسة الخارجية العراقية، فمن غير المعقول أن يكون بلداً مثل العراق وبتاريخه وحضارته ممتلكاته الثقافية تكون مسروقة ومهربة، ارتبطت دبلوماسية الاسترداد بالهوية العراقية بعد عام (٢٠٠٣) التي تركز على الموروث الثقافي للعراق من أجل تجاوز الاختلافات الاثنية والعرقية، لذلك تم إعطائها الاهتمام الحكومي الكافي، كما صارت دبلوماسية استرداد الآثار احد السمات البارزة للعمل الدبلوماسي العراقي، الذي اصبح يركز بشكل كبير على إعادة الممتلكات الثقافية العراقية.

مما ساعد على نمو وفاعلية دبلوماسية الاسترداد العراقية للاثار هو انضمام العراق لعدد كبير من اللوائح والاتفاقيات القانونية المنظمة في مجال الآثار والممتلكات الثقافية الأخرى، اذ استغل العراق هذا الأمر في تنظيم عمليات المطالبة، يضاف الى ذلك قرارات مجلس الأمن التي جاءت بعد احتلال تنظيم داعش الإرهابي على عدد من الآثار العراقية وتدميرها، بالتالي أصبح الموقف العراقي الدولي مدعوم بشكل كبير.

يمكن تطوير عمل دبلوماسية استرداد الآثار بشكل كبير إذا زادت عمليات التنسيق بين الاجهزك الحكومية، والاهتمام بشكل أكبر بالبعثات الدبلوماسية في البلدان التي يتوقع ان تحتضن عدد كبير من الآثار المهربة، مع محاولة التركيز على تلك الآثار التي تحمل ارقاماً متحفية لان هذا يدين الجهات

التي تحتفظ بها، مع إيلاء الاهتمام على وسائل الضغط خصوصاً للدول التي ترفض التعاون وذلك عن طريق منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الانتربول).

التوصيات:

أولاً/ من أجل زيادة الفاعلية والدعم المحلي تحتاج دبلوماسية استرداد الآثار وعن طريق وزارة الخارجية انشاء مركز خبري لتحديث المعلومات والبيانات حول الآثار المستردة وبشكل دوري.

ثانياً/ العراق بحاجة الى الى الانضمام الى منظمة المجلس الدولي للمتاحف، سوف يساعد وجود العراق في هذه المنظمة أنشطة استرداد الآثار.

ثالثاً/ انشاء قسم للتنسيق بين وزارة الخارجية وباقي الوزارات المعنية يكون معني بدبلوماسية الاسترداد يكون مقرة في وزارة الخارجية، يضم فريق متخصص من الآثاريين والخبراء القانونين من أجل التنسيق ومتابعة الآثار العراقية خصوصاً المتداولة في المزادات.

رابعاً/ إيلاء اهتمام خاص لمتابعة عمل بعض السفارات وتزويدها بالموارد والخبرات اللازمة في الدول التي تحتوي على كمية اثار كبيرة على سبيل المثال سفارات العراق في واشنطن ولندن وباريس

قائمة المصادر والمراجع

المصادر باللغة العربية.

أولاً: الكتب العربية والمترجمة.

1. بلال علي النسور، رضوان محمود المجالي، الوجيز في القانون الدولي الإنساني ما بين الاعتبارات القانونية والسياسية، جوانب نظرية وتطبيقية دراسة في بعض من النماذج الدولية المعاصرة، دار الاكاديميون للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١٣.
2. حسام عبد الامير خلف، نحو قانون دولي للتراث، مكتب الهاشمي للكتاب الجامعي، بغداد، ٢٠١٦.
3. حنان نايف ملاعب، التعاون الدولي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٥.
4. سلوى احمد ميدان المفرجي، الحماية الدولية للممتلكات الثقافية أثناء النزاعات المسلحة دراسة في ضوء احكام الاتفاقيات الدولية، دار الكتب القانونية، القاهرة، ٢٠١١.
5. صباح طلعت قُدرت، الوجيز في الدبلوماسية والبروتوكول، وزارة الخارجية العراقية، بغداد، ٢٠١٣.
6. فاضل زكي محمد، الدبلوماسية في عالم متغير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٢.
7. محمد المجذوب، الوسيط في القانون الدولي العام، ط٧، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٨.
8. محمد حمشي، مدخل إلى نظرية التعقد في العلاقات الدولية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠٢١.
9. محمد سعد أبو عامود، التفاوض الدولي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٠.
10. محمد سمير، الحماية الجنائية للأثار (دراسة تأصيلية تطبيقية مقارنة)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٣.
11. محمود خلف، الدبلوماسية النظرية والممارسة، دار زهران، عمان، ٢٠١٠.

12. وليد محمد رشاد ابراهيم, حماية الآثار وعناصر التراث الثقافي في القانون الدولي الخاص، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٨.

ثانياً: الدراسات والدوريات.

1. حسن جوني، تدمير الاعيان الثقافية او احتلال التاريخ، مجلة الإنساني، العدد (٤٧)، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ٢٠١٠،
2. ريهام محمود زكي السيد، تطور وحماية وحفاظ الممتلكات الثقافية في الاتفاقيات الدولية، دورية كان التاريخية، العدد (٥٦)، السنة الخامسة عشر، ٢٠٢٢.
3. عبدالله علي عبو سلطان، دزوار أحمد بيراميس عمر، دور المنظمات الدولية المتخصصة في مكافحة الجرائم المنظمة المستحدثة، مجلة رسالة الحقوق، العدد (٣)، ٢٠٢٣.
4. فنسان نيجري، اتفاقية ١٩٧٠: التنوع قبل الأوان، ٥٠ سنة من مكافحة الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، باريس، ٢٠٢٠.
5. محمد الحاج حمود، السياسة الخارجية للعراق، مجلة دراسات سياسية واستراتيجية، بيت الحكمة، العدد (٣٧)، ٢٠١٨.
6. محمد حسن خمو، الآليات الدولية لاسترداد الآثار العراقية المسروقة، مجلة الرافدين للحقوق، المجلد (١٩)، العدد (٦٨)، ٢٠١٩.
7. محمد مهدي صالح، مرتضى محمد عوده، استرداد الأموال المهربة، مجلة البحوث النيابية، مجلس النواب العراقي، العدد (٤)، ٢٠٢٢.
8. مروان محمد عبود، تمويل الجماعات الإرهابية تنظيم داعش أنموذجاً، مجلة حمورابي للدراسات، المجلد الأول، العدد (٤٤)، ٢٠٢٢.
9. هدى يونس يحيى، سلطة الإدارة في استرداد الآثار العراقية المهربة، مجلة أبحاث العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد(١)، العدد (٢)، ٢٠٢٣.

ثالثاً: القرارات والقوانين.

1. اتفاقية التعاون الثقافي بين حكومة جمهورية العراق وحكومة جمهورية أوكرانيا لعام ٢٠١٣.
2. اتفاقية المعهد الدولي لتوحيد القانون الخاص (اليونيدروا) بشأن القطع الثقافية المسروقة أو المصدرة بطرق غير مشروعة لعام ١٩٩٥.
3. اتفاقية اليونسكو بشأن التدابير الواجب اتخاذها لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية لعام ١٩٧٠.
4. اتفاقية انشاء مجلس التعاون الجمركي لعام ١٩٥٠.
5. اتفاقية لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح لعام ١٩٥٤.
6. البروتوكول الثاني لاتفاقية لاهاي لعام ١٩٥٤ الخاص بحماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح لعام ١٩٩٩.
7. قانون الآثار والتراث العراقي رقم ٥٥ لعام ٢٠٠٢.
8. القانون الأساسي للمنظمة الدولية للشرطة الجنائية (الانتربول) لعام ١٩٥٦.
9. القرار ٢١٩٩، رقم الجلسة ٧٣٧٩، الصادر في ١٢/ شباط/٢٠١٥، مجلس الأمن الدولي.
10. القرار ٢٣٤٧، رقم الجلسة ٧٩٠٧، الصادر في ٢٤/ أذار/ ٢٠١٧، مجلس الأمن الدولي.

رابعاً: وكالات الانباء .

1. آمنة السلامي، العراق يقدم شكاوى للانتربول ضد دول تعرقل استرداد آثاره، وكالة الانباء العراقية (واع)، ٢٠٢٢/١٠/٣٠، متاح على الرابط: https://www.ina.iq/169056--.html
2. الصحاف: الدبلوماسية نجحت في إعادة اكثر من ٣٤ الف قطعة اثرية منذ ٢٠١٩، وكالة الانباء العراقية (واع)، ٢٠٢٣/٥/٩، متاح على الرابط: https://www.ina.iq/184706--34-2019.html

خامساً: الانترنيت.

1. الآثار والتراث تعلن عن استعادة العراق ١١٦ ألف قطعة أثرية مسروقة، السومرية نيوز، ٢٠١٢/٤/٨، متاح على الرابط: https://www.alsumaria.tv/news/54846/

المصادر باللغة الإنكليزية.

First: Studies and Periodicals.

1. Marta Ryniejska, Cultural Diplomacy as a Form of International Communication, Institute for International Studies The Section of International Communication, 10 January 2010.
2. Sascha Priewe, Museum Diplomacy: Parsing the Global Engagement of Museums, USC Center on Public Diplomacy, August 2021.

Second: Decisions and laws.

1. Treaty of Trianon 1920.

Third: Internet.

1. Iraq Customs gets ready for modernization, World Costume Organization, 27 March 2019, Available in: https://www.wcoomd.org/en/media/newsroom/2019/march/iraq-customs-gets-ready-for-modernization.aspx

الدكتور فريد ياسين:

السفير العراقي الاسبق في واشنطن و باريس،

المبعوث العراقي السابق لشؤون المناخ

في ظل الاثار الخطرة المتنامية للتغير المناخي، وحرص مركز حوار الفكر على متابعة هذه القضية العاجلة، وبعد أن خصص المركز مؤتمره السنوي هذا العام لتناول مشكلة التغير المناخي وآثارها في العراق، نعود في هذا العدد لتناول المشكلة من جانب مهم عبر الحديث مع أحد الذين عملوا لوقت طويل في قضايا التغير المناخي، منذ تسعينات القرن الماضي، وفي مواقع مختلفة، دولية وعراقية، وهو سعادة السفير الدكتور فريد ياسين.

تولى الدكتور فريد ياسين خلال حياته عمليا العديد من المواقع الادارية المهمة، سواء في المنظمات الدولية أو في السلك الدبلوماسي العراقي، وكانت حياته الوظيفية حافلة بالانجازات المتنوعة، إذ انتقل من مجال البحث العلمي في جامعات مرموقة إلى العمل في منظمات بحثية استشارية وأخرى أممية إلى العمل التنفيذي في منظمات الأمم المتحدة، بالإضافة إلى عمل تطوعي كمعارض وكناشط لحقوق الإنسان، حرصت حوار الفكر على اجراء حوار معمق مع سعادة السفير، للنقاش بشأن الشغل الشاغل له وللعالم والعراق في السنوات الاخيرة، وهو التغير المناخي وآثاره الحرجة على العراق

■ حوار الفكر: سعادة السفير، نرحب بحضرتك، وممتنين لتخصيص مساحة من وقتك للحوار، اسمح لي أن اسالك بشكل مباشر، ما هي طبيعة التحديات المناخية التي تواجه العراق؟ بحكم اضطلاعك بمسؤوليات مباشرة وبمختلف المستويات حول الموضوع منذ تسعينات القرن الماضي.

الدكتور فريد ياسين: في الحقيقة ان الحديث عن مشكلة التغير المناخي وآثاره في العراق يتطلب الرجوع الى الوراء قليلا للوقوف على أصل المشكلة، لأن تراكم المشاكل دون حلول يقود الى تعقدها وزيادة آثارها الضارة

يرتبط التغير المناخي بالدرجة الاساس بارتفاع مناسيب ثنائي اوكسيد الكاربون في الجو، والمؤشر الاهم لهذا الارتفاع هو عبر قياس تغير مستوياته عبر الفصول والسنوات، وتمت ملاحظة ان منسوب الغاز يتراكم عبر السنوات، وتزداد كثافته بطريقة متسارعة

هذا الارتفاع اصطلح على تسميته بارتفاع نسبة الغازات الدفيئة في الجو، وما سببه اساساً هو التدخل الإنساني من خلال حرق الوقود الأحفوري، وما يجب الاشارة له هنا ان الغازات الدفيئة ليست عنصرا سيئا في الغلاف الجوي للأرض بحد ذاتها، إذ لولا الغازات الدفيئة لانخفضت حرارة الارض الى (-16) مئوية، وهي درجة لا

تصلح للعيش، ان الغازات الدفيئة في وضعها الطبيعي تحافظ على نسبة الحرارة الصالحة للمعيشة وهي (+16) مئوية، ولكن الخطر يكمن في ارتفاع منسوب الغازات الدفيئة عن الحد الطبيعي وبسبب النشاط الإنساني، وبدا هذا الارتفاع يخل بالتوازن الدقيق في الغلاف الجوي الذي ساد خلال فترات طويلة

■ حوار الفكر: هل ترتفع غازات الدفيئة بمنسوب واحد في مختلف الاقاليم؟

الدكتور فريد ياسين: هذه الغازات تنتشر حول الأرض في الغلاف الجوي لكن هناك تباين بتأثيرات ازديادها بين منطقة واخرى في الارض، فنرى جفاف في منطقة أو فيضانات في أخرى، ومن بين اوائل الذين تنبئوا بأثر ارتفاع غاز ثنائي أوكسيد الكاربون في الغلاف الجوي على ارتفاع درجات الحرارة كان عالم سويدي اسمه (سفانت ارينيوس) نهاية القرن التاسع عشر، وباختصار في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي وصولا الى قمة الارض في ريو 1992 والاتفاقيات الثلاثة (المناخ، التنوع الأحيائي، مكافحة التصحر) التي ترتبت عليها، مما يطول شرحه هنا

ولقد كان العراق ممثلا وقتها في قمة الأرض التي انعقدت في ريو دي جانيرو سنة 1992 و التي افتتحها الامين العام الاسبق للامم المتحدة كوفي عنان، وناب عنه في ادارة اعمالها الدبلوماسي العراقي المرموق عصمت كتاني، وما يذكر هنا ان العراق كان ممثلا بوفد ترأسه طارق عزيز، وكل دول الجوار العراقي وقعت الاتفاقية وقتها باستثناء العراق الذي لم يوقع لسبب لم أتمكن أنا شخصيا ان أتاكد منه

ما سمعته ان الوفد العراقي تحفظ في وقتها عن متابعة أعمال قمة الأرض (والتي أدت إلى ثلاث اتفاقيات دولية مهمة تخص التغير المناخي والتنوع الأحيائي ومكافحة التصحر) تخوفا من ردود الفعل لفعاليات قام بها ناشطي حقوق الإنسان ضد النظام الديكتاتوري في القمة، ويا حبذا إذا قام احد طلاب الدراسات العليا بالتحري عن الموضوع للتأكد من صحة الرواية، لكن ما يمكنني ان أوكده هو ان احد مسؤولي الأمانة العامة لإحدى تلك الاتفاقيات (مكافحة التصحر) وهو جزائري الجنسية كتب إلى وزارة الخارجية مستفسرا عن عدم مشاركة العراق ومؤكدا ان المشاركة ستجلب معونات للعراق ولن تكلفه أي شيء، فحسب ما قال لي مسؤول الملف انذاك والذي رفع الرسالة مع التوصية بالانضمام إلى الوزير الذي اكد عليها ورفعها بدوره للسلطة العليا انذاك ان قرار السلطة العليا نزل عليهم بالخط الأحمر الذي لا يقبل نقاش: لا تصحر في العراق، نتيجة كل ذلك تأخرنا بما يقارب العشرين سنة عن دول جوارنا

■ حوار الفكر: متى انضم العراق للاتفاقية؟

الدكتور فريد ياسين: ادارة الولايات المتحدة الجمهورية سنة 2003 كانت متحفظة على ما يتعلق بشؤون التغير المناخي، لكنها سنة 2003 تحت إشراف الاحتلال أرسلت وفدا من العراق ليشارك في الموتمر السنوي وبعد عودة السلطة للعراق سنة 2004 استمرينا بالمشاركة لكن كمراقبين حيث ترأست الوفد العراقي إلى مؤتمر المناخ سنة 2004، ما سمح لنا بالمضي قدما فيما يخص الانتماء إلى هذه الاتفاقيات هو العهد الدولي مع العراق وهو مشروع اممي اشرف عليه د. برهم صالح نائب رئيس الوزراء انذاك وابراهيم كامبري معاون الأمين العام للأمم المتحدة هدفه إنجاز خطة عمل تطويرية للعراق، طلب السيد عادل عبد المهدي مني التفرغ لهذا المشروع وكنت انذاك منسبا

إلى مكتبه كمستشاره الدبلوماسي فعملت مع زملاء عراقيين وكذلك ممثلين عن الأمم المتحدة والبنك الدولي (اذكر من بينهم بسبب تفانيه معنا في ظروف صعبة جدا السيد سيمون ستولب وهو خبير استرالي وهو مسؤول الآن عن ملف الطاقة في شبه القارة الهندية ويشرف عن موازنه سنوية تفوق عشرة مليار دولار)، وما يحزنني حقا انني كنت عند عملي في الامانة العامة لمنظمة المناخ (1996-1998) متابعاً لوثائق انضمام عدد من الدول العربية كالاردن، دون انضمام بلدي العراق

■ حوار الفكر: تضمنت الاتفاقية استراتيجيتين رئيستين لتدارك التغير المناخي، هل يمكن لكم سعادة السفير التطرق لهاتين الاستراتيجيتين؟ ضمن ملاحظة انضمام العراق المتأخر للاتفاقية.

الدكتور فريد ياسين: على الرغم من الانضمام المتأخر للعراق لاتفاقية المناخ، لكن ليس امامنا سوى

العمل العاجل في إطار الاستراتيجيتين اللتين تضمنتهما الاتفاقية، وهما

أولا: التكيف، تنطلق هذه الاستراتيجية من التسليم بقدوم التغير، والاثار الكارثية المترتبة عليه، مما يعني انه ليس امام الإنسانية سوى التكيف للتغيرات المناخية القادمة والتحضير والعمل الإستباقي للتقليل من الآثار السلبية لهذا التغير المناخي، كما هو الحال في الشأن الإنساني المستمر، التكيف مع الظروف المحيطة به

ثانيا: التخفيف، تهدف الاستراتيجية الى التخفيف من انبعاثات الغازات الدفيئة، عبر إجراءات مختلفة، يتم تطويرها واضافة المزيد لها في قمم المناخ المستمرة، وخلال مؤتمر الأطراف 21 لسنه 2015 تم خلاله اعلان اتفاق باريس والذي يعتبر الدستور لتنفيذ بنود اتفاقية التغيرات المناخية، ويتضمن الاتفاق عدد من البنود تخص التخفيف من الانبعاثات للوصول الى الدرجة ونصف وكذلك التكيف للتغير المناخي القادم والتقليل من اثاره بالإضافة إلى آليات التمويل الدولية وحساب الخسائر والإصرار الناتجة من التغير المناخي وغيرها من المواضيع ذات الصلة

ولنا هنا ان نسأل، من المسؤول عن ارتفاع نسبة غازات الدفيئة؟ كيف وصلنا الى هذه النقطة الحرجة؟

طيب، فيما يخص العراق وحصته من غازات الدفيئة، يذكر ان حصة العراق والدول النفطية مجتمعة لا تقارب حتى حصة العالم الغربي والدول الصناعية الاخرى ومسؤوليتها إتجاه الانبعاثات، تحتل الصين اليوم النسبة الأعلى من الانبعاثات، ولكن هناك معادلة لقياس نسبة الانبعاث على أساس عدد السكان، من المفهوم ان الصين تحتل هذه المرتبة المتقدمة في الانبعاثات، نسبة الى عدد سكانها الكبير، لكن دولة صغيرة مثل قطر تعد الأعلى نسبة في ارتفاع الانبعاثات قياسا بعدد سكانها الضئيل، وفق المعادلة ذاتها تفوق الانبعاثات من سويسرا بعدد سكانها القليل نسبة الولايات المتحدة قياسا بعدد السكان

النقطة الأساس هنا ان الدول المتقدمة وصلت إلى ما وصلت اليه من خلال استخدام الوقود الأحفوري مما ادى إلى كونها تمتلك حصة الأسد في المنسوب التراكمي لغازات الدفيئة، والحوار هنا هو حول حق الدول النامية في التقدم الاقتصادي، الدول النامية ترى ان لها حق في التقدم الاقتصادي ولا ينبغي ان تمنع من استخدام السبل التي استندت عليها الدول الصناعية للتطور (بمعنى الوقود الأحفوري) من دون بديل أو تعويض عادل

على هذا الأساس، فإن مفاوضات التخفيف من إنبعاثات الغازات الدفيئة ينبغي ان تراعي العدالة في هذا الموضوع، على أساس المسؤولية عن الانبعاثات، العراق الذي يطلب منه ان يخفض الانبعاثات عبر سياسات متعددة لابد ان يحصل على تعويض عادل مقابل عرقلة قطاعات متعددة سيؤدي توقفها الى آثار اقتصادية سيئة على العراق، وهو ما ينبغي الالتفات له في هذا المسار

والحقيقة ان هذه الملاحظة المهمة تتناغم مع بنود الاتفاقية الدقيقة، التي احتوت على بند ينظر الى الظروف الخاصة لكل دولة على حدة في تنفيذ متطلبات الاتفاقية، هناك مراعاة للظروف الخاصة للدول التي تواجه التصحر، والدول التي لديها سواحل قد تغمرها المياه نتيجة الاحترار، بشكل عام الدول التي ستتأثر بشكل مباشر بالتغير المناخي وبالاجراءات المتخذة للتكيف والتخفيف، والعراق في طليعتها، إذ يواجه التصحر

من جهة، وخطر ارتفاع مناسيب المياه على مدنه الساحلية من جهة أخرى

يمكن لي القول أن الاتفاقية جيدة، لكن آليات تطبيقها معقدة، بحكم كونها تتخذ القرارات بالاجماع، كما هو الحال في اتفاق باريس للمناخ (الأهداف والاثا)

■ حوار الفكر: ما هي نسبة الحرارة التي يهدف اتفاق باريس الى الحفاظ عليها؟

الدكتور فريد ياسين: تضع الاتفاقية رقما ينبغي ان نكون حذرين تجاهه، هو درجة (1.5) أي ان لا تزيد درجة الحرارة كمعدل عالمي عن واحد ونصف عما سجلت عليه سنة 1880، والخطر في الموضوع فيما يخص العراق أن هنالك تباين كبير عن المعدل حسب الموقع الجغرافي. في ما يخص منطقتنا فان التوقعات تشير الزيادة ستكون أكثر بكثير من درجة ونصف مئوية، إذ أن العالم وصل حاليا الى ارتفاع بدرجة (1.4)، مع ملاحظة ان العراق وصل الى مرحلة مقلقة في ارتفاع درجة الحرارة، التي ارتفعت بشكل خاص بسبب أمور أخرى لها تاثير مباشر على الجو في المنطقة - ولا علاقة لها باستخدام الوقود الأحفوري - أو بسبب انخفاض مناسيب المياه الواردة إلى العراق موخرا، هناك تراكم وتسارع في المشكلة، ونرى ذلك جليا في التصحر وانكماش المناطق الصالحة للزراعة في العراق وهذا شيئ كارثي، ولكي نسيطر عليها ونعدل مسارها فنحن بحاجة الى جهود أكبر، والعمل على أرض الواقع بشكل افضل

■ حوار الفكر: طيب سعادة السفير، بشكل صريح، اين يقف العراق من آثار التغير؟

الدكتور فريد ياسين: فيما يخص العراق، فان الأفق غير مطمئن، هناك دراسات تضم تنبؤات قد تتحقق، بل ان بعضها تحقق بالفعل، هذه الدراسات تميل الى توقع الأسوأ، وفي السياسات العامة نميل الى توقع الخيار الأسوأ لنكون مستعدين لمواجهته وعلاجه، على هذا الأساس كلما مر الوقت دون إجراءات عاجلة فإن هذه التوقعات السيئة قد تتحقق

لاضرب لك مثلا حيا، (الفاتح الطاهر) هو أستاذ المناخ في (MIT) معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، المؤسسة العلمية الأهم عالميا كما هو معروف، سنة 2019 تنبأ الفاتح الطاهر بآثار ظاهرة الدفيئة على حجاج بيت الله الحرام، وبدأت توقعاته تتحقق فعلا، هذا العام سجل عدد كبير من الوفيات بين الحجاج بسبب الاحترار وظاهرة الدفيئة للإحتباس الحراري، ولديه مقال آخر يتناول الزيارة في اربعينية الامام الحسين عليه السلام، وتأثير الاحترار على

الزائرين، وهي لا تقل خطرا عن توقعاته بشأن الحجيج في مكة المكرمة

■ حوار الفكر: كيف تؤثر ظاهرة الدفيئة على جسد الانسان سعادة السفير؟

الدكتور فريد ياسين: هنالك مفهوم مهم يجب تعريفه وهو درجة الحرارة الرطبة، درجة الحرارة الرطبة هي درجة الحرارة التي يمكن أن يصل إليها جسم الإنسان في بيئة معينة من خلال التبريد التبخيري، إنها مقياس لقدرة الجسم على تبريد نفسه من خلال التعرق، إذا كانت درجة الحرارة الرطبة مرتفعة جدًا، فقد يصبح من الصعب على الجسم التبريد بشكل فعال، مما قد يؤدي إلى الإجهاد الحراري أو حتى الموت، يعتبر الحد الأعلى لدرجة الحرارة الرطبة التي يمكن للإنسان تحملها حوالي 35 درجة مئوية، ولكن هذا يمكن أن يختلف من شخص لآخر. و توقعات الباحثين تشير أن درجة الحرارة الرطوبة في المناطق الساحلية في الخليج قد تفوق هذا الحد لفترات قد تتجاوز مئات الساعات سنويا على أفق يقاس بالعقود، بما معناه لن يمكن للشخص أن يتواجد بأمان في مكان مكشوف في تلك المناطق في منتصف النهار لعدة أشهر كل سنة من دون أجهزة وقائية، وهذا طبعا يخص المناطق العراقية القريبة من الخليج ومنها مدينة البصرة

على هذا الأساس بدأت بعض الدول بإتخاذ إجراءات للتكييف مع هذا الوضع، على سبيل المثال السعودية منعت عمال البلديات من العمل بين الساعة11:00 صباحا إلى الساعة 4:00 عصرا أثناء فصل الصيف، والعراق سيتأثر بهذه الدرجة من ارتفاع مناسيب الرطوبة في المناطق التي تشترك مع الدول الخليجية في ذات المناخ وفي مدينة البصرة تحديدا

وفيما يخص البصرة نفسها هنالك دراسات عالمية تشير إلى أن بعض مناطقها ستغطيها مياه الخليج المرتفعة تدريجيا، وضعها وضع مدن ساحلية أو قريبة كالاسكندرية، وشانغهاي ونيو يورك وغيرها

أما المناطق الباقية في العراق مثلا الشمال والشمال الغربي سيكون هناك مناخ جاف، في المناخ الجاف يمكن أن يتحمل الإنسان وصول درجة الحرارة إلى 50 مئوية، ولكن في الوقت ذاته ستعاني هذه المناطق من انخفاض في منسوب الأمطار، على هذا الأساس فإن العراق يواجه استحقاق عاجل من الآن ليتكيف مع هذا التغير، وهذا يعني أننا يجب أن نتخذ إجراءات في بناء المؤسسات طويلة الأمد.،مثلا إذا اردنا بناء مستشفى كبير جديد في البصرة ينبغي أن لا يكون على الشاطئ

ويتخذ التكيف انماطا متعددة، منها على سبيل المثال العمل على إعادة النظر بأساليب البناء والمواد المستخدمه ومراعاة العزل الحراري، والاعتماد على تقنيات حديثة في الزراعة والري وما شابه من الأمور

وينبغي على العراق ان يبذل مجهود علمي قوي لكي يشاطر العالم ويساهم في الدراسات التي تقود المسار في مكافحة التغيرات المناخية من خلال تعزيز مشاركته في النشاطات العلمية

للمؤسسات الدولية المعنية لهذا الموضوع وعلى رأسهاIPCC، وان المشاركة العراقية في نشاطات IPCC تقام حالياً دون المستوى المطلوب وبغياب ممثلين عن المؤسسات الأساسية في هذا العمل، كالمؤسسات الجامعية العراقية

■ حوار الفكر: سعادة السفير، ما دمت تطرقت الى اشتراكنا في الازمة المناخية مع الدول الخليجية، كيف يمكن ان تقيم تجارب هذه الدول وكيف نستفيد منها؟

الدكتور فريد ياسين: قبل ان نذكر هذه التجربة، بعبارة ادق، كيف طورت هذه الدول سياساتها بهذا الشأن، دعني اذكر النقاش الحاد الذي دار حول التكيف في المؤتمر الأخير في دبي للمناخ، في النص النهائي ظهرت فيه فقرة تتحدث عن التخلص من الوقود الأحفوري بشكل نهائي، السعودية اعترضت فتم تغيير الفقرة بحيث اضيفت اليها كلمات تأخذ بالنظر الاحتياجات المشروعة للدول النامية

فيما يخص سؤالك، بطبيعة الحال فيما يخص العراق فقد بدأ بإجراءات التكيف ولكن ببطء، ولكن لو نظرنا إلى التجارب المحيطة بنا فسجد أن السعودية هي البلد العربي المتقدم في هذا المجال، (المغرب كبلد عربي متقدم في مجال المناخ لكن ظروفه تختلف وهو ليس في جوارنا)

في بدايات الحديث عن التغير المناخي وفي القمم الأولى التي عقدت بهذا الشأن، كانت السعودية كبلد نفطي تتوجس خيفة من هذا الحديث، وتتخذ موقف المعارض بشكل مستمر، ولكن مع استمرار تطور الموقف بشأن الاحترار والقوة المتزايدة للأدلة العلمية التي تشير إليه، تطور الموقف السعودي، الى درجة أنه في مؤتمر باريس سنة 2015 لاحظت أن السعودية هي الدولة المفاوضة بإسم المجموعة العربية فيما يخص التغير المناخي وآثاره

دمجت السعودية كل المؤسسات المعنية بالطاقة فيها في وزارة واحدة هي وزارة الطاقة، وبدعم من شركة أرامكو توجهت هذه المؤسسات لمعالجة ما يتعلق بالوقود الاحفوري، والسعودية ـ مثلا ـ توقفت عن حرق الغاز المصاحب لاستخراج النفط منذ سبعينات القرن الماضي، عبر استثمار الغاز المصاحب لتوليد الكهرباء، وتصدير الفائض النفطي المستخدم سابقا في التوليد، مما يعني منفعة مزدوجة، الامر الذي قاد الى توفر فائض كبير في الغاز لدى السعودية، فعملت على فتح باب الاستثمار لإنشاء مدن صناعية أو صناعات تعتمد على الغاز المصاحب، وزودت هذه الاستثمارات بغاز مجاني لعدد معين من السنوات، على هذا الأساس تم إنشاء مدينة ينبع الصناعية، وهناك مشاريع أخرى لاستثمار الكربون نفسه، مثل حقن الكربون بعد تحويله إلى غاز في مكامن إنتاج النفط بدلا عن المياه

أشير هنا الى قياس البصمة الكاربونية للنشاطات الاقتصادية، ووضع ضرائب على هذه البصمة، وضرائب الكربون قد تفرض على الشركات، بعد السماح لها بإنتاج الكاربون إلى حد معين، أي بمعنى أنها تسمح للشركات بحد معين من الانبعاثات، وحين يزيد عن هذا الحد تضاف عليها ضريبة، وهناك أيضا ضرائب على استخدام السيارات، بالمقابل فإن العراق يدعم الوقود والكهرباء، ولا يفرض عليها ضرائب، هذه الضرائب المستوفاة يفترض ان تستخدم ضمن إجراءات التكيف عبر تطوير التكنولوجيا وغيرها، لكن أغلب الدول تضيف هذه الضرائب لموازناتها بما فيها دول الاتحاد الأوروبي

■ حوار الفكر: طيب، أين العراق من هذه الإجراءات سعادة السفير؟

الدكتور فريد ياسين: فيما يخص العراق نحن متأخرون كثيرا، سياساتنا كانت تركز على الآني وليس على المستقبل فالعراق لحد الآن يحرق الغاز، لكن الحمد لله أخيرا اتخذ القرار بأنهاء حرق الغاز على أفق قريب (2028). بعد إنضمامهِ الى مبادرة تصفير حرق الغاز والعهد الدولي الخاص بالميثان، من المؤسف القول أن العراق اهمل 20 عام من العمل في إجراءات

التكيف والتخفيف، ولكن للإنصاف فإن وزارة النفط بدأت بالتفكير بالموضوع بشكل جدي، وهناك خطة أن يتوقف العراق تماما عن حرق الغاز سنة 2028.

■ حوار الفكر: سعادة السفير، هذه المقدمة كلها استبقت لتفسير لماذا استحدث العراق منصب مبعوث المناخ، كيف نجيب على هذا السؤال؟

الدكتور فريد ياسين: في الحقيقة إن التغير المناخي ليست قضية متعلقة بالبيئة وحسب بل هي تخص كل الفعاليات الإنسانية ولا تقف عند وزارة البيئة، إن التغيرات المناخية هي قصة التنمية المستدامة بشكل عام، وأول من تولى هذا المنصب في العراق كان الوكيل جاسم الفلاحي وكان مبعوث المناخ السابق قبل ان يتم تكليفي بالمنصب، والحقيقة ان الفكرة كانت من اقتراحي، لأن سعة القضايا المتعلقة بالتغير كما ذكرت لك تجعل من غير الممكن ان ترتبط بوزارة البيئة فحسب، التغير المناخي قضية تنموية، تتبعها تغيرات سكانية واقتصادية واجتماعية، وتبدلات في أنماط العيش وسواها مما لا يدخل ضمن قدرات او صلاحيات وزارة البيئة بمفردها

على هذا الأساس وجدنا أن المكان الأفضل لكي يرتبط به مبعوث المناخ إما أن يكون في رئاسة مجلس الوزراء، أو في وزارة الخارجية لمنحه القدرة على الاشتراك في كل القطاعات التي ستطالها آثار التغير المناخي، والوصول إلى كل الوزارات المعنية الأخرى دون وجود حساسيات قد يولدها منح المسؤولية الى وزارة بعينها دون أخرى، وأيضا تتوفر المركزية اللازمة لعمل مبعوث المناخ، ولكن يتطلب عمل المبعوث أن يكون ضمن لجنة عليا فعاله تدار من قبل رئاسة الوزراء بحيث تكون لها فعالية وقدرة على اتخاذ القرارات والتنسيق بين مختلف الوزارات

■ حوار الفكر: شكرا جزيلا سعادة السفير لوقتك الثمين، هل يمكن ان ندون كلمة أخيرة، لما تجده تحديات ملحة توجهها كنصيحة لمن خلفك في المسؤولية عقب طلبك انهاء مهمتك.

الدكتور فريد ياسين: الحقيقة أني كما قلت كنت اشعر بالحزن عندما شاركت في قمم المناخ الثانية والثالثة والرابعة كمسؤول في المنظومة الأممية المعنية بترتيب هذه اللقاءات بسبب غياب العراق عنها كليا، لكن الحمد لله الأمر يختلف الآن، يوجد فهم وإدراك شعبي وحكومي واسع عن أهمية هذا الموضوع، ونشير إلى ذلك منها الإستراتيجيات وخطط العمل الوطنية والمشاريع التي تهدف الى تحقيق التنمية المستدامة والعمل المناخي، كذلك الوفد التفاوضي الدائمي والجناح العراقي الذي أقيم في قمة المناخ الثامنة والعشرين في دبي والذي ستعاد إقامته في القمة التاسعة والعشرين هذه السنة في آذربايجان

تقدم حوار الفكر في هذا العدد تغطيتين لندوتين مهمتين عقدتا بشأن العدوان الإسرائيلي على غزة، بطبيعة الحال وردت عبارات وآراء تخالف مسار المجلة، لكن الأمانة العلمية تطلبت ان يتم عرضها كما هي، مع تسجيل الموقف المعترض على هذه الفرضيات وتجنيها على المقاومة.

متابعة: وفاء فوزي حمزة

الندوة الأولى

«التداعيات الاقتصادية الوطنية والإقليمية والعالمية»

21- ديسمبر 2023

- الجهة المنظمة: مركز مالكوم كير- كارنيغي للشرق الأوسط
- ندوة افتراضية
- استكشفت الندوة التأثيرات الاقتصادية الكبيرة للحرب على غزة، وتناولت النقاشات كيفية تدمير الاقتصاد في غزة وتأثير ذلك على الكيان الصهيوني والضفة الغربية والدول المجاورة مثل مصر والأردن، كما تم بحث السيناريوهات الاقتصادية المحتملة إذا تصاعد الصراع على المستوى الإقليمي.

المتحدثون:

- رجاء الخالدي- المدير العام لمعهد السياسات الاقتصادية الفلسطيني.
- تيموثي كاليداس- زميل سياسات في معهد التحرير لسياسات الشرق الأوسط.
- ميسرة الجلسة: حنين السيد، زميلة أولى في مركز كارنيغي للشرق الأوسط.
- المحاور الرئيسية: قدمت النقاشات رؤى حول التحديات الاقتصادية طويلة الأجل للمنطقة، بما في ذلك تدمير البنية التحتية والشلل الاقتصادي في غزة والتأثيرات المزعزعة للاستقرار على اقتصادات الشرق الأوسط.

اهم النقاط التي طُرحت في الندوة:

1- مقدمة حول الصراع في غزة وتداعياته الأوسع

افتتح النقاش بتقديم خلفية حول الصراع الأخير في غزة، مسلطًا الضوء على تأثيراته المتعددة على المستويات الوطنية، الإقليمية، والعالمية، وأشير في الندوة إلى الأطروحة المركزية للنقاش بالتأكيد على أن حرب غزة ليست مجرد نزاع محلي، بل إن لها عواقب اقتصادية بعيدة المدى تؤثر على استقرار الجغرافيا السياسية على مستويات متعددة، تتناول المقدمة السياق التاريخي للصراع في غزة، والأطراف المتورطة، والطبيعة المتكررة للأعمال العدائية في المنطقة.

2- التداعيات الاقتصادية على المستوى الوطني

تم استعراض التأثير الاقتصادي المباشر على الأطراف المعنية، مع التركيز بشكل خاص على الكيان

الصهيوني والأراضي الفلسطينية، تتضمن النقاط التالية أبرز ما تم طرحه

- تدمير البنية التحتية: أسفرت الحرب على غزة عن تدمير واسع للبنية التحتية في غزة، بما في ذلك المباني السكنية، والمؤسسات التجارية، والمرافق العامة الأساسية، أدى هذا الدمار إلى خسائر اقتصادية كبيرة، مما زاد من تفاقم الظروف الاقتصادية المتردية بالفعل في غزة.
- تعطيل التجارة والأعمال: تم عرض تأثير الصراع على طرق التجارة، مما أدى إلى توقف الأنشطة التجارية، لا سيما في القطاعات التي تعتمد على الاستيراد والتصدير، تسبب هذا التعطيل في نقص في السلع الأساسية وارتفاع في الأسعار، مما زاد من العبء الاقتصادي على السكان المحليين.
- التأثير على التوظيف وسبل العيش: ركز جزء كبير من النقاش على فقدان الوظائف وارتفاع معدلات البطالة الناتج عن تدمير الشركات وتوقف الأنشطة الاقتصادية، وأن هذا سيؤدي على الأرجح إلى ركود اقتصادي طويل الأمد وزيادة في معدلات الفقر في المنطقة.

3- التداعيات الاقتصادية الإقليمية

حللت الندوة التداعيات الاوسع على منطقة الشرق الأوسط، وحللت الكيفية التي تؤثر عبرها حرب غزة على الدول المجاورة والتحالفات الإقليمية

- الضغوط الاقتصادية على الدول المجاورة: تعاني دول مثل مصر والأردن، اللتين تشتركان في حدود مع الأراضي المحتلة وغزة، من ضغوط اقتصادية بسبب تدفق اللاجئين، وتعطل التجارة، وارتفاع تكاليف الأمن المرتبطة بإدارة استقرار الحدود.
- اضطرابات سوق الطاقة: احتمال تأثير الصراع على أسواق الطاقة، مع التركيز بشكل خاص على تعرض مسارات إمدادات الطاقة في المنطقة، إن أي اضطراب كبير في إمدادات النفط أو الغاز قد تكون له تأثيرات متتابعة على أسعار الطاقة العالمية، مما يؤثر على الاقتصادات الإقليمية وعالمية.
- التغيرات في التحالفات الإقليمية: أدت الحرب إلى تغيرات في التحالفات الإقليمية، حيث أعادت بعض الدول تقييم علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية بناءً على موقفها من قضية غزة، يمكن أن يكون لهذا التغيير تأثيرات طويلة الأمد على اتفاقيات التجارة الإقليمية والتعاون الاقتصادي.

4- التأثير الاقتصادي العالمي

توسع النقاش ليشمل التداعيات الاقتصادية العالمية لحرب غزة، عبر التأكيد على مدى الترابط في الاقتصاد الحديث وكيف يمكن أن يكون للصراعات الإقليمية عواقب عالمية

- التأثير على الأسواق العالمية: لا يمكن اغفال حساسية الأسواق المالية العالمية تجاه عدم الاستقرار الجيوسياسي، فالصراع أدى إلى زيادة التقلبات في أسواق الأسهم وتقلبات في أسعار السلع، إن حالة عدم اليقين لدى المستثمرين بشأن مدة الصراع واحتمال تصعيده دفعتهم إلى سلوك حذر، مما أثر على ديناميكيات السوق العالمية.

- المساعدات الإنسانية والدعم المالي الدولي: أثار الصراع في غزة استجابة دولية على شكل مساعدات إنسانية ودعم مالي، وناقش المتحدثون كيفية جمع هذه المساعدات، وتأثيرها الاقتصادي المحتمل على الدول المانحة، والتحديات المرتبطة بضمان وصول المساعدات إلى مستحقيها دون أن يتم إساءة استخدامها.
- التداعيات الاقتصادية طويلة الأمد: تناول المتحدثون التداعيات الاقتصادية المحتملة طويلة الأمد للصراع على الاقتصاد العالمي، ويشمل ذلك احتمال استمرار عدم الاستقرار في الشرق الأوسط، مما قد يؤدي إلى تعطيلات مستمرة في التجارة العالمية وإمدادات الطاقة، فضلاً عن زيادة الإنفاق الدفاعي من قبل الدول التي تسعى لحماية مصالحها الاقتصادية في المنطقة.

5- تحليل الاستقرار الاقتصادي الإقليمي

يتعمق النقاش في الاستقرار الاقتصادي الإقليمي الأوسع وكيف تعمل حرب غزة كمحفز للتحديات الاقتصادية في جميع أنحاء الشرق الأوسط، تناول المتحدثون عدة نقاط رئيسية

- التأثير على اقتصادات المنطقة: يزيد الصراع من تفاقم نقاط الضعف الاقتصادية القائمة في دول مثل لبنان، وسوريا، والعراق. هذه الدول، التي تعاني بالفعل من عدم الاستقرار السياسي والتراجع الاقتصادي، تزداد اضطرابًا بسبب التأثيرات غير المباشرة للصراع في غزة، مثل تعطيل طرق التجارة، وزيادة النفقات العسكرية، وعدم اليقين الاقتصادي.
- تدهور قطاع السياحة: أحد القطاعات التي تم تسليط الضوء عليها هو السياحة، والتي شهدت تراجعًا حادًا في المنطقة بسبب الصراع، وضح المتحدثون كيف أن دولاً مثل مصر، والأردن، وتركيا، التي تعتمد بشكل كبير على عائدات السياحة، تشهد تراجعًا كبيرًا حيث يتجنب السياح الدوليون المنطقة بسبب المخاطر المتصورة. هذا الانخفاض في السياحة له تأثير مضاعف على الصناعات المرتبطة بها، بما في ذلك قطاع الفندقة، والنقل، والتجزئة.
- العلاقات الاقتصادية عبر الحدود: أدى الصراع إلى توتر العلاقات الاقتصادية عبر الحدود، خاصة بين الكيان الصهيوني والدول المجاورة لها. أشار المتحدثون إلى كيفية تعرض الاتفاقيات التجارية ومبادرات التعاون الاقتصادي لضغوط، مما يؤدي إلى تباطؤ في جهود التكامل الاقتصادي الإقليمي.

6- التداعيات الجيوسياسية وتأثيرها الاقتصادي

تطرق النقاش إلى التداعيات الجيوسياسية لحرب غزة وكيف تؤثر هذه التداعيات على المشهد الاقتصادي

- تغير التحالفات والعواقب الاقتصادية: أدى الصراع إلى تغيرات في التحالفات داخل منطقة الشرق الأوسط، حيث تعيد الدول تقييم مواقفها وتشكيل تحالفات جديدة، وكيف تؤثر هذه التغيرات الجيوسياسية على السياسات التجارية، والاستثمارات الأجنبية، والشراكات الاقتصادية في المنطقة، مما يعني عرقلة المشاريع الدولية التي أريد لها ان تعيد تخطيط المنقطة، ويوقف بعض الصفقات الكبرى مثل

صفقة القرن، ناهيك عن تبدل توجهات الدول من طرق التجارة والتحالفات الغربية الى تلك الطرق والمشاريع في المعسكر الشرقي المنافس، والداعم للقضايا المحلية.

- دور القوى العالمية: تم استعراض دور القوى العالمية، مثل الولايات المتحدة، وروسيا، والصين، في الشرق الأوسط، ونوقشت الكيفية التي تتبلور بها مصالح هذه القوى الاستراتيجية في المنطقة، وخاصة فيما يتعلق بموارد الطاقة والوجود العسكري، وكيف تؤثر على تعاملاتها الاقتصادية والدبلوماسية، وهذا له تداعيات كبيرة على استقرار المنطقة وآفاق التنمية الاقتصادية، فالتحالفات الاقتصادية وسوق الطاقة يتطلبان استقرارا وتفاهما لتكون طرقهما فعالة وناجحة وذات عوائد كبيرة على التنمية بشكل عام وعلى الاقتصاد بشكل خاص.
- العقوبات الاقتصادية وتأثيرها: جانب آخر مهم تمت مناقشته هو استخدام العقوبات الاقتصادية كأداة للضغط الجيوسياسي، ووضح المتحدثون كيف تؤثر العقوبات المفروضة من قبل دول مختلفة ردًا على الصراع على الصحة الاقتصادية للمنطقة، مما يؤدي إلى مزيد من العزلة والصعوبات الاقتصادية للدول المستهدفة.

7- تعطيل سلاسل التوريد العالمية

تطرق المتحدثون الى الكيفية التي يؤثر عبرها الصراع في غزة على تعطيل سلاسل التوريد الدولية

- سلاسل توريد الطاقة: أكد المتحدثون أهمية الشرق الأوسط في سلاسل توريد الطاقة العالمية، وخاصة فيما يتعلق بالنفط والغاز الطبيعي. لقد زاد الصراع من المخاوف بشأن أمن إمدادات الطاقة، مما أدى إلى تقلبات في أسعار الطاقة العالمية، ونوقشت الكيفية التي يؤثر عبرها عدم اليقين هذا على الأسواق العالمية، خاصة في أوروبا وآسيا، حيث الاعتماد الكبير على الطاقة القادمة من الشرق الأوسط.
- طرق التجارة العالمية: تأثير الصراع على طرق التجارة العالمية الرئيسية، لا سيما تلك التي تمر عبر قناة السويس هي مصدر قلق آخر، إذ يسبب التصعيد المحتمل للنزاع في المنطقة تهديدا لحرية تدفق البضائع عبر هذه الطريق البحري الحيوي، مما يؤدي إلى زيادة تكاليف الشحن وتأخير في سلاسل التوريد العالمية.
- الأمن الغذائي وأسعار السلع: سيؤثر الصراع على الأمن الغذائي العالمي، عبر تأثير الاضطرابات في سلاسل توريد المنتجات الزراعية، وخاصة للسلع الأساسية مثل القمح والحبوب في ارتفاع الأسعار. وهذا الأمر يثير القلق بشكل خاص بالنسبة للدول النامية التي تعتمد بشكل كبير على واردات الغذاء من المنطقة.

8- الأزمة الإنسانية والتنمية الاقتصادية على المدى الطويل

انتقل النقاش إلى الأزمة الإنسانية الناتجة عن الصراع وتداعياتها على التنمية الاقتصادية طويلة الأمد في المنطقة ويتجلى ذلك في

- المساعدات الإنسانية وجهود إعادة الإعمار: هناك دور مهم للمساعدات الإنسانية الدولية في تلبية الاحتياجات العاجلة للسكان المتضررين

في غـزة، ومـع ذلـك، فـإن التحديـات المرتبطـة بتنسـيق وتوصيـل هـذه المسـاعدات بشـكل فعـال لا تـزال حاضـرة، نظـرًا لاسـتمرار النـزاع والتعقيـدات السياسـية.

- التأثيـر الاقتصـادي للنـزوح: أدى الصـراع إلـى نـزوح كبيـر للسـكان، سـواء داخـل غـزة أو في الـدول المجـاورة الـى بـروز تحديـات اقتصاديـة كبيـرة نجمـت عـن هـذا النـزوح، بمـا في ذلـك الضغـط علـى الخدمـات العامـة، وفقـدان سـبل العيـش، والتداعيـات طويلـة الأمـد على الاسـتقرار والتنميـة في المنطقـة.
- آفـاق التعـافي الاقتصـادي: أخيـرًا، تنـاول المتحدثـون آفـاق التعـافي الاقتصـادي في غـزة والمنطقـة الأوسـع، وتطـرق النقـاش إلـى الحاجـة لخطـة إعـادة إعمـار شـاملة لا تعالـج فقـط الاحتياجـات العاجلـة، بـل تضـع أيضًـا الأسـاس للتنميـة الاقتصاديـة المسـتدامة، يتضمـن ذلـك اسـتثمارات في البنيـة التحتيـة، والتعليـم، وخلـق فـرص العمـل، وكذلـك الجهـود لتعزيـز التعـاون الاقتصـادي الإقليمـي.

9- الخاتمة والاعتبارات الاستراتيجية

تختتـم النـدوة بنظـرة اسـتراتيجية شـاملة حـول النتائـج المحتملـة طويلـة الأمـد للصـراع في غـزة، سـواء بالنسـبة للمنطقـة أو للاقتصـاد العالمـي، وشـدد المتحدثـون علـى أهميـة الجهـود الدبلوماسـية الدوليـة لمنـع المزيـد مـن التصعيـد ودعـم التعـافي الاقتصـادي والاسـتقرار في المنطقـة، ووردت النقـاط التاليـة في النقـاش

- الحاجـة إلـى التعـاون الدولـي: دعـا المتحدثون إلى زيـادة التعـاون الدولـي لمعالجة الأسـباب الجذرية للنـزاع ودعـم التنميـة الاقتصاديـة والاجتماعيـة في المنطقـة. يشـمل ذلـك ليـس فقـط المسـاعدات الإنسـانية ولكـن أيضًـا الاسـتثمارات طويلـة الأمـد في البنيـة التحتيـة والتنميـة الاقتصاديـة.
- المخاطـر المسـتقبلية والفـرص: ينتهـي النقـاش بتقييـم للمخاطـر المسـتقبلية، مثـل احتمـال اسـتمرار الصـراع وتدهـور الاقتصـاد بشـكل أكبـر، بالإضافـة إلـى الفـرص للتغييـر الإيجابـي مـن خـلال الجهـود الدبلوماسـية والتعـاون الدولـي.

الندوة الثانية

حرب غزة:

«تداعيات تتجاوز ساحة المعركة»

14 ديسمبر 2023

- الجهة المنظمة: مركز مالكوم كير- كارنيغي للشرق الأوسط
- حلقة نقاش افتراضية
- ناقشت هذه الجلسة الآثار السياسية والاستراتيجية طويلة الأجل لحرب غزة التي تتجاوز المواجهات العسكرية المباشرة، وتناولت تأثير الصراع على السياسة الفلسطينية، والديناميكيات الأمنية الإقليمية، والمشهد الجيوسياسي الأوسع في الشرق الأوسط.

المتحدثون:

- مروان المعشر- نائب رئيس الدراسات في مؤسسة كارنيغي.
- مها يحيى- مديرة مركز مالكوم كير- كارنيغي للشرق الأوسط.
- مهند حاج علي- نائب مدير الأبحاث في مركز مالكوم كير- كارنيغي للشرق الأوسط.
- يزيد صايغ- زميل أول في مركز كارنيغي للشرق الأوسط.
- المحاور الرئيسية: تطرقت النقاشات إلى كيفية تشكيل الحرب للسرديات السياسية في المنطقة، ودور القوى الإقليمية مثل إيران، والسيناريوهات المحتملة للصراعات ا لمستقبلية .

اهم النقاط التي طُرحت في الندوة:

1. الدبلوماسية الدولية والعقوبات الاقتصادية:

التحولات الجيوسياسية والتحالفات: تناقش المتحدثون كيف يؤثر النزاع في غزة على المواقف الدبلوماسية للقوى العالمية المختلفة، فعلى سبيل المثال، أعادت الولايات المتحدة تأكيد دعمها لإسرائيل، مما كان له تأثيرات على علاقاتها مع دول أخرى في الشرق الأوسط، خصوصاً تلك التي تتعاطف مع القضية الفلسطينية، وقد أدى اصطفاف دول مثل إيران وتركيا، اللتين أعربتا عن معارضتهما القوية لإجراءات إسرائيل، إلى زيادة استقطاب المجتمع الدولي، يمكن أن تؤدي هذه التحولات الجيوسياسية إلى إعادة ترتيب التحالفات التجارية والدبلوماسية

العالمية، مما يؤثر على كل شيء من مبيعات الأسلحة إلى الاتفاقيات المتعلقة بالطاقة

العقوبات الاقتصادية: تعد العقوبات الاقتصادية أداة رئيسية يتم مناقشتها من قبل القوى العالمية لممارسة الضغط على الأطراف المشاركة في النزاع، يسلط المتحدثون الضوء على إمكانيات فرض عقوبات تستهدف المؤسسات المالية والصناعية الرئيسية أو حتى أفراد معينين مرتبطين بالنزاع، يمكن أن تؤدي هذه الإجراءات إلى تعطيل تدفقات التجارة الدولية، خاصة إذا استهدفت قطاعات حيوية مثل الطاقة أو الدفاع، كما تضمن النقاش الإشارة إلى أن العقوبات رغم أنها قد تهدف إلى تحقيق حل للنزاع، غالباً ما يكون لها عواقب اقتصادية غير مقصودة، مثل تعميق الأزمات الاقتصادية في المناطق المستهدفة أو التأثير على الأسواق العالمية نتيجة لانقطاع سلاسل التوريد

2. الأسواق المالية العالمية:

مزاج المستثمرين وتقلبات السوق: قدم المتحدثون رؤى حول كيف أدخل النزاع حالة من عدم اليقين المتزايد في الأسواق المالية العالمية، إذ يميل المستثمرون إلى توخي الحذر خلال فترات عدم الاستقرار الجيوسياسي، مما يؤدي إلى تقلبات في السوق، على سبيل المثال، قد تشهد أسواق الأسهم انخفاضات حادة حيث يسحب المستثمرون أموالهم من الأسهم لصالح الأصول الأكثر أماناً مثل الذهب أو السندات الحكومية، أشار المتحدثون أيضاً إلى أن الأسواق الناشئة، خصوصاً تلك القريبة من مناطق النزاع، معرضة لخطر تدفقات رأس المال الخارجة، مما قد يؤدي إلى انخفاض قيمة العملات وارتفاع تكاليف الاقتراض لهذه الدول

تأثير النزاع على أسعار السلع: ناقش المتحدثون أيضاً كيف أثر النزاع على سلع أخرى بخلاف النفط، على سبيل المثال، شهدت أسعار القمح حساسية للنزاع نتيجة المخاوف بشأن تعطل طرق التجارة، وللأمر تأثيرات كبيرة على الدول في شمال أفريقيا والشرق الأوسط التي تعتمد بشكل كبير على واردات القمح. يمكن أن يؤدي ارتفاع أسعار الغذاء المستمر إلى ضغوط تضخمية عالمية، خاصة في المناطق التي تواجه بالفعل صعوبات اقتصادية، كما يمكن أن يؤدي النزاع إلى تعطيل إمدادات سلع رئيسية أخرى، مثل الفوسفات من المغرب، والذي يعتبر حيوياً للزراعة العالمية

3. المساعدات الإنسانية وإعادة الإعمار الاقتصادي:

تحديات تقديم المساعدات الإنسانية: أكد المتحدثون على التحديات اللوجستية والسياسية التي تواجه تقديم المساعدات الإنسانية إلى غزة، فالعمليات العسكرية المستمرة، والحصار، وتدمير البنية التحتية تعقد جهود المنظمات الدولية لتقديم المساعدات الضرورية، بالإضافة إلى ذلك، فإن الوضع السياسي، حيث تسيطر قوى مختلفة على سبل الوصول إلى غزة، يشكل عقبات أمام توزيع المساعدات بشكل فعال، يقترح المتحدثون أنه بدون جهد دولي منسق، قد تتفاقم الأوضاع الإنسانية، مما يؤدي إلى المزيد من المعاناة الاقتصادية طويلة الأمد لسكان المنطقة

إعادة الإعمار الاقتصادي: تعد إعادة بناء اقتصاد غزة مهمة شاقة تتطلب ليس فقط الموارد المالية، ولكن أيضاً الاستقرار السياسي والتعاون الدولي، يشير المتحدثون إلى أن إعادة بناء البنية التحتية ستكون أولوية، ولكن بنفس القدر من الأهمية سيكون إحياء القطاع الخاص، وخلق فرص العمل، واستعادة

الخدمات الأساسية مثل التعليم والرعاية الصحية، ناقش المتحدثون مصادر التمويل المحتملة لجهود إعادة الإعمار، مثل الجهات المانحة الدولية، لكنه يلاحظ أيضاً التحديات في تنسيق هذه الجهود في بيئة سياسية غير مستقرة

4. التوقعات الاقتصادية على المدى الطويل:

الاستقرار الإقليمي وآفاق التعافي: ناقش المتحدثون كيف يمكن أن يكون للنزاع المطول آثار مزمنة على استقرار المنطقة، مما يجعل عملية التعافي الاقتصادي بطيئة وصعبة، فالشرق الأوسط الأوسع، الذي يواجه بالفعل قضايا مثل ارتفاع معدلات البطالة بين الشباب، وعدم الاستقرار السياسي، ونقص التنمية الاقتصادية، قد يرى هذه المشاكل تتفاقم بسبب تداعيات النزاع في غزة، كما أشار المتحدثون إلى أن احتمالية نشوب نزاعات مستقبلية في المنطقة قد تؤدي إلى تقويض جهود التعافي وتساهم في دورة من عدم الاستقرار والانحدار الاقتصادي

التداعيات العالمية والمخاطر: على الصعيد العالمي، يستكشف المتحدثون كيف يمكن أن يؤدي النزاع إلى تحديات اقتصادية أوسع، مثل تعطل التجارة العالمية وزيادة الإنفاق العسكري من قبل دول المنطقة، يمكن أن يكون لهذه العوامل تأثير مثبط على النمو الاقتصادي العالمي، بالإضافة إلى ذلك، يتم تسليط الضوء على إمكانية زيادة الإرهاب، وتدفقات اللاجئين، والاضطرابات الاجتماعية كعواقب محتملة طويلة الأمد يمكن أن تؤثر على الأوضاع الاقتصادية العالمية

5. التداعيات السياسية طويلة الأمد

التحولات الداخلية في السلطة الفلسطينية: أدت الحرب إلى تعزيز قوة حماس سياسياً، حيث تقدم نفسها باعتبارها المدافع الرئيسي عن المقاومة الفلسطينية، وهذا يقلل من مكانة السلطة الفلسطينية وحركة فتح، اللتين يُنظَر إليهما على أنهما غير فعالتين بالمقارنة، ويجعل هذا الانقسام المتزايد جهود المصالحة بين غزة والضفة الغربية أكثر تحدياً ويضعف احتمالات الحكم الفلسطيني الموحد

ارتفاع شعبية حماس: لقد لاقت قدرة حماس على الصمود في وجه القدرات العسكرية الإسرائيلية على الرغم من الخسائر الكبيرة صدى لدى العديد من الفلسطينيين الذين يشعرون بخيبة الأمل إزاء نهج فتح القائم على التفاوض، ورغم أن هذا قد لا يترجم مباشرة إلى تمدد حماس الى الضفة الغربية، فإنه يحول التوازن السياسي لصالح حماس، الأمر الذي يجعل من الصعب على السلطة الفلسطينية الحفاظ على مطالبها بالزعامة دون معالجة المشاعر العامة المتنامية تجاه المقاومة

6.التأثير على الجغرافيا السياسية الإقليمية:

يؤثر الصراع على كيفية ترتيب دول الشرق الأوسط نفسها سياسياً ودبلوماسياً، إن دور مصر كوسيط في وقف إطلاق النار بين حماس وإسرائيل يجعلها لاعباً رئيسياً، لكن مخاوفها الأمنية، وخاصة فيما يتعلق بمنطقة سيناء، تجعل موقفها محفوفاً بالمخاطر

فشل محاولات التطبيع مع إسرائيل: تواجه اتفاقيات إبراهيم، التي أدت إلى تطبيع العلاقات بين إسرائيل وبعض دول الخليج العربية (مثل الإمارات العربية المتحدة والبحرين)، تحديات ترتبت على

الحرب، لقد أعادت الحرب إحياء التضامن مع القضية الفلسطينية في جميع أنحاء العالم العربي، مما أدى إلى تعقيد الحسابات السياسية لتلك الدول

الدور الإيراني المتنامي: لقد دعمت إيران تاريخياً فصائل المقاومة الفلسطينية، بما في ذلك حماس، والحرب تزيد من دور الجمهورية الإسلامية ولا شك

7.ديناميكيات الوكالة والأمن الإقليمي:

إن استهداف إسرائيل لسلاسل الإمداد والبنية التحتية العسكرية الإيرانية في سوريا وخارجها قد يؤدي إلى المزيد من المواجهات، كما تلفت هذه الديناميكية انتباه دول الخليج، التي تنظر إلى إيران كقوة مزعزعة للاستقرار ولكن يجب عليها أن تتعامل بحذر مع شراكاتها الأمنية، وخاصة مع القوى الغربية مثل الولايات المتحدة

التداعيات الدولية: إن التداعيات الأوسع نطاقاً لحرب غزة سوف تجد صدى لها في الدبلوماسية العالمية، وخاصة في كيفية تعامل القوى الكبرى مع الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وفي حين تظل الولايات المتحدة حليفاً قوياً لإسرائيل، فإن الرأي العام المتغير داخل الولايات المتحدة وأوروبا ـ حيث تتزايد الانتقادات للسياسات الإسرائيلية ـ من الممكن أن يؤثر على القرارات الدبلوماسية والعسكرية المتعلقة بالمساعدات في الأمد البعيد ـ وهو من إيجابيات قرار المقاومة (المحرر) ـ

الموقف الأميركي والأوروبي: تواجه كل من الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي تحولات سياسية داخلية قد تغير استراتيجياتها في التعامل مع القضية الفلسطينية، ومع تزايد إصرار الشعوب على دعم الحقوق الفلسطينية، فقد تحتاج الحكومات إلى إعادة ضبط سياساتها الخارجية، وقد يشمل هذا الدفع بقوة أكبر نحو حل الدولتين، أو تعديل حزم المساعدات العسكرية، أو اتخاذ مواقف أكثر توازناً في المحافل الدولية مثل الأمم المتحدة

آفاق الاستقرار على المدى البعيد: إن الصراع يجعل احتمالات إجراء مفاوضات المؤدية للاستقرار أكثر صعوبة، فقد أدت الحرب إلى تصلب مواقف الجانبين، الأمر الذي قلل من احتمالات المشاركة الدبلوماسية الفورية، كما أن المخاوف الأمنية الإسرائيلية ونمو نفوذ حركة المقاومة الإسلامية حماس يجعلان المفاوضات مع السلطة الفلسطينية أكثر تعقيداً

حل الدولتين مهدد: يبدو أن إمكانية تحقيق حل الدولتين ـ وهو الهدف الذي طالما راود العديد من الجهات الفاعلة الدولية ـ أصبحت بعيدة المنال على نحو متزايد، ذلك أن التوسع الاستيطاني الإسرائيلي المستمر في الضفة الغربية، إلى جانب عزلة غزة وتعزيز قوة حركة حماس، يحد من إمكانية ظهور دولة فلسطينية متصلة ذات سيادة في أي وقت قريب

باختصار، تمتد التداعيات السياسية الطويلة الأجل لحرب غزة إلى ما هو أبعد من الصراع العسكري المباشر، فهي تعمل على إعادة تشكيل القوة داخل فلسطين، وتحدي استقرار التحالفات الإقليمية، وتضخيم نفوذ إيران، وتعقيد الدبلوماسية العالمية، وكل هذا في حين يخفت احتمالات التوصل إلى حل سلمي، ويضمن هذا التعقيد المتعدد الطبقات أن عواقب الحرب سوف تظل محسوسة في مختلف أنحاء الشرق الأوسط والساحة الدولية لسنوات قادمة

كتاب العدد

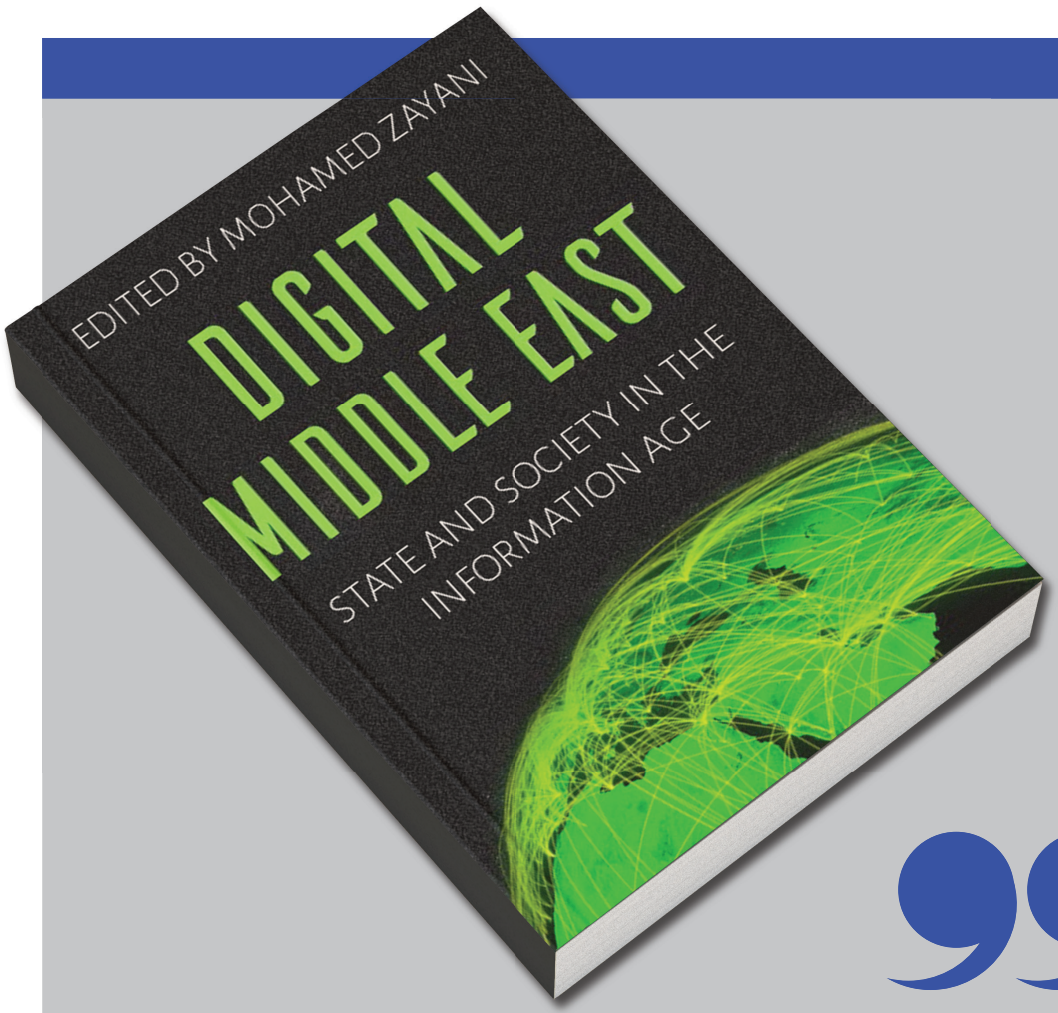

الشرق الأوسط الرقمي:

الدولة والمجتمع في عصر المعلومات

تحرير: د. محمد زياني

النشر: جامعة أكسفورد 2018

كتاب «الشرق الأوسط الرقمي: الدولة والمجتمع في عصر المعلومات» هو استكشاف ثاقب الرؤية لكيفية تشكيل التقنيات الرقمية للمشهدين السياسي والاجتماعي والثقافي في منطقة الشرق الأوسط، المؤلف محمد زياني، وهو باحث بارز في الدراسات الرقمية في الشرق الأوسط، يقدم رؤية شاملة حول كيفية تأثير التحول الرقمي على الهياكل الحكومية والمجتمع المدني في مختلف أنحاء المنطقة، يناقش الكتاب الوعود والمخاطر المحتملة للتقنيات الرقمية، محللاً التطورات التكنولوجية السريعة في منطقة غالباً ما تُوصَف بتعقيداتها الاجتماعية والسياسية.

تميزت أبحاث زياني بفحص دقيق لكيفية تكيف الحكومات والمجتمعات، أو فشلها في التكيف، مع البيئة الرقمية المتغيرة، يمزج الكتاب بين دراسات حالة وأطر نظرية وتحليلات معمقة لفهم التفاعل بين قوة الدولة وانخراط المواطنين عبر المنصات الرقمية.

الموضوعات الرئيسية

يتناول الكتاب عدة موضوعات رئيسية، من بينها:

التقنيات الرقمية والحوكمة

يستكشف زياني كيفية استخدام الحكومات في الشرق الأوسط للأدوات الرقمية لتعزيز سلطتها وتحسين الوظائف الإدارية. يناقش تبني خدمات الحكومة الإلكترونية، والمراقبة الإلكترونية، والرقابة الرقمية، ومع ذلك، يسلط الكاتب الضوء على ازدواجية التكنولوجيا: فبينما تستخدمها الدول للحفاظ على السيطرة، فإن المنصات الرقمية مكّنت المواطنين من محاسبة حكوماتهم.

وسائل التواصل الاجتماعي والنشاط السياسي

يتناول الكتاب دور وسائل التواصل الاجتماعي في تحفيز الحركات الاجتماعية في الشرق الأوسط، ويركز بشكل خاص على منصات مثل تويتر وفيسبوك ويوتيوب، التي لعبت دوراً حاسماً خلال الربيع العربي، يناقش زياني كيف أصبحت المساحات الرقمية ساحات للنشاط السياسي والاحتجاجات والخطاب العام، ما يغير أشكال السلطة التقليدية.

الفجوة الرقمية

يناقش زياني مسألة الفجوة الرقمية في المنطقة، حيث أن الوصول إلى التقنيات الرقمية غير متكافئ، ويناقش الفوارق الاجتماعية والاقتصادية التي تحول دون مشاركة العديد من المواطنين في الاقتصاد

الرقمي بشكل كامل، ويقارن ذلك بالتبني السريع للتقنيات الرقمية في دول الخليج الأكثر ثراءً

التأثير الثقافي للتحول الرقمي

يركز الكتاب أيضاً على الآثار الثقافية للتحول الرقمي في الشرق الأوسط، بدءاً من تغير ديناميكيات مكان العمل وصولاً إلى التحولات في أنماط التواصل، يناقش زياني كيفية إعادة تشكيل التقنيات الرقمية للمعايير الثقافية والتوقعات الاجتماعية، مع تناول تقاطع التقاليد والحداثة في منطقة لا تزال تتصارع مع جذورها التاريخية والدينية

الأقسام والفصول الرئيسية للكتاب

ينقسم الكتاب إلى عدة فصول مهمة، كل منها يركز على جوانب مختلفة من التحول الرقمي في المنطقة

الفصل الأول: مقدمة حول التحول الرقمي في الشرق الأوسط

إليك ملخص الفصول الرئيسية الواردة في الكتاب **"الشرق الأوسط الرقمي: الدولة والمجتمع في عصر المعلومات"**

1. الفصل الأول: مقدمة حول التحول الرقمي في الشرق الأوسط

- يستعرض هذا الفصل التطور التاريخي للتكنولوجيا في المنطقة ويضع الأساس لفهم تأثير التحول الرقمي على السياسة والمجتمع، يركز على التحديات والفرص التي أوجدتها الابتكارات الرقمية

2. الفصل الثاني: صعود الحكومة الإلكترونية

- يناقش هذا الفصل تطور مبادرات الحكومة الإلكترونية في مختلف دول الشرق الأوسط، مع التركيز على دول مجلس التعاون الخليجي مثل الإمارات والسعودية وقطر، ويستعرض كيف تم دمج التقنيات الرقمية لتحسين العمليات الحكومية وتقديم الخدمات العامة بكفاءة أكبر

3. الفصل الثالث: وسائل التواصل الاجتماعي والمشاركة السياسية

- يتناول هذا الفصل دور منصات التواصل الاجتماعي مثل تويتر وفيسبوك في تشكيل النشاط السياسي والنشاط الاجتماعي، وخاصة خلال "الربيع العربي"، يستعرض كيف ساعدت هذه المنصات في تنظيم الاحتجاجات والمشاركة السياسية

4. الفصل الرابع: الاقتصاد الرقمي والابتكار

- يركز على تأثير الاقتصاد الرقمي على القطاعات الاقتصادية التقليدية في المنطقة، مثل التجارة والخدمات المالية، ويستعرض استراتيجيات دول الخليج لتعزيز الابتكار والتحول الرقمي في إطار رؤى مستقبلية مثل رؤية 2021 ورؤية 2030.

5. الفصل الخامس: عدم المساواة الرقمية

- يناقش الفجوة الرقمية المتزايدة في الشرق الأوسط، حيث أن الدول الغنية تتبنى التكنولوجيا

بسرعة أكبر مقارنة بالدول النامية. يشير إلى تأثير هذا التفاوت على فرص العمل والتعليم والتنمية الاجتماعية

6. الفصل السادس: التحول الثقافي في الشرق الأوسط

- يسلط الضوء على كيفية تأثير التقنيات الرقمية على الهوية الثقافية والهياكل الاجتماعية في المنطقة. يناقش أيضًا التحولات في أماكن العمل وصعود الفن الرقمي كجزء من التغيير الثقافي

7. الخاتمة: مستقبل الرقمنة في الشرق الأوسط

يقدم الفصل الأخير تنبؤات حول مستقبل التحول الرقمي في الشرق الأوسط. يتكهن زياني حول كيفية تطور التقنيات الرقمية في المنطقة وتأثيرها على كل من الحوكمة والحياة اليومية

تحليل مضمون الكتاب

يتميز عمل زياني بتوازنه بين التفاؤل المفرط والتشاؤم المفرط حول المستقبل الرقمي للشرق الأوسط، بينما يبرز الكتاب الإمكانيات الكبيرة للأدوات الرقمية في تمكين المجتمع المدني، فإنه أيضاً يقيم نقدياً القوة المتزايدة التي تمارسها الحكومات من خلال التكنولوجيا، هذا التركيز المزدوج يجعل الكتاب ذا أهمية خاصة للقراء الذين يبحثون عن فهم متوازن للتحول الرقمي في منطقة معقدة

أحد نقاط القوة في "الشرق الأوسط الرقمي" هو استخدامه الشامل لدراسات الحالة، من خلال تحليل أمثلة محددة حول كيفية استخدام التقنيات الرقمية في بلدان مختلفة، يقدم زياني فهماً غنياً ومتشابكاً للمنطقة، ومع ذلك، يمكن للكتاب أن يتعمق أكثر في وجهات نظر المجتمعات المهمشة التي غالباً ما يتم تجاهلها في سرد التحول الرقمي

الخلاصة

كتاب "الشرق الأوسط الرقمي: الدولة والمجتمع في عصر المعلومات" هو قراءة أساسية لأي شخص مهتم بفهم تأثير التقنيات الرقمية في الشرق الأوسط. يقدم تحليلاً نقدياً ومتوازناً لكيفية إعادة تشكيل الدولة والمجتمع في عالم رقمي بشكل متزايد. سواء كنت باحثاً أو صانع سياسات أو قارئاً عاماً، يوفر هذا الكتاب رؤى قيمة حول واحدة من أكثر المناطق التي تشهد تحولاً سريعاً في العالم

كتاب العدد

مناورة التحوط الاستراتيجي:

تضييق فجوة القوة وتعظيمها بين الصين والولايات المتحدة

صدر حديثاً عن الدار العربية للعلوم ناشرون-بيروت. كتاب "مناورة التحوط الاستراتيجي: تضييق فجوة القوة وتعظيمها بين الصين والولايات المتحدة» للدكتور كرار أنور البديري وذلك في 336 صفحة.

يقدم الدكتور كرار أنور البديري في كتابه الجديد «مناورة التحوط الاستراتيجي: تضييق فجوة القوة وتعظيمها بين الصين والولايات المتحدة» (الدار العربية للعلوم ناشرون، 2024) تحليلاً معمقاً لصعود الصين كقوة عالمية جديدة وكيفية تعاملها الاستراتيجي مع القوة المهيمنة، الولايات المتحدة الأمريكية.

يركز الكتاب على ظاهرة صعود الصين كقوة عالمية جديدة في النظام الدولي، وهي ظاهرة أصبحت واحدة من أبرز المسائل الجدلية في العالم على صعيد الفكر والسياسة. ينطلق الجدل حول الكيفية التي سيدار بها النظام الدولي بين القوة الصاعدة، الصين، والقوة المهيمنة، المتمثلة بالولايات المتحدة الأمريكية. إذ تشير التجارب التاريخية أنه من المحتوم أن تصطدم القوة الصاعدة بالقوة الراسخة في النظام الدولي، نظرًا لحالة الإزاحة التي يثيرها هذا الصعود لدى القوة المهيمنة

ومع ذلك، اتخذت الصين نهجًا استراتيجيًا حذرًا لتجنب هذا الفخ المحتوم عبر مناورة التحوط الاستراتيجي تجاه الولايات المتحدة الأمريكية. يقوم هذا النهج على استبدال فكرة التحدي الاستراتيجي للقوة المهيمنة بفكرة التحوط الاستراتيجي، مما يساعد الصين على تجنب المواجهة المباشرة والحفاظ على فرصتها في الصعود ضمن النظام الدولي التي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية

يستعرض الكتاب كيف أن الصين سعت لتجنب المواجهة مع القوة المهيمنة وعدم استعجال الصراع معها، واستغلال الفرص الاستراتيجية المتاحة في النظام الأحادي القطبية الذي تقوده الولايات المتحدة. كما يفسر الكتاب كيف عملت الصين بشكل مستمر وقوي على تحسين قدرتها التنافسية مع الولايات المتحدة، وتقليل الفجوة بينهما في النظام الدولي عبر تحسين قدراتها العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية

علاوة على ذلك، يناقش الكتاب مدى نجاح الصين في تعزيز استقلاليتها في مجال السلع العالمية العامة

وتأمين وضعها الاستراتيجي، لاسيما في مجال أمن الطاقة وتعزيز الوجود الصيني في أصول ومنابع النفط وإنشاء خطوط الأنابيب، ودورها في إصلاح نظام الحوكمة العالمية

الكتاب يوضح كيف أن مناورة التحوط الاستراتيجي ساعدت الصين في تقليص الفجوة بينها وبين الولايات المتحدة بشكل كبير، حتى تغلبت عليها في بعض المجالات ووصلت إلى مرحلة التكافؤ في القوة. ومع تقلص الفجوة في القدرات، تصبح القوة المهيمنة أكثر حذرًا وتنبهًا لحالة الإزاحة الواضحة التي تثيرها القوة الصاعدة داخل النظام الدولي

وبالتوازي مع ذلك، يبين الكتاب كيف أدّت مساعي القوة المتحوطة إلى إثارة حفيظة قوة الوضع الراهن - أي الولايات المتحدة الأمريكية - وهددت مكانتها الآنية والمستقبلية. لهذا يحلل الكتاب ويفسر مساعي الولايات المتحدة الأمريكية في الحد من القوة الصينية مع تزايد إدراكها للتهديد الصيني، ويناقش الكتاب الاستراتيجية التي تتبعها الولايات المتحدة مع تزايد إدراكها للتهديد الصيني، مثل استراتيجية الموازنة الإيجابية العسكرية لتعظيم فجوة القوة مع الصين ومنعها من مراكمة القوة داخل النظام الدولي للحيلولة دون تجاوز القوة الأمريكية في النظام الدولي.

توزعت هيكلية الكتاب على أربعة فصول مقسمة على قسمين. القسم الأول يدرس حالة الإلهاء الاستراتيجي الذي قامت به الصين عبر مناورة التحوط الاستراتيجي، بينما يركز القسم الثاني على حالة المنافسة الحرجة ومساعي الولايات المتحدة في تعظيم فجوة القوة مع الصين

هذا الكتاب يقدم مساهمة جديدة نسبيًا في نظرية العلاقات الدولية، عاكسًا استيعابًا وتحليلًا للواقع الدولي في فهم صعود الصين واستجابة الولايات المتحدة لهذا الصعود. يجمع الكتاب بين النظرية والممارسة، موفرًا إطارًا معرفيًا لفهم ديناميكية التفاعل بين القوة الصاعدة والقوة الراسخة في ضوء التحوط الاستراتيجي ونظرية الاستجابة للتهديد

الدكتور كرار أنور البديري يقدم من خلال هذا العمل رؤية شاملة وعميقة لاستراتيجيات الصعود والتحوط في النظام الدولي في ظل المنافسة بين القوى العظمى، مما يجعله إضافة قيمة للمكتبة العربية في مجال العلاقات الدولية واستراتيجيات القوى الكبرى

المؤلف: د. كرار انور البديري. خبير وباحث في نظريات العلاقات الدولية واستراتيجيات القوى العظمى. يركز على استراتيجيات المنافسة بين القوى العظمى والصاعدة تجاه منطقة الشرق الأوسط والعراق، وكيفية تفاعل العراق مع السياسات الإقليمية والاستجابة لها، في ضوء علاقته مع الولايات المتحدة الأمريكية والقوى الصاعدة.

+964 773 019 7635
+964 772 997 3147
العراق ، بغداد ، الجادرية
- شارع الوزراء
Ministers St, Al-Jadriya
Baghdad, Iraq
head@hewariraq.com
office@hewariraq.com
www.hewariraq.com

شروط النشر

- تقبل البحوث ذات الصلة بالدراسات الاستراتيجية ، السياسية، الامنية، العسكرية، الاقتصادية .. والتي تتصف بالبعد التحليلي والستراتيجي وباللغتين العربية والانجليزية.
- يشترط ألا يكون البحث قد سبق نشره، أو قدم للنشر لجهات أخرى.
- يراعى في البحث اعتماد الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية.
- ان لا يزيد البحث عن ٣٠ صفحة مطبوعة (A٤)، بما في ذلك الهوامش، والمراجع ، والملاحق.
- يقدم البحث بنسخة الكترونية مصححة طباعياً.
- يرسل الباحث موجزاً بسيرته العلمية ، ورقم الهاتف والبريد الالكتروني.
- تكتب الهوامش بأرقام متسلسلة ، وتوضع في نهاية البحث مع قائمة المراجع.
- تطبع الجداول والرسوم البيانية على صفحات مستقلة ، مع تحديد مصادرها ويشار إلى مواقعها في متن البحث.
- تقوم هيئة التحرير بالمراجعة اللغوية ، وتعديل المصطلحات بالشكل الذي لا يخل بمحتوى البحث أو مضمونه.

إجراءات النشر:

- يتم الاعلان عن ملف العدد والموضوعات الاخرى عبر موقع المعهد وصفحته على الفيس بوك ويعمم كتاب على الوزارات والجامعات والكليات ذات العلاقة وينشر في مواقع التواصل الاجتماعي .
- تعنون المراسلات والبحوث والدراسات باسم رئيس تحرير .
- يتم إخطار الباحث بتسلم بحثه.
- يقوم المحرر المختص براجعة وتحرير البحث بعد إجازته من هيئة التحرير.
- يخبر الباحث بصلاحية البحث للنشر من عدمه.
- يتم النقاش مع الباحثفيما اذا وجدت ملاحظات على البحث.
- تصبح البحوث والدراسات المنشورة ملكاً للمعهد العراقي للحـــــوار ومجلة حوار الفكر ولا يحق للباحث إعادة نشرها في مكان اخر دون الحصول على موافقة تحريرية من المعهد.

Iraqi Institute For Dialogue
للحوار
I.I.D